القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الثانية والثلاثون العدد 10066 الأحد 25 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 8 ربيع الأول 1442 هـ
Volume 32 - Issue 10066 Sunday 25 October 2020

الباحث اللبناني جوزيف باحوط: الحل يصنع في لبنان 16

أزمور المغربية: مدينة الأولياء والمفكرين والفنانين 36

سرّ العداء المستحكم بين الصهاينة وشجرة الزيتون 46

السودان: خطوة أولى نحو التطبيع مع إسرائيل 02

تحقيقات: العراق وتداعيات اتفاق سنجار 28

دوري أبطال أوروبا: رسائل رعب مبكرة 38

تحولات الجزائر: انتصار أم انكسار؟

تختلط في قلب المشهد الجزائري الراهن مؤشرات متصارعة توحي بأن الحراك الشعبي الذي انطلق في شباط (فبراير) 2019 نجح في إسقاط سلطة بوتفليقة ولكن لم يفلح بعد في تغيير المنظومة السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية التي كان الرئيس السابق واجهة لها. ورغم انتخابات رئاسية وإحالة بعض رجالات العهد البائد إلى القضاء والإيحاء بمحاربة الفساد، فإن السلطة الحاكمة تستأنف بعض ممارسات الماضي في قمع الحريات، وتستغل جائحة كورونا لفرض المزيد من القيود على التظاهرات والمسيرات، وبالتالي بقي التحوّل معلقاً بين سؤال الانتصار أو الانكسار.

(حدث الأسبوع 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

السودان وإسرائيل يوافقان على التطبيع

كشفت مصادر مطلعة على سياسة السودان الخارجية وملف التطبيع على وجه الخصوص، أن الاتفاق بين البلدين لإنهاء العداء يشمل إقامة العلاقات الدبلوماسية وغيرها من العلاقات الثنائية.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: عمار عوض

أعلنت الرئاسة الأمريكية موافقة السودان على التطبيع مع إسرائيل وذلك بعد لقاء عبر الفيديو كونفرانس جمع الرئيس دونالد ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ورئيس مجلس السيادة السوداني عبد الفتاح البرهان ورئيس مجلس الوزراء عبد الله حمدوك، وذلك بعد نحو ساعة من إبلاغ الرئيس ترامب الكونغرس الأمريكي برفع اسم السودان من لائحة الإرهاب، ويأتي ذلك على خلفية زيارة سرية قام بها مستشارون لنتنياهو وترامب إلى الخرطوم ليل الأربعاء الماضي ناقشت تفاصيل التطبيع، في وقت أجرى فيه وزير الخارجية الأمريكية مايك بومبيو الخميس اتصالا هاتفيا مع حمدوك أشاد فيه بجهود الأخير بجهة التطبيع مع إسرائيل.

ونقلت وسائل إعلام سودانية عن وزير الخارجية المكلف دخول اتفاق التطبيع حيز التنفيذ بعد موافقة «المجلس التشريعي» بينما كشفت متابعات «القدس العربي» أن الاتفاق مع تل أبيب يشمل إقامة «علاقات دبلوماسية كاملة وتبادل سفراء مقيمين في البلدين» واعتبر نتنياهو الاتفاق مع الخرطوم «تطورا هاما يعني فعليا مغادرة القائمة السوداء خلال 45 يوما ما لم يعترض الكونغرس على القرار.

كما اتفق الثلاثة الأربعة على بدء العلاقات الاقتصادية والتجارية مع التركيز على الزراعة في بداية هذا التعاون، وطبقا للبيان اتفق القادة على ان تجتمع الوفود في الأسابيع المقبلة للتفاوض بشأن اتفاقيات التعاون في مجالات التكنولوجيا والزراعة والطيران وقضايا الهجرة وغيرها لصالح الشعبين.

واعتبر البيان الاتفاق «تاريخيا» وشهادة على النهج الجريء والرؤية المقدرة في إطار (يتم تحديده لاحقًا) من تبادل وثائق التصديق على هذه الاتفاقية / المعاهدة». إلى جانب اتفاق الطرفين على أن العلاقة الطبيعية بينهما ستشمل كذلك العلاقات الاقتصادية والثقافية، حسب المصدر الذي نقل قائلا «ستشمل هذه الاتفاقية في النهاية؛ حرية الملاحة والوصول إلى الموانئ، الطيران المدني، البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية، السياحة، البحوث الثقافية والعلمية، والعلاقات الاقتصادية».

ووصف نتنياهو في بيان مصور ما تم بالتحول الهائل مُضيفا: «في العاصمة السودانية الخرطوم تبنت الجامعة العربية في العام 1967 اللاءات الثلاثة؛ لا للسلام مع إسرائيل، لا للاعتراف بإسرائيل ولا للمفاوضات مع إسرائيل، ولكن اليوم الخرطوم تقول نعم، نعم للسلام مع إسرائيل، نعم للاعتراف بإسرائيل، ونعم للتطبيع مع إسرائيل، مبينًا أن هذا عصر جديد، عصر السلام الحقيقي.

وأكد نتنياهو أن مشروع السلام يتوسع ليشمل دولاً عربية أخرى، مشيراً إلى بعثات سودانية وإسرائيلية ستجتمع قريباً من أجل بحث التعاون في العديد من المجالات، ومن ضمنها الزراعة والتجارة ومجالات مهمة أخرى.

وأوضح أن «الأجواء السودانية مفتوحة الآن أمام الطيران الإسرائيلي ما يسمح بتسيير رحلات جوية مباشرة وقصيرة بين إسرائيل وأفريقيا وأمريكا الجنوبية».

وأعرب نتنياهو، عن شكره لرئيس المجلس السيادي الفريق أول عبد الفتاح البرهان ورئيس الوزراء عبد الله حمدوك بالإضافة إلى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وفريقه على دورهم في هذا الحراك التاريخي، وأكد أن المهم توسيع دائرة السلام.

وكانت مصادر في القصر الرئاسي في الخرطوم كشفت لـ«القدس العربي» ليل الاربعاء عن وصول وفد أمريكي إسرائيلي مشترك للسودان قادما من تل أبيب «ناقش تفاصيل عملية التطبيع ووضع اللمسات الأخيرة للاتفاق المزمع توقيعه بين البلدين ورفع اسم السودان من لائحة الإرهاب. وضم الوفد رونين بيريتس نائب القائم بأعمال المدير العام لمكتب نتنياهو، والجنرال ميفيل كوريا، كبير مديري شؤون الخليج في مجلس الأمن القومي الأمريكي» وأضاف المصدر نفسه «أن الرجلين التقيا بالجنرال عبد الفتاح البرهان، رئيس الحكومة الانتقالية في السودان، وبكبير مستشاري رئيس الوزراء عبد الله حمدوك».

في وقت قال فيه وزير الخارجية المكلف عمر قمر الدين في تصريحات للتلفزيون السوداني الرسمي «ما تم اتفاق على التطبيع، أما التطبيع نفسه هو عمل آخر بين مؤسسات دول وهو عمل طويل وليس حدثا في حد ذاته، إنما هو عملية مستمرة. ان هذا هو اتفاق على التطبيع جرى بين السودان وإسرائيل وننتظر ان تكتمل مؤسسات السودان الديمقراطية ومن ضمنها المجلس التشريعي ليقرر المصادقة على هذا الاتفاق حتى يصير تطبيعا كاملا» وأوضح «لا يمكن للحكومة ان تطبع، لأن الحكومة مجلس السيادة ومجلس الوزراء والمجلس التشريعي والحاضنة السياسية، ومن طرفنا ان اليوم الاتفاق على هذا التطبيع ومن ثم عندما تكتمل المؤسسات يكتمل التطبيع إذا قررت قبول هذا الاتفاق أم لا، وهي مسألة مصادقة برلمانية وكل اتفاقات العالم تمر بمرحلة المصادقات وإذا تمت بأذن الله يكتمل التطبيع» وتابع «الشروط الخلافية مثل إقامة علاقات مع إسرائيل، داعيًا إياها الالتزام بهذا الموقف.

تكنولوجيا الزراعة وعودة الاستثمارات المختلفة. وما يلي العمل المشترك هو إنهاء حالة العداء منذ عقود وما تزال في قوانين السودان، وهذا سينتهي بتوقيع الاتفاق، وهناك عمل سياسي واقتصادي ومالي واستثماري في العديد من المشاريع في الري والطاقة والاتصالات التي هي متقدمة في إسرائيل إذا تم الاتفاق سيستفيد منها السودان بالتأكيد».

وكان زعيم حزب الأمة القومي الصادق المهدي، أعلن عزمه تحريك إجراءات قضائية في مواجهة الحكومة السودانية حال مضيها جدياً في خطوات التطبيع مع إسرائيل.

وحرض المهدي صراحة نقابة المحامين لتقييد إجراءات قانونية ضد مخالفي قانون مقاطعة إسرائيل، وقال إن محامي حزبه سيقومون بذات الخطوة.

وقانون مقاطعة إسرائيل الصادر في العام 1958 يحظر تعامل السودانيين مع أشخاص أو هيئات أو مؤسسات إسرائيلية، ويوقع عقوبات تصل إلى السجن 10 أعوام.

وقال الصادق المهدي، في تصريح مكتوب بمسمى «هذا بيان للناس» ليل الخميس: «ناشدنا نقابة المحامين أن تتولى فتح بلاغات ومساءلة الذين يخالفون قانون مقاطعة إسرائيل، وسيقوم محامو حزب الأمة بذلك أيضاً، فالخيانة ليست وجهة نظر تحميها الحرية».

وهدد المهدي بسحب تأييد حزب الأمة القومي لمؤسسات الحكم الانتقالي إذا أقدمت على إقامة علاقات مع دولة إسرائيل.

وأشار إلى أن مؤسسات حكومة الانتقال غير مؤهلة لاتخاذ قرارات في شأن القضايا الخلافية مثل إقامة علاقات مع إسرائيل، ثم تعمل المؤسسات وسنستفيد في نقل

الليبيون وبصيص الأمل بعد اتفاقات جنيف: العقبات أكبر من الأمنيات

قطع طرفا الصراع في ليبيا نصف الطريق للوصول إلى سلام بالتوقيع على اتفاق يكرس وقفا نهائيا لإطلاق النار، وبقي النصف الثاني المُتعلق بإخضاع الميليشيات، وإجبار المرتزقة على مغادرة البلد.

محادثات جنيف بشأن ليبيا

رشيد خشانة

والملاحظ أن هذا التقدم في مفاوضات الحل السياسي، ترافق مع الخطوات النوعية التي قُطعت لمعاودة تشغيل الحقول والمصافي النفطية في ليبيا، بما فيها مصفاة الزاوية، وهي الوحيدة في المنطقة الغربية. لا ريب أن المشهد الليبي تغير، أولا مع الاتفاق على وقف دائم لإطلاق النار، وأيضا مع الاتجاه نحو إيجاد حلول لكثير من المشاكل الحياتية، مثل تشغيل حركة الملاحة الجوية مجددا بين المدن، وفتح الطرقات البرية. بيد أن التفاؤل الذي أشاعته تلك الخطوات، لا ينبغي أن يحجب عن أبصارنا العقدة الكبرى، التي سيصطدم بها المسار، حين يقترب من نفوذ الأجسام المسلحة، الماسكة بالسلك الكهربائي، وصاحبة القرار الحقيقي على الأرض.

مع ذلك تُعتبر المسافة المقطوعة حتى اليوم، في إطار مسار برلين، وسائر الاجتماعات المتفرعة عنه مشجعة، بعدما وضع طرفا النزاع، علاوة على اتفاق وقف إطلاق النار الدائم، اتفاقات أخرى تقضي بإعادة فتح الطرقات بين المناطق واستئناف الرحلات الجوية الداخلية، ووضع حد للحملات الإعلامية المتبادلة. وأشرفت على تلك المحادثات اللجنة السوسيرية «مركز الحوار الإنساني» التي تعمل منذ سنوات على التقريب بين الإخوة الأعداء في ليبيا، بعيدا عن أضواء الإعلام، وبرعاية من بعثة الأمم المتحدة. كما شكل الاتفاق على إعداد موازنتين للعام المقبل، واحدة في الشرق والثانية في الغرب، ثم إدماجهما في موازنة موحدة، خطوة مهمة نحو إعادة اللحمة. وتقدر الموازنة بما يقارب 34 مليار دولار.

غير أن ما يهم المواطن الليبي من تلك المحادثات هو مدى تأثيرها في تحسين وضعه المعيشي، الذي يربطه بعنصرين جوهريين، أولهما معاناته من فقدان السيولة في المصارف التجارية، ما يضطره للمُرابطة أمام الفروع المصرفية لتحصيل النزر القليل من أمواله المودعة لديها، وثانيهما انقطاع البنزين والتيار الكهربائي، بسبب توقف إنتاج النفط، ما عسّر حياة السكان بشكل عام، وسكان الجنوب بشكل خاص.

أكثر من ذلك، تسبب دخول القوات الموالية للجنرال حفتر، ومعها عناصر من شركة «فاغنر» الأمنية الروسية الخاصة، إلى الحقول والموانئ النفطية، في انهيار الإنتاج، في إطار محاولة خنق حكومة الوفاق. ومن هنا يرتدي التوصل إلى اتفاق على معاودة التشغيل والانتاج أهمية قصوى لتلك الحكومة، وحتى لخصومها، الذين يتقاضون رواتبهم، هم أيضا، من مصرف ليبيا المركزي. كما أن معاودة تصدير النفط، تعيد ملء خزائن الدولة الخاوية، إذ ارتفع إنتاج حقل الشرارة في الأيام الأخيرة، وهو من أكبر الحقول، إلى نحو 110 آلاف برميل يوميا من أصل 300 ألف برميل تمثل إجمالي طاقته الإنتاجية.

أما شركة الزاوية فأعلنت عن الشروع الوشيك في تشغيل وحدات التكرير، بعد اكتمال الاستعدادات لذلك، ما سيساهم في تأمين احتياجات السوق المحلي من المحروقات. وفي السياق أفادت شبكة «بلومبرغ» الأمريكية أن إنتاج ليبيا من النفط بلغ نحو 500 ألف برميل يوميا، بعد استئناف الإنتاج في حقل الشرارة، وهو ما يمثل قرابة نصف منتوج ليبيا من النفط، قبل غلق الحقول والموانئ النفطية، في التاسع من حزيران/يونيو الماضي، في أعقاب فرض حالة القوة القاهرة.

وزاد انتشار فيروس كورونا من تعقيد حياة الليبيين، في ظل تهلهل البنية الصحية الأساسية، وغلق الحدود التي كانت تمنح فرصة العلاج في المستشفيات التونسية. وظاهر أن الليبيين مهتمون بوضع حد لتمدُّد الوباء أكثر من اهتمامهم بالمحادثات الجارية في جنيف وبوزنيقة والقاهرة وتونس. وطبقا لإحصاءات غير مؤكدة يوجد في ليبيا حاليا أكثر من 41000 حالة إصابة بفيروس كورونا، غير أن المراقبين يعتقدون أن عدد المصابين أكبر من ذلك، لكن لا يمكن الوصول إليهم لإحصاء الحالات بدقة، خاصة أن الأمم المتحدة أقرت هي الأخرى بأن الانتشار «يخرج عن نطاق السيطرة». ومنذ بداية تفشي الوباء في ليبيا في آب/اغسطس الماضي واجهت الكوادر الطبية والصحية صعوبات جمة بسبب تضاؤل الإمكانات المتاحة لها، وتزايد أعداد المصابين المقبلين على المستشفيات.

وامتد الشلل إلى المؤسسات التعليمية، وإن جزئيا، إذ واجهت المدارس مصاعب كبيرة لإيجاد الصيغة المثلى للاستمرار في العمل، مع حماية الطلاب من العدوى، في ظل ضآلة الإمكانات، ما أدى إلى انقطاع بعض الطلاب في بعض المناطق عن الدراسة، ووصل الانقطاع أحيانا إلى ستة أشهر.

مفهومٌ في هذا الإطار أن يفرح الليبيون بالوعود التي سمعوها، وأن يروا بصيص أمل في قرار فتح الحدود مع تونس، متنفسهم الرئيس. ومن المظاهر الرمزية للمصالحة المأمولة بين المنطقتين الشرقية والغربية، الزيارة التي أداها وفد يمثل «أعيان برقة» (الشرق) إلى أسرى قوات حفتر لدى قوات حكومة الوفاق في مصراتة، وهي خطوة تمهد لإجراء تبادل للأسرى والمخطوفين من الطرفين. وأكد ذلك رئيس وفد أعيان مصراتة محمد الرجوبي، الذي صرح أيضا، لموقع «الوسط» الليبي، أنه يتم حاليا بحث تشكيل لجان من أجل فتح الطرق والمطارات بين المنطقتين الشرقية والغربية. وتشمل هذه الخطة إعادة فتح معبر راس جدير الحدودي مع تونس. وزار وفد من وزارة الخارجية التابعة لحكومة «الوفاق» تونس، في الأيام الأخيرة، وبحث مع مسؤولين تونسيين وسائل ضمان انسياب حركة النقل والمبادلات التجارية في المعبرين الحدوديين المشتركين. وفعلا توصلت لجنة ليبية تونسية مشتركة إلى اتفاق لإعادة فتح الحدود بين البلدين، وهو ما تم فعلا الجمعة، إضافة إلى استئناف الرحلات الجوية بين مطاراتهما.

كما درس الوفد وضع بروتوكول صحي مشترك مترافقا مع إعادة فتح المعبر وفق الخطة التونسية للتصدي لتفشي فيروس كورونا. وكان الخلاف بين الجانبين يتمثل في رفض الليبيين الخضوع للحجر الصحي الإجباري عند حلولهم بتونس، في حين تطبق تونس هذا الإجراء على جميع الوافدين إليها. وتخضع بعض الجهات من بينها مجلس رجال الأعمال التونسيين والليبيين، من أجل إيجاد حل وسط لهذا الإشكال، وأتى الحل متمثلا بالقيام بالتحاليل السريعة للفيروس في المعبر، بالنسبة لليبيين الوافدين إلى تونس.

حكومة انتقالية وانتخابات؟

وكيفما كان الحال، تبدو تونس اليوم الوجهة القادرة على استضافة الاجتماع الشامل الليبي الليبي، مطلع الشهر المقبل، بعد رفض الدول الاوروبية استضافة هذا اللقاء، بسبب الموجة الثانية من فايروس كورونا التي اجتاحت العالم خلال الشهر الجاري. ويُلاقي هذا المسار تأييدا من القوى الكبرى، إذ أبدت أمريكا مباركتها للاتفاقات التي حصلت حتى الآن بين الفريقين، مُعلقة، على لسان مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط ديفيد شنكر، بأنها تأمل أن تكون تلك الاتفاقات «خطوة نحو تشكيل حكومة انتقالية وإجراء انتخابات».

كما أن السفير الأمريكي لدى ليبيا نورلاند حذر من «الوجود المتزايد للقوات الأجنبية، بما في ذلك المرتزقة والمجموعات المسلحة والمفسدين، الذين يمكن أن يهددوا التقدم الحالي نحو حل سلمي في ليبيا». واعتبر أن «التخلص من الميليشيات والمرتزقة الوصول إلى ذلك «إلا من خلال قوات أمن ليبية موحدة وقوية» لكن هل سيبقى أمراء الحرب يتفرجون على تشكيل قوات عسكرية وأمنية مهمتها قطع دابرهم؟

وهذا الموقف الأمريكي غير بعيد عن الموقف الروسي، الذي أكد على لسان الوزير سيرغي لافروف دعم موسكو لـ«وقف الأعمال القتالية في ليبيا وبدء حوار سياسي». ومن هذا المنطلق قرر الروس إعادة فتح سفارتهم في طرابلس، على أن يكون مقر السفير «مؤقتا» في تونس. وقال لافروف في هذا الشأن «أريد أن أؤكد على أن مهامه (السفير) تشمل تمثيل روسيا في كل أنحاء الأراضي الليبية» أي لدى حفتر وحكومة الوفاق في آن معا.

أصحاب القرار على الأرض

لكن السؤال الذي يبقى عالقا هو إلى أي مدى تمثل الوفود التي شاركت في المحادثات، حتى الآن، القوى الحقيقية صاحبة القرار على الأرض؟ أوليس «المفاوضون» مُعلقين في عالم يكاد يكون افتراضيا، فمجلس النواب لم يجتمع، ولا اجتمع أعضاء المجلس الرئاسي لمنح تفويض للوفدين المفاوضين. ومن علامات هذا الانفصام مقاطعة كتلة فزان النيابية (جنوب) جلسة مجلس النواب التي كانت مقررة في مدينة بنغازي (شرق) والتي دعت إليها رئاسة المجلس «بعد غياب طويل عن الانعقاد، بالرغم من حجم الاستحقاقات التي أمام المجلس» على ما قالت الكتلة في بيانها، ردا على دعوتها إلى المشاركة في جلسة بنغازي.

من جهة أخرى تقف الأجسام العسكرية الخارجة عن الدولة، حجر عثرة أمام عودة السلام إلى ليبيا، فقد شبت عن الطوق، وبعدما تضخم حجمها وتطورت أسلحتها وتوسع نفوذها في السنوات الخمس الأخيرة، أي منذ اندلاع الصراع بين «فجر ليبيا» و«عملية الكرامة» بقيادة حفتر. ولا أدل على سطوتها من أنها تجرأت على اختطاف المستشار الإعلامي لرئيس حكومة الوفاق محمد بعيو (وهو أحد أبواق نظام القذافي) بينما ظلت الحكومة عاجزة عن ضبط الخاطفين ومحاكمتهم، مع أنها تعرفهم وتصرف رواتبهم في بداية كل شهر. وبعد يومين من اختطاف بعيو، خطفت مليشيا مسلحة من طرابلس الإعلاميين محمود الشركسي، من قناة «ليبيا الوطنية، وطارق القزيري عقوب مدير قناة «ليبيا الرياضية». ولم تقو وزارة الداخلية ولا حكومة الوفاق على وضع حد لعربدة هذه الميليشيا ومثيلاتها الكثيرة، علما أن الخطف شمل في وقت سابق رئيس الحكومة نفسه (علي زيدان) وهو في ثياب النوم. وعليه فإن تنفيذ أي خطوات في اتجاه إقرار وقف نهائي لإطلاق النار، يبقى مرهونا بمدى تجاوب هذه الجماعات المسلحة، التي لن يقبل أمراؤها التخلي عن نفوذهم والاندماج في الجيش الوطني المزمع تشكيله، والتي تتدرب طلائعه حاليا في إحدى القواعد العسكرية التركية. من هنا تبدو فداحة الخطأ الذي اقترفه من حكموا ليبيا بعد رحيل القذافي، والذين قرروا حل الجيش الليبي بذريعة أنه كان يخدم النظام، مع أن القذافي حجّمه وأضعفه.

المؤسسة الوحيدة

ربما المؤسسة الوحيدة المتبقية من هشيم الدولة، التي مازالت تعمل هي القضاء، بالرغم مما يحفُّ به من تهديدات ومخاطر. وقد أظهر فعاليته أخيرا عندما أصدر مدير النيابة العسكرية في طرابلس، أيوب أمبيرش، أمرا بالقبض على رئيس الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد نعمان الشيخ، بعد اتهامه بإخفاء تقرير صادر عن لجنة الهيئة، يتعلق بتجاوزات مالية في جهاز الطب العسكري ووزارة الصحة، التابعة لحكومة الوفاق. وتم توجيه الأمر إلى «جهاز الردع لمكافحة الجريمة المنظمة والإرهاب» لاعتقال سبعة مشتبه بتورطهم في التجاوزات، من بينهم وكيل وزارة الصحة بحكومة الوفاق، وقد كان رئيسا لمجلس إدارة جهاز الطب العسكري سابقًا.

ربما تكون عواصم القرار الدولي وعدت المفاوضين الليبيين بمساعدتهم على ترويض أمراء الحرب، بتسليط عقوبات على المتقاعسين منهم، لكن يبدو أنهم لا يعبئون بمثل تلك التهديدات، كما لم يتورعوا عن إزهاق أرواح آلاف المدنيين، في حروب متتالية منذ 2011. وبحسب السراج تضرر 120 ألف ليبي من تلك الحروب إلى 2018 فقط. أما تقديرات الأمم المتحدة فتشير إلى أن القتال أدى إلى نزوح أكثر من 150 ألف شخص، 90 ألفا منهم أطفال، إضافة لإغلاق 200 مدرسة، ما حرم أكثر من 200 ألف طفل من تعليمهم. يا تُرى كم ينبغي على الليبيين أن يصبروا قبل أن يعود الرشد إلى زعمائهم؟

الخبراء يتحدثون عن «الأصوات الخفية»

مع اقتراب يوم الانتخابات الرئاسية: الجمهوريون يبتعدون عن ترامب

من الواضح أن الموقع الانتخابي لترامب خطر للغاية، حيث تظهر استطلاعات الرأي أنه متأخر في عدد كبير من الولايات الرئاسية.

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

لاحظ مراقبون تحولات خفية في السلطة في مبنى الكونغرس الأمريكي، حيث يواجه الجمهوريون مستقبلاً قد لا يشمله الرئيس دونالد ترامب، وكان التحول أكثر وضوحاً في الديناميكيات المحيطة بالمفاوضات بشأن حزمة المساعدات الجديدة من فيروس كورونا.

وسعى زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل (جمهوري من كنتاكي) لتجنب التصويت على حزمة التحفيز الضخمة، والتي من شأنها أن تقسم الحزب الجمهوري في مجلس الشيوخ قبل يوم الانتخابات مباشرة، على الرغم من إدعاء ترامب بأن الحزب الجمهوري يتقدم بقوة في خطة التحفيز.

وأخبر ماكونيل زملاءه الجمهوريين انه حذر البيت الأبيض من التصويت على حزمة التحفيز قبل يوم الانتخابات، وقال ساخراً إنه يعرف أن رسالته التي تم تسليمها في اجتماع خاص ستنتشر بسرعة إلى الجمهور.

وعارض الجمهوريون حزمة أكبر للإغاثة من فيروس كورونا، على الرغم من حرص ترامب على الدفع باتجاه إقرارها، وكما قال العديد من المحللين، فإن حسابات ميتش تركز على أنه ليس من المفيد طرح هذه الخطة في الكونغرس لأنها ستكشف أن ترامب وقادة الحزب الجمهوري ليسوا على نفس الصفحة.

ولكن، بالنسبة إلى العديد من الخبراء، فإن هذا الخلاف هو واحد فقط من سلسلة واسعة من الاختلافات الناشئة بين الحزب والبيت الأبيض، وقالوا إن المشرعين الجمهوريين لديهم مخاوف بشأن إدارة حملة إعادة ترامب بدءاً من أدائه خلال المناظرة الأولى إلى نقص السيولة وميل الرئيس إلى تسليط الضوء على الموضوعات المثيرة للانقسام سياسياً.

وقد واجهت حملة ترامب مشكلة غير متوقعة في جمع الأموال، حيث بدأ المانحون في تحويل تبرعاتهم لإنقاذ الأغلبية الجمهورية في مجلس الشيوخ وبناء جدار ضد احتمال سيطرة الديمقراطيين على البيت الأبيض.

وليس هناك أدنى شك في ولاء ماكونيل لترامب، ولكن تصرفات العديد من المشرعين الجمهوريين توضح أنهم في الواقع ليسوا على يقين من فوز ترامب، خاصة وأن الرئيس يأتي بعد المنافس الديمقراطي جو بايدن في معظم استطلاعات الرأي.

ومن الواضح أن الموقع الانتخابي لترامب خطر للغاية، حيث تظهر استطلاعات الرأي أنه متأخر في عدد كبير من الولايات الرئاسية، بما في ذلك فلوريدا وميشيغان وبنسلفانيا وويسكونسن، وميشيغان وبنسلفانيا وويسكونسن، ووجه زعماء الحزب الجمهوري اللوم إلى ترامب قبل بضعة أسابيع لعدم إدانته الجماعات العنصرية التي تزعم بتفوق الجنس الأبيض بعد المناظرة الأولى مع بايدن، وانتقدوا مماطلته في التعهد بانتقال سلمي للسلطة إذا خسر الانتخابات الرئاسية.

ومع تعرض ترامب ومجلس الشيوخ لخطر حقيقي في الانتخابات المقبلة، وضع بعض أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين مصالحهم السياسية قبل ترامب، مما دفع الجماعات المانحة لبناء جدار حماية في الكونغرس، وقال سيناتور جمهوري إن الجمهوريين لديهم فرصة أفضل في الاحتفاظ بالسيطرة على مجلس الشيوخ بينما «لا يملكون سوى القليل من السيطرة على كيفية إدارة ترامب لحملته».

وقد أظهرت معظم استطلاعات الرأي، قبل أقل من أسبوعين من يوم الانتخابات، أن 35 مليون أمريكي على الأقل قد صوتوا بالفعل، وعلى الرغم من أن بايدن يتصدر التوقعات، إلا أن مركز «الانتباه الوطني» مقره جورجيا، قد أكد تقدم ترامب في الولايات الحاسمة، بما في ذلك بنسلفانيا وفلوريدا وميشيغان، عشية يوم التصويت، وهي الولايات التي أسفرت عن الفوز المذل لترامب على المرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون.

ولم يحاول العديد من الخبراء التكهن بموعد الانتهاء من نتائج الانتخابات بسبب الكم الهائل من الاقتراع عبر البريد، الذي استلزمه الوباء، وزعمت مراكز أبحاث قريبة من تيار اليمين أن معظم استطلاعات الرأي غفلت عن « الأصوات الخفية» التي ستؤيد ترامب.

وأكدت هذه المراكز، ومن بينها «الانتباه الوطني» أن هناك الملايين من الناخبين، الذين لا يكشفون عن رأيهم بصراحة، إلا في صناديق الاقتراع، وغالبيتهم من الفئة المصنفة بأنها مترددة.

وعلى أية حال، فاز ترامب في انتخابات 2016 على الرغم من كل استطلاعات الرأي، وانتصر بسبب رسائل خارجية شاقة حول الوظائف والهجرة والصين والتجارة، ولكن المشاكل التي يواجهها ترامب في هذه الانتخابات أعلى بكثير من السابق، وهو لا يحظى بشعبية كبيرة وسط جائحة كوفيد– 19 والتدهور الاقتصادي، كما أنه يواجه خصماً مختلفاً، وليس هيلاري كلينتون، التي كانت بالفعل غير محبوبة من قبل فئات كبيرة من الشعب الأمريكي.

واستنتج المحللون الأمريكيون أن ترامب بحاجة إلى تكتيكات أكثر فاعلية من تلك التي استخدمها في السابق، وقالوا إنه يجب أن يسعى إلى توسيع قاعدته السياسية، مع إشارت إلى أن فوزه ليس مستحيلاً ولكنه صعب للغاية. في حين أكد بعض الخبراء أن ترامب بحاجة ماسة إلى «أخطاء» من منافسه بايدن في الأيام الأخيرة من السباق الرئاسي، وعلى سبيل المثال، قال الخبراء إن أمل ترامب هو أن يفعل بايدن شيئاً يساعد على نفور قاعدة واسعة من الناخبين المتأرجحين، الذي دفعهم ترامب إلى المعسكر الديمقراطي، ولكن، في الواقع، من الصعب الاعتماد على أخطاء المنافس كاستراتيجية للفوز في الانتخابات، وخاصة في الأيام الأخيرة.

والفرصة المثالية لترامب، التي قد تساعده على الفوز، هي قدرة إدارة حملته على جلب المزيد من الأمريكيين البيض غير المتعلمين في الغرب الأوسط الصناعي إلى صناديق الاقتراع، والعمل، أيضاً، على جذب المزيد من الناخبين السود ومن أصل لاتيني.

ومن غير المرجح أن يفوز ترامب في الانتخابات الرئاسية، إذا لم يتمكن من الفوز في ولاية بنسلفانيا أو ميشيغان أو ويسكونسون، كما أشار المحللون قضية أن ترامب بحاجة إلى تجميع الأصوات الانتخابية للوصول إلى 270 صوتاً، وهذا يعني أنه لا يستطيع خسارة فلوريدا.

وأشار المحللون إلى أن ترامب بحاجة سريعة إلى الحد من الضرر السياسي المستمر بسبب سوء إدارته للوباء، لكي لا يخسر قاعدة كبار السن والنساء، وقالوا إنه يجب أن يتوقف عن القول إن المرض لا يمثل تهديداً خطيراً.

ترامب وبايدن

لبنان: بين التيارين الأزرق والبرتقالي عودة

ما يهم الحريري هو كيفية الإفادة من الفرصة الأخيرة المتمثّلة بالمبادرة الفرنسية لوقف الانهيار، مدركاً حجم التداعيات في بيئته الشعبية والسياسية والتي وصفها بأنها بمثابة «تجرّع السمّ».

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

خلافاً للأجواء الضبابية التي أشاعتها كلمة رئيس الجمهورية ميشال عون قبيل تكليف الرئيس سعد الحريري والتي أظهرت أن طريق تأليف الحكومة سيكون وعراً نظراً للتباعد السياسي وللخلافات المستحكمة بين «تيار المستقبل» و«التيار الوطني الحر» اللذين كانا شريكين في التسوية الرئاسية قبل الطلاق غير الودّي، فإن المواقف التي عبّر عنها الطرفان بعد عملية التكليف أوحت أن الألغام الحكومية يمكن تجاوزها وفتح صفحة جديدة بالنظر لما آلت اليه أحوال البلد من انهيار.

وجاء إعلان الرئيس الحريري عن زيارته قصر بعبدا ليعزّز هذه الأجواء الإيجابية وليؤشّر إلى عدم الحاجة لوسيط بين بيت الوسط والقصر، مع تصميم لدى الحريري لتأليف الحكومة بالتعاون مع الرئيس عون واعتماد المرونة وعدم ترك أي مجال لمحاولات تعطيلية في ظل سعي لولادة سريعة للحكومة في مهلة 10 أيام.

وقد عبّر عضو «تكتل لبنان القوي» النائب سيمون ابي رميا لـ «القدس العربي» عن إيجابية اللقاء بين الحريري والتكتّل برئاسة باسيل وقال «كان الاجتماع في المضمون والشكل إيجابياً جداً، والجفاء الذي كان قائماً على الصعيد الشخصي تذلّل، وفي النهاية يتطلّع الجميع إلى مصلحة لبنان. والكلام الذي سمعناه من الرئيس الحريري كان إيجابياً ومنفتحاً جداً للنقاش ولخلاص لبنان، ومن جهتنا أبدينا كل إيجابية لأن المعركة ليست معركة تيارات وأحزاب بل هي معركة إنقاذ لبنان من الانهيار الذي نعيشه».

وهل كانت هناك وساطات بين الطرفين؟ أعرب ابي رميا عن اعتقاده «أن الجميع واعون لدقة وخطورة المرحلة ولذلك لسنا بحاجة إلى وساطة. وفي ظل استحقاقات دستورية مثل هذه الاستشارات فإن من يتمتّع بمسؤولية وطنية يعرف أن عليه المشاركة فيها والتعاطي بإيجابية».

وعن حديث الوزير باسيل عن معايير موحّدة في عملية التأليف وهل إذا سمّى الثنائي الشيعي وزراءه يجب أن يسري هذا الأمر على التيار بِجيب «لا نريد إستباق الامور، كان حديثنا صريحاً مع الرئيس الحريري، والآن هو من سيؤلف الحكومة ومقاربته هي التي ستحدّد المسار الذي ستسلكه. وإذا كان تعاطي بالمعايير التي تحدّثنا عنها، وأعتقد أن هذا توجّهه وهذا ما أبلغنا به، أعتقد أنه يكون يتعاطى مع الجميع بطريقة منفتحة وسيكون هذا الأمر لمصلحة لبنان ولا نكون أمام تعقيدات».

وعن مطالبة التكتل بحكومة اختصاصيين من رئيسها إلى وزرائها يقول «الوزير باسيل شدّد على أن يكون الوزراء أصحاب اختصاص ولديهم القدرة على تنفيذ الإصلاحات ويكونوا مدعومين من القوى السياسية». ولماذا التحذير من العودة إلى زمن الوصاية السورية» يوضح ابي رميا «كان هناك تخوّف من تحالفات طبعت المرحلة السابقة وهذا ما كنا حذّرنا منه، إنما أعتقد أن هذه المرحلة يُفترض بأن يكون الجميع قد تخطّوها، ولذلك نعوّل على الرئيس المكلف أن يُسقط هذه الهواجس».

وعلى خط «تيار المستقبل» سألت «القدس العربي» النائب محمد الحجار عن نظرته إلى ترؤس النائب باسيل وفد التكتل وعدم تغيّبه عن الاجتماع فقال «الجو يتطلّب أن تتقرّب كل الأطراف من بعضها لأن البلد يتسحق أن نتجاوز كل الاشكالات الموجودة من أجل مصلحة الوطن. اليوم أمامنا فرصة المبادرة الفرنسية وفرصة سعد الحريري فلنرَ كيف نغتنم هذه الفرصة لنصل إلى حل».

عن الطلاق ومحاولات لتفكيك ألغام التشكيلة الحكومية

وعن إيحاء الرئيس عون بأن التأليف سيكون صعباً وتشكيكه بالقدرات الإصلاحية للرئيس المكلف يجيب «لنتكلّم بالحاضر الرئيس الحريري هو مكلّف، وفهمنا أن اللقاء مع رئيس الجمهورية كان جيداً، والجو اليوم جيد».

وكيف التعاطي مع مطالبة باسيل بحكومة تكنو سياسية يردّ الحجار «الرئيس الحريري قال ما لديه: حكومة اختصاصيين غير حزبيين، وهذه تتناسب مع شروط المجتمع الدولي. فإذا لم نؤلّف حكومة تحظى بثقة المجتمع الدولي لا نكون حقّقنا شيئاً ونكون كمن نضحك على أنفسنا ونستنسخ تجارب سابقة فاشلة. فلنعمل على تأليف حكومة مختلفة بالشكل وبالأداء من أجل إدارة البلد والقيام بالإصلاحات وإعادة إعمار بيروت».

وفي حال إصرار الثنائي الشيعي على تسمية وزرائه هل ستتمسّك باقي الكتل بالمعاملة بالمثل يوضح «تأليف الحكومة بحسب الدستور هو من صلاحية رئيسها بالتعاون والاتفاق مع رئيس الجمهورية وهذا ما سيحدث».

إذاً أجواء إيجابية تخيّم على مرحلة ما بعد التكليف، فهل سيُتاح للحريري أن يقدّم تشكيلة اختصاصيين خلافاً لما كان عليه الحال مع حكومتيه السابقتين عام 2016 وعام 2018؟ أم تبقى كل الأجواء التفاؤلية السرّية مجرّد سراب ويصطدم اللبنانيون بخيبات أمل جديدة؟

ويدعو البعض إلى عدم مقاربة مسألة عودة الحريري إلى السراي الحكومي إنطلاقاً من حجم الأصوات التي نالها لاظهار تراجع تمثيله من 108 أصوات في 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2016 و111 في 24 ايار/مايو 2018 إلى 65 صوتاً في 22 تشرين الاول/أكتوبر 2020 لأن ما يأبه إليه الحريري أكثر هو كيفية الإفادة من الفرصة الأخيرة المتمثّلة بالمبادرة الفرنسية لوقف الانهيار ومنع سقوط لبنان في المجهول، مدركاً حجم التداعيات عليه في بيئته الشعبية والسياسية والتي وصفها بأنها بمثابة «تجرّع السمّ» مع دعوة أوساط مطلعة إلى ترقّب الموقف الحقيقي لحزب الله من التشكيلة الحكومية ومن نظرته إلى الخيارات الاقتصادية والمالية المطروحة في برنامج صندوق النقد الدولي ومن كيفية مقاربة البيان الوزاري للخيارات الاستراتيجية وترسيم الحدود البحرية وسلاح المقاومة، لأن العقدة الحقيقية قد تبرز لدى الحزب وليس لدى التيار.

سوريا: إخراج «أحرار الشام» من المجلس العسكري مصلحة مشتركة بين الجولاني والإخوان المسلمين

تعتقد «تحرير الشام» أن إبعاد الأحرار سيجعل الصراع الإسلامي في إدلب يختزل بينها وبين الإخوان، تضم هي التيار السلفي وتتوجه باقي تيارات الإسلام السياسي المعتدل إلى حضن الإخوان المسلمين.

منهل باريش

تمر حركة «أحرار الشام» الإسلامية بأصعب أحوالها منذ الإعلان عن تأسيسها نهاية 2011 بسبب «التمرد العسكري» المدعوم من هيئة «تحرير الشام» التي يقودها أبو محمد الجولاني. ورغم قدرة مجلس شورى «أحرار الشام» على إدارة الخلاف الحاصل مع قائدها السابق حسن صوفان وقائدها العسكري النقيب المهندس عناد درويش، فشلت الحركة بتطويق حركة المتمردين بسبب مشاركة «تحرير الشام» في الهجوم على مستودعات السلاح التابعة لـ«أحرار الشام» في أريحا والفوعة، حيث تركز الهجوم على مفصلين رئيسيين من مفاصل الحركة، يدرك قائدها العسكري درويش أهميتهما بالنسبة لقدرات «أحرار الشام» العسكرية.

وأكد قائد الحركة السابق حسن صوفان التدخل العسكري لـ«تحرير الشام» في الصراع من خلال اعترافه بقيام الهيئة «بإفراغ مقرات طرفي النزاع في الفوعة وأريحا» وهو ما وصفته الهيئة في بيان لها، بعد ظهر الجمعة، قيام «أحد الأطراف بالهجوم على مقرات الحركة الرئيسية في منطقتي أريحا والفوعة». والغريب أن صوفان الذي يقود الانشقاق اليوم، استقال في حزيران (يونيو) 2019 من «أحرار الشام» وكتب في تغريدة على حسابه الشخصي على تويتر «لأسباب خاصة أعلن استقالتي من مجلس قيادة الجبهة الوطنية وحركة أحرار الشام الإسلامية، مع بقائي جندياً مع جميع جنود الثورة المباركة في معركتها الشرسة ضد النظام الكيميائي والاحتلالين الروسي والإيراني دون انتماء لأي فصيل أو جماعة وثورتنا محمية ونصر الله قريب والعاقبة للمتقين». ويظهر صوفان مع أنباء تشير إلى وجود أفكار غير متبلورة في رأس الجولاني تتعلق برغبته بتعيينه كمسؤول سياسي خارجي أو مسؤول علاقات خارجية في «تحرير الشام».

وتهدف «تحرير الشام» من دعم صوفان وعناد درويش إلى مسألتين، يعتقد الجولاني بأهمية ربح حسن صوفان وهو الذي كان حياديا في اقتتال الحركة و«تحرير الشام» وقت هجومها على باب الهوى، رغم قيادته للحركة، ولعل مجلس شورى أحرار الشام، أدرك اليوم الفخ الذي أوقعهم به وما حصل في مفاوضات التسليم التي قادها شخصيا في تموز (يوليو) 2017. وهو المفاوض البارع الذي فاوض آصف شوكت شخصيا عقب استعصاء سجن صيدنايا الشهير عام 2008.

ويعتقد الجولاني وقادته أن حصول انقسام جديد في الحركة سيكون ضربة قاضية للحركة التي عانت ظروفا صعبة منذ اغتيال قادتها المؤسسين في 2014 في بلدة رام حمدان شمال إدلب، وبهذا تتمكن الهيئة من إخراج منافسها السلفي السوري الوحيد المتبقي في الساحة. وتعتقد «تحرير الشام» أن إبعاد الأحرار سيجعل الصراع الإسلامي في إدلب يختزل بينها وبين الإخوان المسلمين، تضم هي التيار السلفي بتنويعاته وتتوجه باقي تيارات الإسلام السياسي المعتدل إلى حضن الإخوان المسلمين.

المسألة الثانية هي رغبة الجولاني السيطرة على المجلس العسكري الذي شكلته تركيا في تموز (يوليو) الماضي والذي تضم قيادته ثلاثة قادة عسكريين، هم النقيب المهندس عناد درويش، القائد العسكري المعزول لحركة أحرار الشام، وقائد أركان الجبهة الوطنية للتحرير في ذات الوقت، والقيادي العسكري البارز في فيلق الشام (الفرع المنذر) من قيادة «أحرار الشام» فخروجه دون حصول انقسام في الحركة قد يدفع قيادة «أحرار الشام» إلى الطلب من أنقرة استبداله بقائد عسكري آخر من الحركة. ويشجعها على ذلك، أن الأخيرة لم تتدخل في الخلاف الحاصل، على العكس فقد تسلمت قائد حركة «أحرار الشام» الإسلامية الكتلة المالية الشهرية عن الشهر الأخير كما المعتاد، في حين جرت العادة على إيقاف المخصصات المالية عن الفصائل في حال حصول خلافات وانشقاقات كما جرى لشهور مع «جيش إدلب الحر».

وستسيطر هيئة «تحرير الشام» على قرار المجلس العسكري وتوجهاته من خلال دعمها «التمرد» العسكري الحاصل داخل صفوف «أحرار الشام» والمتوقع نجاحه بكل تأكيد كون الهيئة دعمته عسكريا. ولا يمكن أن ينجح تمرد أبو المنذر– صوفان دون المساندة العسكرية من قبل تحرير الشام، خصوصا بعد إعلان كل قادة القطاعات العسكرية في الحركة الوقف إلى جانب قيادة الحركة بعزل النقيب أبو المنذر. حيث تقدر نسبة المنشقين بنحو 5 في المئة من مجموعة مقاتلي الحركة في أحسن الأحوال. لكن سرعان ما سترتفع هذه النسبة في حال دخلت «تحرير الشام» على خط المواجهة بشكل علني ضد الحركة، وستتعرض إلى انشقاقات جديدة من معتزلي القتال من أبناء الحركة، وقد تتعرض الحركة إلى انشقاقات مناطقية كما حصل معها في قتال 2017 عندما خرج قطاع البادية ولواء الفتح ولواء الإيمان منها. إضافة إلى احتمال تعرض الحركة إلى خلاف جهوي بين الحموريين المدينيين الذين ينحدر منهم أبو المنذر وبين أبناء الحركة الحمويين الريفيين الذين ما زالوا يشكلون قوة ضاربة في الجناح العسكري وحتى داخل مجلس الشورى. ويقدر عدد مقاتلي حركة «أحرار الشام» حاليا، بنحو 7500 مقاتل، خمسة آلاف منهم في إدلب، وقرابة 2500 عنصر في عفرين ودرع الفرات.

وفضلت قيادة الجبهة «الوطنية للتحرير» عدم التدخل لحل النزاع الحاصل في صفوف الحركة منسحبة لصالح تحرير الشام، وشجع البيان الخجول الذي أصدرته «تحرير الشام» على خط المواجهة على مستودعات الحركة في أريحا والفوعة، وهو ما يشير إلى عدم ممانعة فيلق الشام من توجيه ضربة جديدة لـ «أحرار الشام» تزيد من ضعفها وتشرذمها، حتى لو كانت نتيجتها الآنية سيطرة «تحرير الشام» على قيادة المجلس العسكري. لكن على المستوى الاستراتيجي سيصب ذلك في إخراج «أحرار الشام» كحركة إسلامية منافسة لجماعة الإخوان المسلمين من الصراع في الشمال السوري، وهو ما يسهل التحاق الحركات الصغيرة بالجماعة بعد أن كانت تستمد وجودها من قوة «أحرار الشام».

قوات هيئة تحرير الشام

السنة الثانية والثلاثون العدد 10066 الأحد 25 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 8 ربيع الأول 1442 هـ

الفصائل المسلحة تفتعل الأزمات لتعطيل الانتخابات والإصلاحات في العراق

تسريبات تأجيل الانتخابات تتزامن مع تجدد التظاهرات المطالبة بالإصلاح ورفض ألاعيب أحزاب السلطة للتهرب من مسؤولياتها عن تدهور أوضاع العراق.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

تصعيد متعمد للأوضاع الأمنية في العراق من قبل قوى شيعية وميليشيات، في مخطط لافتعال أزمة جديدة بين بغداد وأربيل، وتأجيج النزاع الطائفي وتعطيل المناقشات حول قانون الانتخابات، في تأكيد على سطوة السلاح المنفلت وعجز الحكومة عن ردعه. فيما ينشغل الكاظمي بزيارات إلى أوروبا للحصول على دعم سياسي واقتصادي وأمني، تبدو نتائجها محدودة على المشهد العراقي المتدهور، الطارد لكل أنواع الاستثمار.

وعند استعراض الأحداث والتطورات في المشهد العراقي هذه الأيام التي تحركها قوى سياسية مدعومة بفصائل مسلحة، بدءا من رفضها اتفاق سنجار ومهاجمة مقر حزب بارزاني في بغداد وتنفيذ مجزرة بلد في صلاح الدين، إضافة إلى الإصرار على عرقلة تمرير قانوني الانتخابات والمحكمة الاتحادية في البرلمان، يبدو واضحا أن ثمة خيوطا تربط هذه الأحداث وغيرها، تقف وراءها أحزاب السلطة، بهدف إفشال تحركات حكومة مصطفى الكاظمي سواء إحباط مساعيها لإجراء الانتخابات والإصلاحات واستقرار البلد أو حتى افشال جهودها لبناء علاقات ثقة وتعاون مع دول العالم التي يحتاجها العراق لفك أزماته.

ولم يكن مصادفة أن يترافق هجوم الميليشيات على مقر الحزب الكردي وإحراقه، مع مجزرة قضاء بلد في محافظة صلاح الدين، عندما ارتكبت قوة مسلحة ترتدي الزي العسكري وتستقل سيارات حكومية جريمة خطف وقتل 12 مدنيا سنيا.

وفي أعقاب الهجومين، جاء رد رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي، بعقد اجتماع لمجلس الأمن الوطني وتشكيل لجان تحقيق بالموضوع. وهو الإجراء المعتاد مع كل جريمة وانتهاك ترتكبه الفصائل المسلحة ضمن مسلسل تحديها للدولة، والذي ينتهي دائما بعدم إعلان نتائج التحقيق خوفا من غضب الفصائل وأحزابها المتنفذة، التي يزداد تنمرها كلما تردد الكاظمي في التصدي لها.

والحقيقة أن دوافع هذين الهجومين متوقعة بهذا التوقيت عقب توقيع اتفاق سنجار وقرب الانتخابات والنزاع الإيراني الأمريكي، حيث تزدهر مزايدات الأحزاب والتحشيد الطائفي والعرقي باعتبارهما أبرز الأسلحة المعتادة للأحزاب في مثل هذه الظروف. تستعرض الفصائل قدرتها على تحدي الدولة واستهداف الطرف الكردي تارة والسني تارة والأمريكي تارة أخرى أمام الشارع الشيعي، فيما يأخذ الحزب الديمقراطي الكردي دور البطل المدافع عن حقوق الكرد مستفيدا من هذا الهجوم، وحتى الساسة السنة يخدمهم ارتداء لباس الدفاع عن المكون ضد الانتهاكات والجرائم المستمرة بحقه ولو عبر البيانات. وهكذا فإن جميع أحزاب السلطة، تستفيد من التطورات لتنفيذ مشاريعها وتعزيز حظوظها الانتخابية المقبلة، خاصة وهم يدركون افلاسهم وابتعاد القاعدة الشعبية عنهم بسبب التدهور الذي أوصلوا العراق إليه.

ولأن موسم المزايدات لا يتوقف عند حد، فإن الأحزاب الكردية تستغل هذه الأيام مرور ذكرى قيام القوات الاتحادية بطرد البيشمركه من كركوك والمناطق المتنازع عليها عام 2017 عقب استفتاء الاستقلال عن العراق، لتتبادل الاتهامات فيما بينها، بالخيانة والتواطؤ مع بغداد والمسؤولية عن ضياع تلك المناطق، للتغطية على غضب الشارع الكردي من تدهور أوضاعهم المعيشية، ولتؤكد تمسكها بنزعتها الانفصالية.

أما عن ارتكاب فصائل مسلحة مجزرة جديدة في قرية الفرحانية ضمن قضاء بلد في صلاح الدين، قبل أيام، فإنها شكلت حدثا مثيرا للاهتمام، ليس في إثارته القلق من تجدد النزاع الطائفي، أو في جرأة سلطات ونواب المحافظة في تشخيص المسؤول عن ارتكاب المجزرة فحسب، بل ومن خلال مطالبتهم حكومة الكاظمي الاسراع في سحب الفصائل المسلحة من المحافظات المحررة، وتسليم الملف الأمني إلى الجيش والشرطة فقط، نظرا للسلوك الطائفي لتلك الفصائل ضد سكان المناطق السنية.

محافظ صلاح الدين، ومعظم نواب صلاح الدين والأنبار وديالى، أشاروا إلى مسؤولية ميليشيات متواجدة في المنطقة عن الجريمة، وطالبوا في بيانات بخروج الفصائل المسلحة من محافظاتهم، محذرين بتدويل القضية إذا عجزت الحكومة عن حماية سكان المحافظات المحررة، ومهددين بمقاطعة الانتخابات.

ولم تكن زيارة الكاظمي إلى مجلس عزاء الفرحاتية في بلد وإطلاقه وعودا جديدة لذوي الضحايا بمعاقبة المجرمين، ذات أثر لتكرارها مع كل جريمة جديدة من الفصائل المسلحة دون تحقيق نتائج، خاصة ان الحشد أعلن مبكرا براءة فصائله من الجريمة وإلقاء المسؤولية على شماعة «داعش» مستبقا إعلان نتائج التحقيق. فيما يرى بعض المراقبين أن الجريمة رسالة تحذير جديدة للمكون السني من الفصائل المسلحة مع قرب العملية الانتخابية، وتأكيدا ان السلاح المنفلت سيكون له دور مؤثر في الانتخابات. وهو الأمر الذي حذرت منه واشنطن وهي تضم السفير الإيراني في بغداد الجنرال ايرج مسجدي إلى قائمة عقوباتها لدوره في دعم الفصائل المسلحة العراقية.

وفي تطور لافت كشف عدد من النواب والقيادات الشيعية، وجود نوايا لأحزاب السلطة لتأجيل الانتخابات إلى إشعار غير محدد لإبقاء أحزاب السلطة في مواقعها ومنع الإصلاحات. فها هو نائب رئيس الوزراء العراقي الأسبق بهاء الاعرجي، يغرد على موقع «تويتر» قائلا: «اتفاق بين قادة الكتل السياسية على تغيير موعد الانتخابات المبكرة لتكون في تشرين الأول/اكتوبر من العام القادم، أرى أنها لن تُجرى حتى في هذا التاريخ، ولو استطاعت تلك الكتل تأمين إجراء الانتخابات في موعدها الدستوري من عام 2022 فسيُعتبر ذلك إنجازاً لها، والذي أشكك به أيضا».

وتأتي هذه التسريبات تزامنا مع تجدد التظاهرات المطالبة بالإصلاح المقرر انطلاقها في هذا اليوم 25 تشرين الأول /اكتوبر، لتأكيد تمسك الشعب بالإصلاح والتغيير ورفض الالاعيب أحزاب السلطة للتهرب من مسؤولياتها عن تدهور العراق، بالتزامن مع أوامر أصدرها الكاظمي بعدم استخدام السلاح ضد المتظاهرين.

ويبدو ان أحزاب السلطة تراهن على افتعال الأزمات الأمنية وخلق الفوضى وعرقلة تمرير قانون الانتخابات، سبيلا للتملص من تعهداتها السابقة بالتعاون مع الحكومة لإجراء انتخابات مبكرة، تنبثق عنها حكومة تلتزم باجراء الإصلاحات والتغيير المطلوب.

Volume 32 - Issue 10066 Sunday 25 October 2020

سؤال عن الحقيقة يشغل الأردنيين:

من الذي يحمي الخارجين على القانون وأي دور لهم في الانتخابات؟

عمان

أثار حفيظة الرأي العام أن جهات مجهولة تولت نشر فيديوهات توثق علاقة نواب مع العديد من الخارجين على القانون من فارضي الخاوات والأتاوات.

عمان ـ «القدس العربي»: وليد حسني

يخوض الأردنيون هذا الأوان حربهم الداخلية على جبهتين، يواجهون في الأولى تداعيات جائحة كورونا واحتجاجهم على الإجراءات الحكومية العلاجية والوقائية بعد الانتشار المجتمعي للفيروس، والثانية في مواجهة ظاهرة «الزعران وفارضي الأتاوات من الخارجين على القانون وعلى المجتمع».

في مواجهة الأردنيين لجائحة كورونا بدت الحكومة وكأنها تخسر رواياتها الرسمية المتتالية أمام الرأي العام الأردني، ولم يتردد الأردنيون في إعلان احتجاجهم على الإجراءات الحكومية التي أعلن عنها مساء الثلاثاء الماضي بفرض حظر التجول ليوم واحد فقط هو يوم الجمعة بعد ان كان ليومين «الجمعة والسبت من كل أسبوع» متهمين الحكومة بانها تسعى لمنع صلاة الجمعة.

وعلى النقيض من هذا تماما وقف الأردنيون جميعهم خلف القرار الحكومي بشن حملة أمنية واسعة النطاق من المنتظر لها أن تشمل جميع أرباب السوابق الجرمية ولكل مسجل خارج على القانون بعد حادثة فتى الزرقاء الذي تعرض لجريمة بشعة أذهلت الأردنيين حين أقدم مجرمون على فقء عين الطفل وقطع يديه بذريعة «الثار من والد الضحية».

هذه الجريمة وجهت الأردنيين وتحت تأثير الصدمة لإعلان دعمهم بدون تردد لكل الإجراءات التي تقوم بها الفرق الأمنية لمداهمة المواقع التي يختبئ فيها المطلوبون من ذوي الأسبقيات الجرمية من فارضي الخاوات والأتاوات والمعتدين على المواطنين وأملاكهم وأمنهم العائلي والشخصي.

وخلف هذه الحملة الأمنية نادرة الحدوث في الأردن تكشفت الكثير من الأوراق والملفات الخفية السرية عن عالم الجريمة، لعل في مقدمتها التساؤل الذي يطرحه الأردنيون الآن عما إذا كان هؤلاء ينفذون أعمالهم الجرمية بغطاء من متنفذين ومسؤولين في الدولة وفي مقدمتهم علاقتهم بأعضاء في البرلمان الأردني، وأي دور يلعبه هؤلاء في خدمة النواب خاصة في الانتخابات النيابية التي يستعد الأردن لإجرائها في العاشر من شهر تشرين الثاني/نوفمبر المقبل.

هذه الأسئلة التي تطغى هذا الأوان على اهتمامات الشارع الأردني وصلت إلى حد مطالبة الحكومة بالكشف عن هويات أي مسؤول أردني يثبت تعامله مع هؤلاء وعن مدى الدور الذي يقومون به في خدمتهم وكيف يتم توظيفهم وتوجيههم».

وما أثار حفيظة الرأي العام الأردني أن جهات مجهولة تولت نشر العديد من الصور والفيديوهات وهي توثق علاقة نواب مع العديد من الخارجين على القانون من فارضي الخاوات والأتاوات.

يطرح الأردنيون اليوم عشرات الأسئلة عن الأدوار الخفية التي يقوم بها هؤلاء بعيدا عن أدوارهم العلنية، على نحو طبيعة الدور الذي يؤدونه لتنفيذين وهل هو دور حمائي أم انه يتعدى ذلك إلى تصفية الحسابات الخلافية بين المتنافسين سياسيا؟

ولعل من أهم ما نتج عن فتح ملف هؤلاء أن مواطنين تعرضوا للاعتداء من فارضي الخاوات والأتاوات أعلنوا اعترافاتهم وشهاداتهم بعد ان التزموا الصمت خوفا من انتقامهم الشخصي منهم.

الخارجون على القانون من فارضي الأتاوات والخاوات لا يعملون منفردين بل ضمن مجموعات وعصابات تتقاسم مناطق جغرافية فيما بينها خاصة في الأسواق وكراجات السيارات والأندية الليلية وشوارع بأكملها.

والسؤال أين الأمن العام من هذا العالم السري الذي يفرض قوانينه بعيدا عن الدولة وسلطتها وقوانينها؟ هذا السؤال كان أحد العناوين الرئيسية في نقاشات الرأي العام الأردني، إلا ان الإجابة الصادرة عن خبراء وحتى عن جهات أمنية كانت متوافقة تماما، فالضحايا لا يشتكون، ولا يذهبون إلى مراكز الشرطة لتقديم إفاداتهم ضد هؤلاء خوفا من الانتقام والتهديدات التي تصلهم مباشرة وبدون وسطاء، ولذلك يكتفي الضحايا بالصمت، بل إن العديد منهم يلجأون لنكران أن يكونوا قد تعرضوا للتهديد او الاعتداء أو حتى إجبارهم على دفع الخاوات والأتاوات، لأن سلاح هؤلاء سيصل إما إلى الضحايا أنفسهم أو إلى عائلاتهم.

في أحد الفيديوهات المسربة والتي تم تداولها على نطاق واسع في شبكات التواصل الاجتماعي، تظهر العصابة وهي تعتدي على محل تجاري شعبي وتقوم بتدميره تماما، بل ويعتدون على صاحبه الطاعن في السن دون ان يجرأ أحد من المواطنين المحتشدين التدخل لحماية الرجل أو الدفاع عنه وهو يستغيث بهم، كان المشهد مؤلما، فقد سيطر الخوف والرعب على المشاهدين.

هذه الحادثة وقعت في الزرقاء منذ زمن ولم يظهر الفيديو إلا عقب الحملة الأمنية، وحاول صحافيان تتبع القصة والحصول على شهادة الرجل الذي اعتدي عليه، فأنكر الحادثة، ورفض الحديث فيها، وكذلك فعل جيرانه بالرغم من ان الفيديو يوضح كل شيء.

كان الخوف سيد المكان، وسيد القصة كلها.

والسؤال الذي لا يزال معلقا، إلى اين ستنتهي هذه الحملة؟ ومتى؟ وهل يمكن معالجتها وبالتالي اختفاؤها من المجتمع الأردني؟

ليس المجتمع الأردني مثاليا والجريمة فيه لا تزال في حدودها الطبيعية، ولربما يكون الأردن من أقل الدول انتشارا للجريمة المنظمة، إلا أن بشاعة جريمة فتى الزرقاء هي التي علقت الجرس شعبيا وحكوميا، والجميع هنا مدين تماما لمن قام بتصوير الفتى وبثه على فيسبوك، ولولا هذا الفيديو لمرت جريمة «فتى الزرقاء « كأي جريمة أخرى، غاب عنها الشهود، ونجا منها الفاعلون.

اليمن: توقعات حول إعلان تشكيل الحكومة الائتلافية واحتمالية فشلها

يرى مراقبون ان نجاح مهمة التشكيل الحكومي الجديد سيظل مرهونا بخروج ميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي من عدن، ولا توجد مؤشرات على ذلك ما سينعكس سلبا على مستقبل الحكومة المرتقبة.

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

توقعت مصادر سياسية يمنية أمس عن انفراج محتمل لأزمة تشكيل الحكومة الائتلافية التي من المقرر ان يشارك فيها المجلس الانتقالي الجنوبي، ذو التوجه الانفصالي بدعم من دولة الإمارات العربية المتحدة، والتي تأخر تشكيلها منذ توقيع اتفاق الرياض في 5 تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الماضي.

وعلمت «القدس العربي» من مصدر حكومي طلب عدم الكشف عن هويته ان «كافة الأطراف توصلت إلى اتفاق نهائي بشأن تشكيل الحكومة الائتلافية الجديدة بما في ذلك عملية توزيع حقائبها على الأحزاب والكيانات المختلفة وأن إعلان تشكيلها أصبح قاب قوسين ومتوقع صدور قرار جمهوري بالتشكيلة الحكومية في أي لحظة».

وأوضح أن «أحزاب المؤتمر والإصلاح والاشتراكي والناصري والرشاد والبناء والتنمية بالإضافة إلى المجلس الانتقالي الجنوبي اتفقوا على عملية التوزيع للوزارات الحكومية حسب المقرر لكل طرف منهم وفقا لآلية تسريع تنفيذ اتفاق الرياض التي أطلقتها السعودية نهاية تموز/يوليو الماضي».

وذكر أن «التأخر الكبير الذي حصل في توزيع الحقائب الوزارية خلال الفترة الماضية كان بسبب إصرار المجلس الانتقالي الجنوبي على الحصول على حقائب وزارية سيادية أو ذات أهمية كبيرة ولا تتناسب مع طبيعته وحجم حضوره الشعبي، واستمر الخلاف حيال ذلك حتى تم حسم الموضوع مؤخرا بمنحهم حقائب وزارية أكبر من حجمهم بضغط سعودي وتنازل حزب الاشتراكي اليمني عن إحدى حقائبه الوزارية لصالح الانتقالي الجنوبي».

وكشف أن المشكلة الكبيرة التي ما زالت عالقة ليست إعلان التشكيل الحكومي وإنما عدم قبول الانتقالي الجنوبي إخراج ميليشياته من محافظة عدن وهو ما سيبقي الوضع العسكري والأمني الراهن على ما هو عليه حتى بعد التشكيل الحكومي، حيث تسيطر ميليشيا الانتقالي الجنوبي عسكريا بدعم إماراتي على محافظات عدن وما جاورها من المحافظات الجنوبية منذ آب (أغسطس) من العام الماضي، وتمارس سلطة أمر واقع في تلك المناطق ولا تسمح للأجهزة والمؤسسات الحكومية بممارسة سلطاتها المحلية والمركزية.

وسرّبت مصادر رسمية التشكيلة الجديدة للحكومة الائتلافية المقرر إعلانها في أي لحظة المكونة من 24 حقيبة وزارية يتم توزيعها مناصفة بين المحافظات الشمالية والجنوبية حسب بنود اتفاق الرياض الموقع بين الحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي الجنوبي في 5 تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الماضي برعاية المملكة العربية السعودية، والذي تعثر تنفيذه على أرض الواقع إثر رفض المجلس الانتقالي الجنوبي تنفيذ البنود المتعلقة بالجانب العسكري والأمني، وفي مقدمة ذلك إخراج ميليشياته من محافظة عدن حتى يتسنى للحكومة ممارسة سلطاتها بعيدا عن الهيمنة العسكرية والأمنية للانتقالي الجنوبي.

وذكرت هذه المصادر أن الحقائب الوزارية في الحكومة الائتلافية المزمع إعلانها قريبا برئاسة الدكتور معين عبدالملك ستكون: حصة الرئيس عبدربه منصور هادي من هذه الحكومة 4 حقائب وزارية سيادية هي وزارة الدفاع (من الشمال) والداخلية (من الجنوب) والخارجية (من الشمال) ووزارة المالية (من الجنوب) وحصة حزب المؤتمر الشعبي العام 4 حقائب وزارية هي النفط والمعادن، وزارة الإعلام والثقافة والسياحة، والعدل، ووزارة الشؤون القانونية وحقوق الإنسان، وحصة حزب التجمع اليمني للإصلاح 4 حقائب وزارية هي الشباب والرياضة، والصناعة والتجارة، والصحة العامة والسكان، وزارة التعليم العالي والمهني.

وحصل المجلس الانتقالي الجنوبي على 4 حقائب وزارية هي وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، والأشغال العامة والطرق، وزارة النقل، ووزارة الثروة السمكية والزراعة، بالاضافة إلى إحدى حقائب الحزب الاشتراكي اليمني، حيث حصل على حقيبتين وزاريتين هما وزارة التخطيط والتعاون الدولي ووزارة المياه والبيئة.

وحصل بقية الأحزاب والمكونات السياسية اليمنية على حقيبة وزارية لكل منها، كان نصيب التنظيم الوحدوي الناصري وزارة الإدارة المحلية وشؤون الحوار الوطني، ونصيب حزب الرشاد السلفي وزارة الأوقاف والإرشاد، ونصيب المكون القبلي والسياسي (حضرموت الجامع) وزارة التربية والتعليم، فيما ما زال توزيع بقية الحقائب الوزارية الخدمية محل خلاف شديد وهي وزارة الكهرباء، الاتصالات، والخدمة المدنية والتأمينات، والتي تعد من الوزارات المثقلة بالأعباء والمعوقات وتمس حياة اليمنيين بشكل مباشر والتي تهربت العديد من الأحزاب قبول أن تكون إحدى هذه الوزارات من حصتها وفي مقدمة ذلك حزب العدالة والبناء الذي تمرد على سياسة الحكومة وينتقد توجهاته بشدة ويطالب بضرورة عودتها إلى الداخل اليمني لممارسة عملها من هناك بعيدا عن الهيمنة السعودية.

وتوقع مراقبون انه حتى في حال نجاح إعلان التشكيل الحكومي الجديد فإن نجاح مهمتها سيظل مرهونا بمدى خروج ميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي من محافظة عدن، والذي لا يوجد حتى الآن مؤشرات أو بوادر ملموسة للقبول بذلك وهو ما سينعكس سلبا على مستقبل الحكومة الائتلافية المقرر إعلانها قريبا وسيكون مصيرها مثل مصير الحكومة المنتهية صلاحياتها التي وصلت إلى طريق مسدود مع المجلس الانتقالي قبل سيطرته على محافظة عدن ما بالك بعد سيطرته الكاملة عليها وأصبحت تحت نفوذه الأمني والعسكري بدون منازع.

تبادل الأسرى في عدن

حدث الأسبوع

السلطة تمضي في مسار تعديل الدستور دون تغيير حقيقي

الجزائر في مواجهة غضب شعبي ومخاوف من انفجار الوضع لانسداد الأفق بين النظام والحراك

الدوحة ـ «القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

يرى المتابعون أن السؤال العميق الذي طرحته «الفورين أفيرز» عشية الانتخابات السابقة والتي أتت بالرئيس الحالي عبد المجيد تبون، لا يزال يطرح نفسه بقوة، مع استحقاق تعديل الدستور الذي تراهن عليه السلطة. وكانت المجلة البحثية افتتحت دراسة حول الجزائر نهاية 2019 تساءلت فيها: «ماذا لو تم إجراء انتخابات ولم يصوت أحد؟ يواجه الجزائر مجدداً السؤال ذاته، ونفس الظروف التي كانت حينما قررت حكومة الرئيس المؤقت عبد القادر بن صالح آنذاك إجراء انتخابات رئاسية في 12 كانون الأول/ديسمبر» تخيم على المشهد السياسي.

«الفورين بوليسي» قالت أن تلك الانتخابات قد تنتهي كتمرين عبثي: فقد رفضت جميع المنظمات السياسية والمدنية الجزائرية تقريبًا، تأييد المرشحين الرسميين الخمسة ودعت الجزائريين إلى الامتناع عن التصويت. وللمفارقة، فإن فشل هذه الانتخابات سيؤشر على نجاح التطلعات الديمقراطية للبلاد، كما تعبر عنها ظاهرة هيمنت على المشهد السياسي الجزائري منذ أواخر شباط/فبراير: الحراك.

وبعد هذا الاستحقاق الذي مر، لا يزال المراقبون يعيدون نفس السؤال.

وعادت المجلة ذاتها في دراسة أخرى لتحليل المشهد السياسي الجزائري، على ضوء موجة الحراك السلمي للشعب. واعتبرت إن الانقلاب السلمي على بوتفليقة ليس انجرافاً، بل إنه يعكس اتجاهاً مفاجئاً عبر الثارة» على الرغم من التصورات الشائعة لأفريقيا باعتبارها ممزقة بالعنف والصراع.

واعتبر خبراء الفورين أن من بين الحركات الاحتجاجية التي اندلعت مؤخرًا في جميع أنحاء العالم، يقف الحراك الجزائري، منفصلاً، ومختلفاً عن غيره.

وكشف «مجلس أتلانتيك» في ورقة بحثية، أنه بعد أيام من الاضطرابات والاحتجاجات الكبيرة في الشوارع في جميع أنحاء البلاد، في 13 كانون الأول/ديسمبر تم انتخاب عبد المجيد تبون – رئيس الوزراء الجزائري الأسبق الذي خدم في ظل حكم عبد العزيز بوتفليقة الذي دام عقدين – رئيسًا للجزائر بنسبة 58.15 في المئة من الأصوات. كانت نتيجة غير متوقعة لبعض المحللين. ومع ذلك، لم يكن الأمر متوقعًا بالنسبة لغالبية الجزائريين الذين، بعد عشرة أشهر من المظاهرات، يواصلون المطالبة بتفكيك نظام السلطة الذي حكم الجزائر منذ استقلالها.

وتنطلق الدراسات الأكاديمية التي تتابع الشأن الجزائري، على ضوء التفاعلات الحاصلة في المشهد السياسي، من كون الرئيس الجديد يمثل المؤسسة القديمة. في الواقع، جميعهم (تقصد الشخصيات التي تتصدر المشهد حالياً) شغلوا مناصب رسمية في ظل رئاسة بوتفليقة ومرتبطون بالسلطة – وهو لقب مشترك بين الشعب الجزائري – والذي يشير إلى النظام السياسي المتفشي والفاسد والدائرة الداخلية للجزالات الذين يحتفظون بالسلطة الحقيقية للدولة.

ويشير المتابعون للشأن الجزائري أن السلطة تراهن على الانتخابات المقبلة، أي الاستفتاء على تعديل الدستور، وتعتبره استراتيجياً، بالرغم من المطالب التي تقدمت بها فئات من الشعب تطالب بتغيير حقيقي. ويأتي في هذا السياق تأكيد الفريق السعيد شنقريحة رئيس أركان الجيش الوطني الشعبي، في تصريح سياسي حول تعديل الدستور، وقوله: «هذا الشعب الأبي سيخرج بقوة للمشاركة في الاستفتاء على مشروع تعديل الدستور ويدلي بصوته السيد بخصوص التعديلات المقترحة مفوتا بذلك الفرصة على المتربصين بأمن واستقرار جزائرنا الغالية».

التصريحات الرسمية لأقطاب النظام الجزائري حول حتمية التغيير عبر استحقاقات انتخابية لا تزال محل تشكيك، يعتبرها خبراء أنها تعاكس المطلب الأصيل للمحتجين وهو القطيعة مع النظام.

معهد واشنطن للدراسات أشار في دراسة نشرها، أن استقالة بوتفليقة بعد عشرين عامًا من حكم البلاد، شكلت في الواقع حدثًا بارزًا في الحياة السياسية المعاصرة في الجزائر، لكنه استطرد أن الأسابيع القليلة الماضية، أظهرت أن استقالته لم تكن سوى بداية سلسلة أحداث سياسية غير متوقعة، إذ خلقت مناخًا سياسيًا أكثر تعقيدًا كما اتضح اليوم.

وعلى الرغم من التظاهرات المستمرة والتي توقفت مؤقتاً بسبب جائحة كورونا، في الجزائر، ستحتاج البلاد، بحسب توقعات كثيرة، إلى المزيد من الوقت لإرساء دعائم الاستقرار، إما من خلال الانتخابات، كما ينص الدستور، أو الإجماع حول فترة انتقالية سياسية، كما تطالب بعض القوى الاجتماعية والسياسية.

ويُعزى هذا الغموض السياسي إلى ركود من جانب المؤسسة العسكرية، وعدم تنظيم لدى المتظاهرين. وفهم دوافع الطرفين بشكل أوضح سيساعد على بلورة ما يجب توقعه خلال الأسابيع القليلة المقبلة في السياسة الجزائرية، على حد تأكيد المعهد.

انتخابات عاجلة

بعد استقالة بوتفليقة، أنجز النظام السياسي، بعجلة نحو وضع خارج عن سيطرته، بالنسبة إلى القيادة العسكرية، وهي صاحبة السلطة الفعلية في الجزائر، حيث كشفت استقالة الرئيس السابق عن «الصندوق الأسود» الحاكم ووضعت هذه القيادة في مواجهة مباشرة مع المتظاهرين في الشارع.

لذلك، دعا رئيس أركان الجيش الراحل، أحمد قايد صالح، مرارًا إلى إجراء انتخابات رئاسية بأسرع وقت ممكن. فالقيادة العسكرية في الجزائر معتادة على الحكم من خلف الكواليس وتتطلع بالتالي بلهفة لفرض واجهة مدنية كالعادة خلال الانتخابات المقبلة. وفق ما أشارت الورقة البحثية لمعهد واشنطن.

وترى أنه بالنسبة إلى «الطغمة العسكرية» يُعدّ تنظيم الانتخابات، الاستراتيجية الوحيدة التي قد تسمح للنظام القديم بإعادة تعزيز سلطته. ولتجنب التغيرات المحتملة الخارجة عن سيطرتها، أقرت القيادة العسكرية سلسلة من الإصلاحات الرمزية ولكن غير الأساسية. ونتيجة لذلك، شهدت الجزائر سلسلة اعتقالات لمسؤولين سابقين رفيعي المستوى من الجهازين العسكري والمدني، على خلفية تهم متعلقة بالفساد والأمن خلال الأشهر الماضية، بمن فيهم كثر من رموز إدارة بوتفليقة. وكان الهدف من الاعتقالات تهدئة الحراك الشعبي في الجزائر وكسب ثقته مع تفكيك جناح بوتفليقة. ولكن عدة لاعبين سياسيين واجتماعيين اعتبروا الاعتقالات «سياسية» و«تعسفية».

أجواء شك بين الشارع والنظام

يرى باحثون أن عدم ثقة المتظاهرين بالمؤسسة الحاكمة الجزائرية، أفشل هذه المحاولات، ومحاولات أخرى سابقة، لفرض خريطة طريق النظام نحو الانتقال في الجزائر. فقد سعى قائد الأركان الراحل قايد صالح، أن يقسم الحراك الشعبي عبر خطوط إيديولوجية وإثنية عبر التذكير بالهوية الأمازيغية، واعتبار العلم الأمازيغي تهديدًا للوحدة الوطنية. ولكن خطابه اعتُبر على نطاق واسع عنصريًا ومهينًا لأحد أبرز رموز الهوية الجزائرية. وبالرغم من الجهود الدعائية، ما زال المتظاهرون غير مقتنعين بخريطة طريق القيادة العسكرية الحاكمة ويخشون أن تسمح الانتخابات، من دون أي تغيير منهجي سابق، ببساطة للنظام القديم بإعادة التكون بحلة جديدة.

ويشدد مركز «إريس» الفرنسي للأبحاث السياسية، التأكيد على أن حركة الاحتجاج الحالية يقودها شباب جزائريون من الطبقة الوسطى، متعلمون جيدًا وناضجون سياسيًا، يطمحون للمشاركة السياسية والتغيير. ظهرت هذه الفئة بفضل التقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي تم إحرازه في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، واعتماد نظام السوق المفتوحة، وارتفاع الأجور، والتوظيف الجماعي الضخم.

كما تلعب الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، على حد تأكيد الباحثين، دورًا مهمًا في مساعدة الجزائريين على نشر الأخبار حول الفساد، كبدائل للإعلام الخاضع للرقابة، وكذلك في بث الاحتجاجات وتنسيقها في جميع أنحاء البلاد، خارج الهياكل السياسية التقليدية.

ويعتبر خبراء المركز أن تطورات الوضع السياسي في البلاد، يستدعي التساؤل عن النموذجين الراسخين اللذين هيمنا على البحث الأكاديمي حول السياسة والنظام السياسي لسلطة الدولة منذ الحرب الأهلية في التسعينيات.

وصرح جيف بورتر، المتخصص في شمال أفريقيا من مكتب استشارات، أن «هذا النهج نجح في الماضي، لكن المجهول الكبير هذه المرة هو المدة التي تظل فيها أسعار النفط منخفضة ومدة تأثير جائحة فيروس كورونا المستجد».

وترى مؤسسة القانون المالي الدولي البحثية، في ورقة أصدرتها مؤخرا، أن تنظيم الانتخابات التي أعلنتها السلطة لتعديل الدستور، تأتي في وقت يشهد فيه البلد تحديات محورية، تطرح تساؤلات عن امكانية الخروج من النفق.

وتإكد أنه في مواجهة الضغوط السياسية والاجتماعية المحلية من أجل التغيير، وبيئة عالية صعبة مع تراجع أسعار النفط ووباء كوفيد –19 ترسل الحكومة الجزائرية الجديدة إشارات قوية بأنها مستعدة لجذب المستثمرين الأجانب لتعزيز الاقتصاد. لكنها بالمقابل تتحدث عن المعوقات التي تحول دون تحقيق هذه الخطط على أرض الواقع.

تحديات اقتصادية ووضع هش

أشارت وكالة رويترز، في تحليل للوضع الاقتصادي في الجزائر، أن البلد يواجه بالفعل أزمة مالية تلوح في الأفق، بسبب سنوات من انخفاض عائدات الطاقة، وضعف القطاع الخاص، حيث الإصلاحات قد تؤدي إلى تفاقم الأزمة السياسية في البلاد.

وأضافت أنه على الرغم من إقرار الحكومة والبرلمان علنًا بالحاجة إلى إجراءات طويلة الأجل لتقليل العجز، إلا أنهما يواجهان أيضًا أكبر تحد وتراجعت احتياطات الصرف التي تعدت 194 مليار دولار في العام 2013 حيث تآكلت منذ 2014 بصورة مستمرة، لتفقد أكثر من 100 مليار دولار خلال 4 سنوات لتصل إلى 92 مليار دولار العام 2017 وتستقر حالياً في حدود أقل من 60 مليار دولار، على أن توقعات قانون المالية لسنة 2021 يحددها بمستوى 47 مليار دولار.

ويرى الخبراء أن السلطات الجزائرية لم تفكر كثيراً في إيجاد البدائل للمداخيل النفطية، ذلك أن طبيعة نظام الحكم، جعلت آلية الإنفاق العام تستخدم كوسيلة من وسائل التحكم في الوضع العام للبلاد، وذلك باتجاه التصرف في أموال الدولة بصورة إدارية لا تمت للمنطق الاقتصادي بصلة.

وتذهب الدراسات التي تتناول الشأن الجزائري، التأكيد على أن شراء السلم الاجتماعي قد دفع إلى تبني سياسات واسعة للدعم، عن طريق التحويلات الاجتماعية وذلك بتخصيص نصف ميزانية الدولة للسنة المقبلة 2021 في شكل مساعدات اجتماعية مباشرة وغير مباشرة. بما يقارب 4000 مليار دينار (ما يقابل 31 مليار دولار تقريبا). وهو ما يعني الإبقاء على صيغة الدعم الشامل دون التفريق بين مختلف أصحاب المداخيل، وهو النهج المتبع منذ العام 2011 عند انطلاق ثورات الربيع العربي. حيث رفعت السلطة آنذاك مستوى الإنفاق العمومي بـ 60 في المئة دفعة واحدة من أجل مواجهة أي اضطرابات اجتماعية في علاقة مع سوء الأحوال المعيشية.

وظلت درجة تحمل الأعباء الجديدة مرتبطة بالمداخيل النفطية أساساً، وهي الوضعية التي أصبحت لا تطاق منذ تسجيل التراجع في أسعار النفط منذ العام 2014 وهو ما أدى إلى انحصار إمكانيات الدولة في توفير الأموال اللازمة للإبقاء على نفس مستوى الإنفاق.

تضييق على الحريات

المشهد الجزائري عشية انتخابات السلطة لتعديل الدستور، تخيم عليها مخاوف عدة تبديها منظمات حقوق الإنسان الدولية، التي عبرت في مناسبات مختلفة عن قلقها من تدني الحريات.

وأبدت لجنة حماية الصحفيين خشيتها من الوضع الحالي في الجزائر، وأشارت في تقرير لها أنه بعد أسبوعين من سجن صحفي جزائري معروف، صدر حكم على مراسل صحفي سابق بالسجن بسبب تعليقات نشرها على شبكة الإنترنت، مما عزز المخاوف من أن الرئيس الجزائري الجديد، عبد المجيد تبون، ماض على خطى سلفه فيما يتعلق بسجله في سن سياسات تقييدية لحرية الصحافة على الرغم من وعوده بإجراء إصلاحات ديمقراطية.

ونشرت اللجنة تصريحاً لمصطفى بن جامع وهو من مناصري حرية الصحافة ورئيس تحرير موقع «لوبروفنسال» الإخباري الجزائري، أكد فيه أن «مناخ حرية الصحافة تغير كثيراً في عهد تبون، نحو الأسوأ».

وكانت حرية الصحافة قد شهدت تراجعاً في عهد الرئيس الجزائري السابق عبد العزيز بوتفليقة الذي دام 20 عاماً. ففي عام 2006 أصدر بوتفليقة مرسوماً يحظر فيه على الصحافة مواصلة التحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتُكبت خلال الحرب الأهلية من عام 1991 وحتى عام 2002 إلى جانب أمور أخرى، طبقاً لما أشارت إليه لجنة حماية الصحافيين في رسالة وجهتها آنذاك واعترضت فيها على ذلك القانون. ولاحقت إدارة بوتفليقة أيضاً الصحافيين بصفة فردية. وكان زغيلاش، وهو المراسل الإذاعي السابق الذي حُكم عليه مؤخراً في عهد تبون، قد سُجن سابقاً لمدة 49 يوماً سنة 2018 حسب ما ذكرته زميلته ليندا ناصر، والتي أفادت للجنة حماية الصحافيين إن زغيلاش استُهدف بسبب بثه لبرنامجه الإذاعي الإلكتروني، «ساباركان» دون ترخيص وبسبب إهانته المزعومة للرئيس على موقع الإذاعة.

وتزداد مع مضي السلطة في مسعى ترتيب الوضع وفق استراتيجيتها، المخاوف من انسداد الأفق بين الشارع والنظام، حيث لا يزال الحراك يدعى إلى القطيعة مع الممارسات السابقة، والمضي نحو إعادة تشكيل المشهد بنظام تأسيسي ينقل البلد نحو الأمان، بمشاركة أبنائه من كافة الأطياف والمشارب.

وسيظل المطلب يطرح نفسه مع كل موعد انتخابي جديد تراهن عليه السلطة المتهمة بصم آذانها عن مطالب الحراك الجزائري، الذي يستمر في مسعى النظام السلمي حتى تحقيق مطلب التغيير الحقيقي.

حراك الجزائر: جدل التطهير والانكسار

صبحي حديدي

«اللجنة الوطنية لتحرير المعتقلين»، أو الـCNLD، هي إحدى منظمات المجتمع المدني في الجزائر، التي انبثقت كهيئة اعتبارية وحقوقية بارزة على خلفية الانتفاضة الشعبية («الحراك» في التسمية الشائعة)، وسرعان ما اتخذت صفة إحصائية لافتة؛ لأنّ نشطاءها عكفوا على إحصاء شبه يومي لحملات الاعتقال المتواصلة التي تشنها السلطة في غالبية المدن والبلدات الجزائرية.

لكنّ هذه الهيئة تؤشر، من جانب آخر، على حال الانحسار التي أخذ يعاني منها الحراك في مستويات شتى، أوضحها قدرة اللجان على استئناف المبادرة في التنسيق والحشد وتنظيم المسيرات بأعداد مقبولة؛ لم تعد ترقى إلى معدلات أسابيع الانتفاضة الأولى، بعد 22 شباط (فبراير) 2019، ولكنها أيضاً تراجعت إلى درجات سمحت للرئيس الجزائري عبد المجيد تبون أن يتساءل، مؤخراً، عمّا إذا كان الحراك موجوداً أصلاً. جائحة كوفيد ـ 19 منحت السلطة غطاء شرعياً لمنع تنظيم التظاهرات والاعتصامات، استمدت منه سياسات جديدة في القمع والاعتقال والتنكيل، مقابل محاولات ذرّ الرماد في العيون عن طريق محاسبة بعض رجالات العهد السابق؛ فضلاً، كما يتوجب التشديد، عن سلسلة أسباب ذاتية آلت إلى هذا المظهر أو ذاك من ترهّل ديناميات الحراك ذاته، وقواه المحرّكة.

وليس من الإنصاف الافتراض بأنّ المشهد الراهن، بعد الانتخابات الرئاسية في كانون الأول (ديسمبر) الماضي، واقتراب موعد الاستفتاء على التعديلات الدستورية، وهبوط نبض الاحتجاج في الشارع الشعبي؛ يرجّح عودة عقارب الساعة إلى ما قبل إزاحة عبد العزيز بوتفليقة، أو حتى إعادة عدّاد التغيير في الجزائر إلى نقطة الصفر. ليس هذا بسبب قوانين التاريخ الكبرى التي تسير دائماً إلى أمام، أياً كانت المعطيات الدالة على العكس، فحسب؛ بل كذلك لأنّ ما نجحت الانتفاضة الشعبية في إنجازه خلال هذه الفترة، القصيرة نسبياً، يصعب وأده تماماً وكأنّ أيّ تبدّل جوهري لم يطرأ على حياة الجزائر والجزائريين.

المنطق الأبسط، السياسي والاجتماعي والاقتصادي، يقول إنّ نسبة الإقبال (الفعلية، لا الملفقة) على إقرار التعديلات الدستورية ستكون علامة أولى فارقة بصدد موقف الشارع الشعبي الرافض لبرامج السلطة الراهنة، والذي يواصل بالتالي الثورة على ركائز نظام قديم ما تزال ضاربة الجذور. ولعلّ المنطق ذاته يقول بأنّ سلوكيات أمنية أشدّ شراسة، خاصة في ميادين قمع الحريات والصحافة وحقّ التعبير والرأي والتجمع والتظاهر، سوف تتعاظم من جانب السلطة.

فإذا جاز النظر إلى هذا المشهد من زوايا جدلية، تأخذ بعين الاعتبار واقع قوى الثورة المضادة في الداخل، وإعادة إنتاج هذا أو ذاك من أنساق الهيمنة في النظام القديم، وشبكات الفساد التي لا يسهل اقتلاعها أو حتى تحييدها، من جانب أوّل؛ ومظاهر انحسار زخم الحراك، لأسباب سبق ذكرها وأخرى قد تطرأ في المستقبل القريب، من جانب ثانٍ؛ فإنّ في الوسع القول إنّ المشهد الراهن يسجّل انتصاراً لمركّب الاستبداد والفساد، العسكري/الأمني/الاقتصادي، الذي حكم الجزائر من خلف ظهر بوتفليقة. ثمة، إلى هذا رابح لم ينتصر تماماً، ولكنه لم يُهزم نهائياً أيضاً، هو الشخصية الوطنية الجزائرية؛ ذاتها التي أسهب في الحديث عنها مناضل ومفكر وطبيب نفسي انتمى إلى الثورة الجزائرية رغم أنّ مسقط رأسه في جزر المارتينيك تفصله عن الجزائر بحار ومحيطات. ولقد ساجل فرانز فانون (1925 ـ 1961) بأنّ استئناف الشخصية الوطنية، بمعنى تأكيدها وتطويرها أو حتى إعادة خلقها في ميادين محددة، يتوجب أن يتصدّر أجندات ما بعد التحرر من الاستعمار، أسوة بأطوار بناء الدولة الوطنية حيث لا يجوز استبعاد احتمالات صعود الاستبداد وسيطرة الفساد.

ولعلّ أولى علامات «التطهير» الثوري الذي تنبأ به فانون، إزاء الثورة المضادة، بدأت لتوّها مع الحراك؛ ولا تقول سنن التاريخ إنها سوف تتكسر بعد جولة أولى أو ثانية أو ثالثة، أو أن يحمل الانكسار صفة قصوى نهائية.

السنة الثانية والثلاثون العدد 10066 الأحد 25 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 8 ربيع الأول 1442 هـ

حراك الجزائر: كسب معركة وخسر أخرى

محمود بلحيمر

انتهى أم لم ينته؟ ذلك هو السؤال الذي يُطرح اليوم في الجزائر بشأن ما يُعرف بالحراك، تلك التظاهرات العارمة غير المسبوقة التي شهدتها مدن الجزائر في 22 شباط/فبراير 2019 ردا على عزم الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة الترشح لولاية خامسة وهو مريض على كرسي متحرك، وتواصلت تلك التظاهرات لعدة شهور رافعة مطالب سياسية واجتماعية، أهمّها الشروع في مسار انتقال ديمقراطي يفضي لإقامة دولة القانون ويضمن الحقوق والحريات الأساسية. وباختصار انتفاضة من أجل الكرامة.

حقّق الحراك أشياءً كثيرة وأخفق في أخرى، بل ربما كان يُراد له تحقيق أشياء خارجة عن طبيعته. وفي الواقع، كان سقف التوقعات من الحراك كبيرا للغاية منذ البداية، لا سيما عندما يُنظر إليه كحركة سياسية تعود لها الكلمة الفصل في رسم مسار الانتقال السياسي في البلاد وبناء نظام جديد. لكن، عمليا، نجح الحراك في طرد بوتفليقة من السلطة وتسبّبَ في إطلاق حملة ضد الفساد، شكك فيها البعض، لكنها قادت كبار مسؤولي الدولة، من بينهم رئيسا وزراء، وقادة أمنيين ورجال أعمال إلى السجن، وأعاد طرح الأزمة العميقة والقديمة لنظام الحكم في البلاد. وفي المقابل، لم يكن للحراك دور في القرار السياسي الحاسم الخاص بمسار بناء النظام السياسي (الجديد) عندما فرضت السلطة خيارها بتنظيم انتخابات رئاسية، عارضها ناشطون من الحراك ومن الأحزاب باعتبارها، حسبهم، لا تختلف عن الانتخابات السابقة. وتمضي السلطة الآن، أحاديا دائما، في تعديل دستوري يرفضه رموز الحراك وعدٌ من أحزاب المعارضة، ولا يرى مراقبون أنه يحمل إضافة من شأنها أن تُسهم في حل المعضلات الأساسية والمستعجلة لجزائر اليوم.

لقد تحوّل الانشغال بشأن الحراك من: كيف يمكنه أن يشكّل قوة سياسية موّحدة تجتمع على أرضية سياسية، تُفاوض على أساسها السلطة في عملية إعادة بناء النظام السياسي إلى: هل الحراك انتهى أم لا يزال حيًا؟ بمعنى إلى أي مدى يمكن التعويل على زخم التظاهرات العارمة واستراتيجية احتلال الشارع لإرغام السلطة على قبول مطالب الشارع؟

هناك عدة عوامل ساهمت في تراجع زخم الحراك أذكر منها عاملين رئيسين، أولا: وباء كورونا الذي أدّى إلى وقف التظاهرات في الشارع كلية خوفا من انتشار عدوى المرض، ثانيا: عجز الحراك عن الانضواء في شكل تنظيم سياسي، بأرضية سياسية منسجمة وبمسؤولين معروفين يكونون محاورين رسميين للسلطة. لقد طُرحت أفكار متضاربة بهذا الشأن لكن النقاشات داخل الحراك لم تُفلح في معالجة هذا الخلل. البعض لا يعتبره خللا إطلاقا على أساس أن الحراك ليس مطالبا بتشكيل تنظيم أو حزب أو قيادة وإنّما هو أداة ضغط لتحقيق مطالب التغيير السياسي. لكن كيف؟ وهل هناك توافق على تلك المطالب، لاسيما المسائل المثيرة للجدل السياسي في المجتمع، كالهوية والدين والثقافة إلخ، وهي مواضع حساسة ولا يمكن أن نزعم أن هناك توافقا حولها؟ ولا ننسى الإشارة هنا إلى المضايقات الأمنية والمتابعات القضائية التي طالت عددا من النشطاء والتي أثّرت سلبا على الحراك. هل يعني كل ذلك نهاية الحراك وأنّه لن يُحرّك الشارع مستقبلا ولن يُؤثر في الحياة السياسية للبلاد؟

الشارع وسيلة ضغط

بالنسبة للكاتب الصحافي الجزائري عابد شارف فإن الحراك وصل إلى نهايته. ويقول في تصريح خاص لـ«القدس العربي»: «بمعنى أن طريقة الاحتجاج التي كانت تجدّد الجزائريين بشكل إجماع وطني انتهت، وذلك لأن الأسباب التي انتجت تلك الديناميكية زالت، أسباب تتلخص في وضع حد لعهد بوتفليقة وإزالة (تبهديلة) الحكم السابق واستعادة حد أدنى من كرامة الجزائريين مع إعادة الاعتبار للفعل السياسي».

هل يعني ذلك انتفاء الأسباب التي تدفع الناس للخروج مجددا إلى الشارع؟ يجيب عابد شارف: «أعتقد أن عددا من أسباب الاحتجاج ما زالت قائمة لكنها ليست بحدّة ما عرفناه قبل 22 شباط/فبراير 2019 وإمكانية تجنيد الجزائريين ضدها بأعداد ضخمة تراجعت. يبقى الشارع وسيلة ضغط قائمة، لكن البلاد ستعود إلى وسائل ضغط تقليدية، خاصة إذا تم تنظيم انتخابات تشريعية مقبولة. غير أن حدّة الضغوط لن تبلغ ما وصل إليه الحراك. مع الإشارة إلى أن الضغوط تتصاعد لكنها ستكون جزئية أو فرعية، إما اقتصادية واجتماعية، إما متعلقة بالهوية، لكنها لن تكون وطنية شاملة، إلا إذا عادت السلطة إلى سلوك يشبه ما عشناه في عهد بوتفليقة، وأعتقد أن ذلك مستبعد في المستقبل القريب».

في المقابل يرفض المتحمسون للحراك التسليم بصدقية هذا التحليل؛ فهم يرون أن السلطة في حالة تخبط وسترتوش في نهاية المطاف لمطالب الحراك، المرشح لكي يستمر بعد القضاء (المحتمل) على كورونا. وهذا الفريق يحنّ لتلك الملحمة الجميلة التي صنعها الجزائريون في الأيام الأولى للحراك بطبيعته السلمية والواعية والتي بشّرت بساعة التغيير، لكنه لا يلتفت لما تقتضيه الواقعية السياسية، فما هو مأمول يختلف كثيرا عمّا هو واقع بالفعل. ومن هذا الفريق يرى رضوان منصوري، وهو طالب دكتوراه في العلوم السياسية في الجزائر، أنه «بما أن الحراك هو هبة شعبية ضد الاستبداد والطغيان شارك فيه مواطنون من مختلف توجهاتهم السياسية والإيديولوجية، فليس مطلوب منهم التكتل في تنظيم أو حزب سياسي معين ذا توجه معيّن، بل هم يشكلون قوة ضغط لدفع النظام للرضوخ لتحقيق المطالب المتمثلة في دولة الحق والقانون وبناء مؤسسات شرعية يختار فيها الشعب ممثليه». وبالنسبة لمنصوري فإن الحراك سيستمر بأشكال مختلفة «ما دامت نفس المسببات لا تزال قائمة والمطالب لم تتحقق» مضيفا أن «الموعد الانتخابي القادم هو شان يخص السلطة لوحدها».

ما هو واضح أن الحراك كسَبَ المعركة الرئيسية التي وُجد لأجلها عندما ثار كبركان غضب على تعنّت بوتفليقة في البقاء في السلطة وعلى تصرفات فساد مقرفة، لكنه سجّل إخفاقا في معركة أخرى سطرها لنفسه، خلال الطريق، وهي لعب دور رئيسي في مأسسة جديدة للنظام السياسي. سبب ذلك مرتبط بصراع النظام حيال هذه المسألة وبتناقضات الحراك وظروف كورونا.

تبّون والرهان الصعب

لكي يكسب الرئيس عبد المجيد تبّون الزخم السياسي المطلوب لإنجاح مرحلة انتقالية سلسة وليفرض نفسه، والسلطة، أمام المناوئين من الحراك والمعارضة، فهو يحتاج لتوسيع قاعدته السياسية بكسب التأييد من فئات اجتماعية واسعة، والظهور بمظهر الرئيس القادر على فعل أشياء ينتظرها قطاع واسع من الجزائريين تلك التي كانت منضوية في الائتلاف الحاكم في عهد بوتفليقة، تبدو جليا بقياداتها وخطابها، فاقدة لأي مصداقية، بل ومثيرة للشفقة. فالتغييرات التي مسّت قياداتها لم تفرز شخصيات لها القدرة على الاقناع وإنتاج خطاب جديد وإحداث القطيعة المطلوبة. فهذه الأحزاب، ومعها جمعيات أخرى مما يسمى بـ «المجتمع المدني» التي كانت تستغلّها السلطة لتبرير شرعيتها، تُسيّر، ببساطة، وفق آليات تقليدية سلطوية لن تُفرز قيادات قادرة على الاقناع وتقديم أفكار جديدة.

وهنا تحديدا ينبغي أن نتوقف عن تلميع السراب؛ فتلك الأحزاب صُقلت منذ عقود لتخدم نظاما سياسيا تسلطيا وعلى أن تلعب دور «بني وي وي» كما هو في التعبير الجزائري والذي يُقصد به التأييد المطلق لما يأتي من أعلى. وليس أصدق على ما نقول من تلك الصورة الباهتة لقادة تلك الأحزاب، مثل حزب جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطني الديمقراطي وتجمع أمل الجزائر «تاج» وأحزاب أخرى مشابهة، التي سبق وأن رشّحت بوتفليقة لولاية خامسة، وهي تجتر كلاما مثيرا للسخرية مفاده أنها كانت مع الشعب في تظاهرات 22 شباط/فبراير وأنها جادّة في بناء جزائر جديد! وهذا في حد ذاته يمثل تناقضا صارخا؛ فلا يمكن بناء جزائر جديدة بخطاب خاوٍ ووجوه قديمة من عهد الفساد البوتفليقي. فالتمادي في فرض نفس الوجوه ونفس الخطاب الأجوف يمثل انتحارا سياسيا للسلطة، فهي بذلك تحبط معنويات الجموع التي خرجت في شباط/فبراير متطلعة لتغيير جذري في البلاد حتى تنطوي على نفسها مجددا أو تلتحق بالحركات الاحتجاجية تعبيرا عن رفض الوضع القائم. وما يلاحظ في هذا المجال أن السلطة الجديدة لم تبذل جهدا في تطوير خطاب جديد، عقلاني وجذاب، ولم تتخلّص من بعض الوجوه التي توحي بأن العهد البوتفليقي لا يزال حيا بيننا. فعدم الانتباه لمثل هذه التفاصيل يوحي بأننا أمام عمل «هواة» يفتقد للإتقان ولحد أدنى من الجدّية.

وعلاوة على ذلك، لن يكسب تبّون رهان الظهور كرئيس قادر على إحداث التغيير المطلوب إلا باتخاذه إجراءات جريئة لتنشيط القطاع الاقتصادي الذي طاله الركود ونخره الفساد، تُعيد بعث الاستثمار وتوفّرَ وظائف جديدة لأعداد كبيرة من الباحثين عن العمل، بما يسمح بامتصاص غضب الشارع. وتبدو يد السلطة مقيّدة إلى حد ما في هذا المجال بنقص الموارد المالية.

تكمن أزمة النظام السياسي الجزائري، وهي أزمة كل الدول النامية التي تسعى لتحقيق الانتقال الديمقراطي، في أن السلطة صنعت، خلال عقود، نخبًا وتنظيمات سياسية واجتماعية مزيّفة لا تمثل تطلعات المجتمع وتدير ظهرها للتطلعات والمطالب الاجتماعية الحقيقية التي يجري التعبير عنها، إما علنا في الشارع أو تحملها أحزاب وتنظيمات معارضة. كما وضعت نمطا خاصا من «شبه ممارسة سياسية» يوحي بوجود شرعية للنخبة الحاكمة، لكن الكل يدرك أن القرار السياسي في يد جهة أخرى لا تقبل تقاسم السلطة ولا الرقابة عليها ولا حتى الاحتكام لأبسط قواعد القانون. هذا ما رأيناه مع «البوتفليقية» وهذا ما يجب أن تتجنّبه الجزائر مستقبلا.

Volume 32 - Issue 10066 Sunday 25 October 2020

التعديلات الدستورية في الجزائر: عرس انتخابي من دون عريس

ناصر جابي

ستعلن يوم أول تشرين الثاني/نوفمبر في المساء، الهيئة الوطنية المستقلة للانتخابات، عن موافقة الجزائريين على التعديلات الدستورية المقترحة عليهم. لأن العكس غير مقبول في منطق النظام السياسي الجزائري. رغم أن التحليل السياسي البارد يقول إن التعديلات تلقى معارضة كبيرة من عديد القوى السياسية، وإن المواطن الجزائري أصلا غير مهتم وغير مبال بهذه التعديلات التي تقترح عليه دستورا لا يلتقي به في يومياته إلا خلسة وبشكل محتشم جدا منذ فجر الاستقلال.

الخريطة السياسية تخبرنا ونحن نتحدث عن التعديلات الدستورية أن المواطن غير مبال بهذه التعديلات. في وقت يعيش فيه البلد حالة انسداد سياسي، بعد مرحلة التفاؤل التي عاشها في سنة الحراك الأولى. فترة تفاؤل عاد فيها إلى النقاش القانوني والدستوري بقوة وهو يفكر في إيجاد مخرج من الأزمة التي وضعها فيها بوتفليقة والنظام السياسي. نقاشات قانونية وسياسية من ميزاتها ان الشباب هم الذين قاموا بها، في الساحات والشوارع في المدن الكبرى والمتوسطة التي كونت الساحة الرئيسية للحراك، لمدة شهور، السياسية للمهاجرين، في جو ربحته في ظرف شهور، عكس ما كان سائدا لعقود، حين اختفت فيه السياسة من حياة الجزائريين.

ما يحصل هذه الأيام بعيد جدا عن تلك الأجواء المتفائلة بعد أزمة انتشار وباء كورونا في البلد والمهجر، بكل نتائج الإغلاق والأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي جعلت الجزائريين يعودون إلى الاهتمام أكثر بالشأن الاقتصادي والاجتماعي اليومي المتدهور، كحال أغلبية بلدان العالم. انتشار وباء كورونا وغلق الحدود الذي لم يسمح للمؤسسات الرسمية وحلفائها من أحزاب الموالاة بتنظيم أي نشاط سياسي لصالح التعديل الدستوري في المهجر. لم يعد ممكنا، بعد ان تحررت الهجرة – جيل الشباب – من قبضة المؤسسات الرسمية، هي التي أصبحت تقود المعارضة الشعبية للنظام بمسيرات شعبية لم يعد من الممكن معها القيام بأي نشاط سياسي لصالح مشاريع النظام كهذا التعديل الدستوري، كما كان يفعل في السابق مع جيل الهجرة الأول الكبير في السن، المتشبع بقيم الوطنية الذي كانت تنطلق معه عمليات التصويت المبكر، عرف الإعلام الرسمي كيف يستغل صورها لحث المواطنين داخل الجزائر على المشاركة بقوة في مختلف الانتخابات والاستفتاءات، لم يعد ممكنا، بعد ان تعددت وتنوعت المشارب السياسية للمهاجرين، في جو الحرية الذي يتمتع به في ديار الغربة.

واقع سياسي سيؤثر دون شك سلبا على معدلات المشاركة الشعبية لصالح هذا التعديل الدستوري، زيادة على نتائج ما عرفته الحملة الرسمية من فتور هنا داخل البلاد وهي تعيش أسبوعها الأخير. فتور له علاقة بالغلق السياسي – الإعلامي الذي مارسه النظام السياسي، بمنع كل الأحزاب السياسية التي دعت إلى التصويت بلا على التعديلات الدستورية أو حتى من تحفظ منها وترك حرية التصويت لقواعده. ما حصل مع حركة مجتمع السلم التي منعت أكثر من مرة من تنظيم اللقاءات الشعبية التي خططت لها في أكثر من ولاية، يمكن أن يكون مؤشرا سياسيا مهما عن العقلية السياسية السائدة، وهو نفس الحال مع حركة العدالة والتنمية –عبد الله جبالله ـ ناهيك عن أحزاب التيار الديمقراطي، مثل التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية التي لم يعد في مقدورها تنظيم أي نشاط سياسي خارج مقراتها، قبل حتى أن تقرر رفض التعديلات الدستورية كجزء من مسار سياسي رسمي، تعارضه بشكل كلي، ما جعلها غائبة تماما منذ شهور – سنوات بالنسبة للبعض، من أي حضور إعلامي رسمي.

غياب الرأي المخالف

الشطط الذي يمارسه الإعلام الرسمي والخاص في الدفاع عن التعديلات الدستورية، في غياب كلي لأي رأي مخالف مهما كان باهتا، زاد أكيد في منسوب الابتعاد الشعبي عن الحملة تأكيدا لما تخبرنا به سوسيولوجيا الانتخابات والاستفتاءات في الجزائر منذ الاستقلال.

سوسيولوجيا انتخابية تقول إن نسب المشاركة في هذا العرس الانتخابي الذي غاب عنه العريس ـ المواطن، ستكون شبه منعدمة تماما، في منطقة القبائل بالكثافة البشرية التي تميزها وبتاريخها السياسي المعارض الذي عبرت عنه بقوة في آخر انتخابات رئاسية كانون الأول/ديسمبر 2019 مشاركة ستكون هي الأخرى ضعيفة جدا في المدن الكبرى والمتوسطة التي يسكنها أغلبية الجزائريين في المناطق الشمالية – اثنين من ثلاثة من المواطنين. نفس المنطق الذي سنلاحظه عند المهاجرين الجزائريين في الخارج – في الدول الغربية بحضورهم الديموغرافي الكبير، وحرية الحركة التي تميزهم منذ انطلاق الحراك تحديدا.

يبقى ذلك القبول الذي يمكن توقعه من أبناء المناطق الريفية والصحراوية وحتى جزء من الهضاب العليا، كما جرت العادة في الجزائر، تأكيدا لنفس السوسيولوجيا الانتخابية التي تكلمنا عنها، التي تخبرنا من جهة أخرى أن الشباب عادة ما تميز سلوكهم الانتخابي بالمقاطعة والرفض كقاعدة عامة وهو نفس حال الفئات الوسطى، لنسجل نسب مشاركة معقولة لدى كبار السن وأصحاب المستوى التعليمي المتواضع، في مجتمع شاب انتشر فيه التعليم بقوة بعد الاستقلال، تزيد فيه المعارضة لمشاريع النظام، كلما زادت الكثافة الديموغرافية كما هو حاصل في شمال البلاد، عكس المناطق الجنوبية، المعروفة بديموغرافيتها الضعيفة.

لا تمنع هذه الصورة التي وضعناها لحالة التصويت المتوقع على الدستور، اعتمادا على دراسات أنجزناها أو اطلعنا عليها، من القول إن هناك قوى سياسية رسمية عديدة ستدعو إلى التصويت على التعديلات، ستحاول تجنيد القوى الاجتماعية التي ما زالت مرتبطة بها بعد أزمة 2019 التي مرت بها وما زالت تعيشها. ستكون أحزاب الموالاة على رأس هذه القوى السياسية التي تدعم التعديلات، كما فعلت مع كل الاقتراحات التي قدمها النظام السياسي في كل الأوقات حتى وقياداتها في السجن وقواعدها مشتتة.

بيروقراطية الدولة ستبقى هي الأخرى سندا قويا يمكن للنظام السياسي، كما هو حال التعديل الدستوري الحالي بكل الجبروت – والقدرة على الرشوة – التي تملكها بعض القوى السياسية والمالية داخل المدن الداخلية، يمكن عدها هي الأخرى ضمن هذا التحالف الاجتماعي –السياسي الموالي للنظام، رغم ما مسها من اضطراب نتيجة انطلاق حملة المحاكمات لكبار رؤوسها، مما قد يؤثر على فعالية تدخلها هذه المرة التي قد تحتاط أكثر وهي تقوم به.

بالطبع لا يجب أن ننسى المؤسسات الأمنية والعسكرية كدعامة سياسية قوية، هي التي استمرت في أداء نفس أدوارها القديمة التي كان المواطن الجزائري ينتظر ان تبتعد عنها، بعد التجربة الموغلة في التدخل في الشأن السياسي اليومي، التي قادها قائد الأركان السابق المتوفي قايد صالح، عبرت عنها المشاركة شبه اليومية لقائد الأركان الجديد في الدفاع عن التعديل الدستوري والحث على المشاركة الشعبية فيه كأي حزب سياسي بحيز إعلامي كبير، موقف يؤشر ان الأمل المعقود على ابتعاد ولو جزئي للمؤسسة العسكرية، عن أدوارها السياسية التقليدية غير وارد على الأمد القصير وحتى المتوسط ربما.

الأزمة السياسية التي لم يخرج منها بتاتا النظام السياسي، قد تكون من الأسباب الرئيسية لهذا الاتجاه الذي سيبقى حاضرا ما دامت أزمة النظام قائمة، عكس ما طالب به الحراك الشعبي وهو ينادي بإبعاد المؤسسة العسكرية عن العمل السياسي، حفاظا عليها من الانغماس في لعبة سياسية لن تخرج منها سالمة والبلد يعيش حالة اضطراب، بالذهاب إلى مرحلة سياسية انتقالية ستكون المؤسسة العسكرية على رأس المستفيدين منها كما أكدتها كل التجارب الدولية الناجحة في عمليات الانتقال السياسي، ستؤكد من خلالها على طابعها الوطني والجمهوري الذي يصر عليه الجزائريون ويسير في اتجاه بناء دولة مدنية، كانت على رأس مطالب الجزائريين عندما خرجوا في حراكهم الشعبي في 22 شباط/فبراير 2019.

> المؤسسات الأمنية والعسكرية استمرت في أداء أدوارها القديمة

السنة الثانية والثلاثون العدد 10066 الأحد 25 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 8 ربيع الأول 1442 هـ

بين من رآها معبرة عن مطالب الحراك ومن اعتبرها تقهقراً:

قراءات متباينة حول مسودة الدستور الجزائري

الجزائر ـ «القدس العربي»:
رضا شنوف

تباينت آراء الخبراء في القانون الدستوري، حول مشروع التعديل الدستوري، الذي ينتظر أن يصوت عليه الجزائريون مطلع تشرين الثاني/نوفمبر المقبل.

وتذهب بعض القراءات إلى أنه يشكل قفزة نوعية في مجال حماية الحريات، والفصل بين السلطات ودمقرطة الحياة السياسية، وقطع الطريق أمام الفساد والمفسدين، ويرى آخرون، أن ما يتضمنه من مواد لا يعدو أن يكون تقهقراً دستورياً، بالنظر إلى نقاط الظل العديدة التي حملها، وعدم فصله في المسائل الأساسية للدستور.

وبادر الرئيس عبد المجيد تبون بتعديل الدستور الذي وضعه من بين أولويات عهدته الرئاسية «باعتباره حجر الزاوية في تشييد الجمهورية الجديدة التي تصبو إلى تحقيق مطالب الشعب التي عبر عنها حراكه الأصيل» كما جاء في مبررات التعديل.

وحسب بوابة خصصت للتعديل الدستوري على موقع رئاسة الجمهورية على الإنترنت، أشارت إلى أنه «لا يمكن تحقيق تلك المطالب إلا بمراجعة دستورية معمقة بغرض تجديد أنماط الحوكمة على كافة مستويات المسؤولية، لاسيما على مستوى المؤسسات العليا للجمهورية».

وأفادت رئاسة الجمهورية بأن مشروع تعديل الدستور النهائي المطروح للتصويت، قد شارك في تعديل وثيقته أكثر من 600 شخصية أكاديمية وسياسية وحزبية وثقافية، ومن المجتمع المدني بـ 2500 مقترح تعديل، وقدمتها على أنها «دستور توافقي ويكرس للجمهورية الجديدة». واعتبرت السلطة أن المشروع «يُحدث القطيعة مع ممارسات النظام السابق، ويَحد من صلاحيات رئيس البلاد، ويتماشى مع التغيرات السياسية والاقتصادية الداخلية، ويواكب التطورات الحاصلة على الساحة الدولية».

البرلمان الجزائري

أهم التعديلات

سعى المؤسس الدستوري من خلال الوثيقة إلى تحديد طبيعة الحكم، والفصل بين السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية، والحسم في بعض المسائل الحساسة من خلال تحديد العهدة الرئاسية بولايتين لمدة خمس سنوات، متصلتين، أو منفصلتين، غير قابلتين للتجديد. كما أشار إلى الأمازيغية ضمن المواد الصماء، أي غير القابلة للتعديل مستقبلاً، إلى جانب دين الدولة، وطابعها الجمهوري، واللغة العربية. كما تضمنت الوثيقة مواد، تخص استقلالية القضاء، وإنشاء الأحزاب والجمعيات، ووسائل الإعلام، وحلها، والأحزاب والجمعيات أو توقيف نشاطها «إلا بقرار قضائي» وليس عن طريق القرارات. ولأول مرة في تاريخ الجزائر يتم دسترة «المهام الخارجية للجيش» في مهام مخصصة لحفظ السلم، وبعد انتهاء الحرب بقرار أممي أو أفريقي أو عربي، مع اشتراط موافقة ثلثي أعضاء البرلمان.

اعتبر هذا التعديل من بين أبرز التعديلات ففيه عدد التعديلات من بينها سواء بالنسبة للولاية الرئاسية أو البرلمانية أن لا تتعدى ولايتين سواء كانت متصلة أو منفصلة، وأيضا فيما يتعلق الجهاز التنفيذي برأسين، رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة، والمادة 103 وما بعدها تفصل الحالات التي يتم فيها تعيين رئيس حكومة. وأوضح المتحدث في هذا السياق يصبح النظام السياسي في الجزائر أقرب إلى النظام البرلماني، لأن رئيس الحكومة تعينه الأغلبية البرلمانية في حال فوزها بالانتخابات التشريعية، أو وزيراً أولاً وهنا تكون الجزائر أقرب إلى النظام الرئاسي، حسبه، لأن الوزير الأول يعينه الرئيس في حال فاز حزبه في تراقب قرارات السلطات الثلاث، والمعاهدات الدولية التي تصادق عليها الجزائر، وإسناد رئاسة الحكومة للأغلبية البرلمانية للمرة الأولى، وفي حال فاز حزب الرئيس إذا كان متحزباً، على عكس الرئيس الحالي فيعين رئيس الجمهورية وزيراً أولاً.

إشادات ومآخذ

يرى البروفيسور علاوة العايب الخبير الدستوري وأستاذ القانون الدولي بجامعة الجزائر، في تصريح لـ«القدس العربي» أن «مشروع الدستور يعبر إلى حد بعيد عن آمال الحراك، ويقف في تعليله عن حكمه عند عدة أمور أساسية تميز الدستور الجديد لم تكن موجودة من قبل على حد تعبيره، بدءاً من مرحلة الإعداد له من خلال «توزيع المسودة على الفاعلين السياسيين والأكاديميين والمجتمع المدني للإثراء.. وكانت المشاورات واسعة جدا كما التزم بها الرئيس المنتخب نفسه» وكذا فيما يتعلق بالمحتوى نفسه «حيث كانت هناك أشياء كثيرة جديدة، أولا في دسترة الحراك الشعبي الأصيل الذي هو مصدر كل تغيير في الجزائر، ودسترة بيان أول تشرين الثاني/نوفمبر كذلك كمرجعية ثقافية وحضارية.. وأيضا نصوص جديدة في باب الحقوق والحريات الأساسية التي بلغت 43 مادة».

وذكر الخبير الدستوري أيضاً، بخصوص جديد دستور 2020 ما يتعلق بباب الفصل بين السلطات فيقف عند التعديل المتعلق بالسلطة التشريعية للولاية الرئاسية أو البرلمانية أن لا تتعدى ولايتين سواء كانت متصلة أو منفصلة، وأيضا فيما يتعلق الجهاز التنفيذي برأسين، رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة، والمادة 103 وما بعدها تفصل الحالات التي يتم فيها تعيين رئيس حكومة. وأوضح المتحدث في هذا السياق يصبح النظام السياسي في الجزائر أقرب إلى النظام البرلماني، لأن رئيس الحكومة تعينه الأغلبية البرلمانية في حال فوزها بالانتخابات التشريعية، أو وزيراً أولاً وهنا تكون الجزائر أقرب إلى النظام الرئاسي، حسبه، لأن الوزير الأول يعينه الرئيس في حال فاز حزبه في الانتخابات إذا كان متحزبا.

وأثنى الخبير الدستوري علاوة العايب على الآليات الجديدة الخاصة بالسلطة القضائية، خاصة «إنشاء المجلس الأعلى للقضاء بتشكيلته الجديدة باختصاصات جديدة .. فمعظم أعضائه منتخبين من طرف قضاة بجميع فئاتهم من المحاكم الابتدائية إلى المحكمة العليا، ومجلس الدولة والمحاكم الإدارية عبر التراب الجزائري، وذلك تحقيقا لعدالة أكثر» وأردف قائلا «وما يهمني أن رئيس نقابة القضاء صرح في كم من مرة بأنه راض عن هذه التشكيلة المكونة للمجلس الأعلى للقضاء والتي ستضمن حسبه استقلالية القاضي من كل الضغوط ومن عدالة الليل». كما يقف البروفيسور علاوة العايب في تحليله لمسودة دستور 2020 على مواد الإبقاء بسلطة الرقابة، فتحدث عن مواد تتعلق «بالسلطة الوطنية المستقلة لمراقبة الانتخابات التي تمت دسترتها حيث تحولت إلى سلطة بعد ما كانت فقط هيئة في دستور 2016» وأيضا «إنشاء المحكمة الدستورية التي ستخلف المجلس الدستوري والتي سيغلب عليها الطابع القانوني والقضائي وليس الطابع السياسي كما كانت حالة المجلس الدستوري، وأيضا السلطة الوطنية للوقاية من الفساد ومكافحته التي تمت دسترتها» وهذا حسب تقديره «مهم جدا لأن دائما المطلوب العمل في شفافية ومسؤولية، لأن الوضع الذي كانت عليه الجزائر من قبل ساعد على الفساد».

وأبرز في عَده لمحاسن الوثيقة المعروضة للتصويت بأن «الدستور تكلم عن الشفافية ومكافحة الفساد والوقاية منه وهذه مطالب الحراك» الذي قال إن «المنتخبين مطعون في شرعيتهم، والرئيس قال إنه لن يعمل مع مؤسسات مطعون في شرعيتها وكان قد أعلن عن تنظيم انتخابات تشريعية وبلدية جديدة وأيضا قانون الانتخابات الذي هو قيد الإعداد».

في المقابل قال المتحدث بأنه «لا ننتظر أن يأتي مشروع الدستور بكل الأمور المثالية، أكيد فيه مناطق ظل، والتي سيتم كشفها عنها وتسليط الضوء عليها بموجب القوانين العضوية، ومن غير الممكن أن نكون في دستور مثالي وهذا أمر مفروغ منه».

وبالحديث عن نقاط الظل في الدستور، سجل الخبير الدستوري الدكتور عامر رخيلة والعضو السابق في المجلس الدستوري، مآخذ ونقاط ظل في مواد التعديل الدستوري. وقال في حديثه مع «القدس العربي» إن الجزائر من خلال هذه المسودة تعيش «قهقرة دستورية، وليس تطوراً دستورياً» واستطرد: «كنا نأمل على الصعيد النظري أو على صعيد دسترة الحياة، ومن خلال الوعود التي تكرم بها رئيس الجمهورية، وأيضاً من خلال المتغيرات الحاصلة في المجتمع والانتقال القسري الذي أحدثه الحراك في النضال، أننا متجهون نحو دستور متوازن يضمن توازن السلطات، ويضمن مبدأ الفصل بين السلطات الذي يقوم على مبدأ السلطة تحد السلطة، ويحدد طبيعة المؤسسات ويحدد طبيعة الدولة الجزائرية هل هي دولة ناظمة أو دولة متدخلة، ويحدد طبيعة النظام هل هو رئاسي أم رئساوي، لأنني استبعد النظام البرلماني لأننا غير مهيئين لذلك لأنه ليس لدينا طبقة سياسية أو تقاليد برلمانية حتى نتجه للنظام البرلماني».

وفي تعرضه لتكييف منصب رئيس الجهاز التنفيذي حسب نتائج الانتخابات، أي بين رئيس حكومة أو وزير أول فاعتبر الدكتور عامر رخيلة هذه التوليفة «بدعة دستورية غير مسبوقة» كما تحدث عن «الإطناب في مواد الدستور حيث ان دستورا في القرن الواحد والعشرين فيه 225 مادة، وأيضا الإطناب في الحديث عن الحقوق وعن الحريات وهذا أمر مفخخ، لأنه غدا أي مواطن يطالب بحقوق انطلاقا من مواد دستورية».

وتطرق الدكتور عمار رخيلة إلى ما وصفه بـ«بتضخيم للدستور وإثقاله بمواد لا ضرورة لها، ولم يفصل في القضايا الدستورية الرئيسية، وحتى في الإحالات سجلت أخطاء مرتكبة واطلعت على انه نشر تصويب لما صدر في الجريدة الرسمية فيما يخص الإحالة على المواد، وهذا نتيجة الارتجال ونتيجة عدم الدقة» مشيرا في الوقت نفسه إلى كون المسودة النهائية للدستور لم تأت «بعلاج للقضايا التي طرحها الحراك».

Volume 32 - Issue 10066 Sunday 25 October 2020

الاعتماد المفرط على خطط الإنفاق العام سبب نكستها

الجزائر أمام تحدي البحث عن نموذج بديل يراعي تحسين أداء اقتصادها

إجراءات كورونا

عبد القادر مشدال

المصاعب التي تواجه التوازنات الاقتصادية–الاجتماعية في الجزائر ترتبط أساسا بنموذج النمو المعتمد على الإنفاق العمومي في خلق الثروة ومناصب العمل، والذي يستند بدوره على المداخيل النفطية بنسبة تتعدى 92 في المئة من إجمالي الصادرات، مما يخلق ظروف تبعية مفرطة لتطورات السوق النفطية العالمية التي دخلت دورة تدهور جديدة وفريدة في تاريخها جراء اندلاع جائحة كورونا.

وبالفعل شهدت مداخيل الجزائر تقلصا كبيرا حيث ينتظر أن تختتم السنة المالية الحالية بمستوى يقارب 20 مليار دولار أمريكي بعد أن بلغ أكثر من 35 مليار دولار السنة الماضية، أي بمعدل تراجع يصل إلى 43 في المئة. أولى النتائج المترتبة عن تراجع المبيعات النفطية للجزائر، انخفاض الناتج الداخلي الخام لها مما أدى إلى تدحرج ترتيب البلد حسب تصنيف البنك العالمي من صنف الدول المتوسطة الدخل من الدرجة العليا إلى الصنف الأدنى من بين هذه الدول مما يجعلها أقرب من الدول الضعيفة الدخل.

وفي هذا الصدد، فإن نموذج الإنفاق العمومي المنتهج يتسبب في استنزاف الخزينة العمومية، في ظل العجز الذي تبديه السلطات العمومية لإصلاح الوضع الاقتصادي العام للبلاد، وإيجاد البدائل اللازمة للمداخيل النفطية. وهنا، فإن شراء السلم الاجتماعي قد دفع إلى تبني سياسة للدعم عن طريق التحويلات الاجتماعية وذلك بتخصيص نصف ميزانية الدولة للسنة المقبلة في شكل مساعدات اجتماعية مباشرة وغير مباشرة بما يقارب 4000 مليار دينار (ما يقابل 31 مليار دولار تقريبا) وهو ما يعني الإبقاء على صيغة الدعم الشامل دون التفريق بين مختلف أصحاب المداخيل، وهو النهج المتبع منذ العام 2011 عند انطلاق ثورات الربيع العربي حيث رفعت السلطة آنذاك مستوى الإنفاق العمومي بـ60 في المئة دفعة واحدة من أجل مواجهة أي اضطرابات اجتماعية في علاقة مع سوء الأحوال المعيشية. درجة تحمل الأعباء الجديدة بقيت مرتبطة بالمداخيل النفطية أساسا، وهي الوضعية التي أصبحت لا تطاق منذ تسجيل التراجع في أسعار النفط منذ العام 2014 وهو ما أدى إلى انحصار إمكانيات الدولة في توفير الأموال اللازمة للإبقاء على نفس مستوى الإنفاق.

وما يفاقم في الوضعية كون أن السلطات العمومية لم تعتن بإيجاد البدائل للمداخيل النفطية، ذلك أن طبيعة نظام الحكم جعلت آلية الإنفاق العام تُستخدم كوسيلة من وسائل التحكم في الوضع العام للبلاد، وذلك باتجاه التصرف في أموال الدولة بصورة إدارية لا تمت للمنطق الاقتصادي بصلة. في هذا الصدد، فإن خطط الإنفاق العام لم تهتم أبدا بتحقيق المردودية الاقتصادية والمالية من المشاريع المبرمجة، حيث أن إنفاق دولار واحد لا نعرف كم سيدر في المقابل هل دولار، أو أقل من دولار أو أكثر من دولار؟ وهنا الوضعية الاقتصادية السليمة هي تلك التي من المفترض أن تؤدي إلى تغطية حجم الإنفاق بواسطة المداخيل الجديدة الناجمة عن المشاريع المبرمجة، مما يتيح تجديد الموارد العمومية وهو الشيء الذي كان بعيدا كل البعد عن التصور الذي تضعه السلطات العمومية. إذ أن دراسات خبرة تؤكد أن ما يستدر لا يتعدى 30 في المئة مما يتم إنفاقه وذلك حسب وجهة نظر الاتجاه المتشائم، أما بالنسبة للتيار الأكثر تفاؤلا، فإنه يعتبر أن ما يستدر لا يتعدى 70 في المئة من حجم الإنفاق. وهنا يجب ملاحظة كون أن مستوى ضياع الموارد يتراوح بين 30 و70 سنتا من الدولار، مما يعطي صورة عن حالة الاستنزاف الحاصلة لموارد الميزانية العامة للدولة المعتمدة في 60 في المئة من مداخيلها على الجباية النفطية.

وهكذا، فإن تراجع أسعار النفط قد أضعفت حالة الاقتصاد الوطني أمام بقية العالم، إذ أن احتياطات الصرف التي تعدت 194 مليار دولار في العام 2013 تآكلت منذ 2014 بصورة مستمرة لتفقد أكثر من 100 مليار دولار خلال 4 سنوات لتصل إلى 92 مليار دولار العام 2017 وتستقر حاليا في حدود أقل من 60 مليار دولار، على أن توقعات قانون المالية لسنة 2021 يحددها بمستوى 47 مليار دولار.

وهنا يجب التركيز على كون أن عوامل عدة قد أدت إلى هذا التطور السلبي في الأرقام، حيث أدت السياسات العمومية المتبعة إلى أن يعرف ميزان المدفوعات الذي يشمل كلا من الحساب التجاري للدولة وتحويلات رأس المال، عجزا متواصلا خلال كامل فترة التآكل، إذ أن قيمة الواردات من السلع والخدمات أصبحت تفوق قيمة الصادرات النفطية التي تعرف بدورها تراجعا وفق تطورات السوق الدولية، الشيء الذي تفاقم مع جائحة كورونا ليزيد بذلك من مستوى الضغط على موارد الدولة.

الخطط التقشفية

هامش المناورة المتاح للسلطات العمومية لا يخرج عن الخطط التقشفية التي دفعت إلى تقليص حجم الواردات بصورة آلية بحدود 10 مليارات دولار خلال السنة الحالية، حيث لن يتعدى 30 مليار دولار نزولا من حدود 60 مليار دولار المسجل قبل سنوات، مع العمل أيضا على تقليص خطط الاستثمار المعلنة سابقا من قبل شركات القطاع العام وعلى رأسها شركة النفط الحكومية «سوناطراك» التي راجعت برنامجها للإنفاق إلى النصف لكي لا يتعدى 7 مليار دولار فقط، بما يسمح لها القيام بأعمال الصيانة لمنشآتها والحفاظ على مستوى إنتاجها. أما بالنسبة للخطط الداخلية فقد تم تجميد العديد من مشاريع الإنشاءات ما عدا في ميدان الإسكان، في حين أن القطاع العام أسديت له التعليمات بوقف عمليات التوظيف وتقليص نفقات التسيير بمستوى 30 في المئة لتصل إلى حدها الأدنى. النتيجة المباشرة لمثل هذه الإجراءات تتمثل في حالة الانكماش التي تصل إلى 5.5 في المئة وارتفاع معدل البطالة إلى 14.1 في المئة خلال العام الحالي، وذلك حسب أرقام صندوق النقد الدولي، الذي يؤكد أن الاقتصاد بإمكانه التعافي العام المقبل ليسجل نموا إيجابيا بـ3.2 في المئة ولكن معدل البطالة سيحافظ على ارتفاعه ليصل إلى 14.3 في المئة. حالة الهشاشة التي تمس الوضع الاجتماعي ترتبط ليس فقط بوقف التوظيف في القطاع العام وإنما بفقدان الوظائف في القطاع الخاص أو بالنسبة للعاملين باليوم أو الساعة، وهو ما يراكم حالة الاحتقان الاجتماعي جراء تراجع مداخيل الأجراء وانعدامها بالنسبة للعاطلين عن العمل. مع العلم أن الخطط التي تم إقرارها من قبل الحكومة في صالح المؤسسات التي عانت من توقف النشاط أو تقلصه تبقى بعيدة على أن تعوض الخسائر التي تكبدتها جراء توقف نشاطها بالكامل أو جزئيا مثل ما حصل في قطاعات النقل والسياحة والخدمات الملحقة بهما.

وهكذا فإنه من الواضح أن الخلاص من حالة الهشاشة الهيكلية للاقتصاد، ترتبط بضرورة إصلاح نموذج النمو من خلال فتح المجال لضمان التسهيلات في صالح المتعاملين الاقتصاديين ورفع العراقيل الإدارية والمؤسساتية بما يكفل إعادة بناء الثقة في المنظومة الاقتصادية الوطنية، خاصة وأن الضربة القاصمة التي تلقتها جراء قضايا نهب أموال القطاع العام وسوء إدارة البرامج الحكومية قد أثنت المتعاملين الاقتصاديين الوطنيين والأجانب على استكمال مشاريعهم الاستثمارية في الجزائر مما يضر إمكانيات دعم النمو في المدى المتوسط.

من جهة أخرى، وضعت السلطات العمومية نفسها أمام تحد كبير بإعلانها على لسان الوزير الأول عبد العزيز جراد، الذي كان يتحدث في إطار لقاء الأعمال الجزائري–الإسباني بداية الشهر الحالي، تبني نظام اقتصاد السوق الاجتماعي كنموذج جديد والذي يعني فيما يعنيه أن الدولة ستعمل على الرفع من أداء الاقتصاد باستهداف معدلات نمو مرتفعة ومعدلات بطالة منخفضة وتضخم متحكم فيه بما يساعد على تحسين قدرات تدخل الدولة لدعم المستوى المعيشي للسكان. هذه المؤشرات في الحقيقة، تعد نفسها التي تمثل حالة الإخفاق في التجربة الجزائرية السابقة المعتمدة على التدخل الشامل للدولة، كما أنه لا يتقاسم هذه المؤشرات المستهدفة بعضُ المسؤولين العموميين على رأس مؤسسات مهمة مثل المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، الشيء الذي يطرح تساؤلا عن مدى القدرة على تعبئة القدرات العمومية لوضع تصور متناسق يحترمه الجميع من أجل تجاوز الأزمات المتلاحقة التي تنخر الاقتصاد منذ عقود من الزمن.

السنة الثانية والثلاثون العدد 10066 الأحد 25 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 8 ربيع الأول 1442 هـ

تبون يكرس العبارة المتداولة شعبياً «لكل رئيس جزائري دستور جديد»

الرئيس الجزائري تبون

الدوحة ـ «القدس العربي»:

راهن الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون منذ انتخابه خلفاً لسلفه المخلوع عبد العزيز بوتفليقة في 12 كانون الأول/ديسمبر، على تعديل الدستور، واعتبر المسار خطوة من أجل بناء «جمهورية جديدة» على حد وصفه.

الرئيس الذي اعتلى سدة المرادية (مبنى الرئاسة الجزائرية) لم يشذ عن العبارة المنتشرة في الأوساط الشعبية والأكاديمية، القائلة إن لكل رئيس دستور خاص به.

أول دستور للجزائر بعد استقلالها عام 1962 عن فرنسا، وضعه الرئيس الراحل أحمد بن بلة عام 1963 الذي أسس جمهورية ذات حزب واحد، وهو جبهة التحرير الوطني، ويختار كل مرشح قبل أن ينتخب عليه الشعب. ورئيس الدولة فيه قوي الجانب، والمجلس الوطني ينتخب على القوانين الجديدة. وأكد الدستور على حقوق أساسية للكل. لكنه لم يعمر طويلاً بعد أن انقلب عليه وزير دفاعه والرئيس الراحل هواري بومدين عام 1965 وعطل كل المؤسسات، وحتى الدستور.

وبعد انقلاب 19 حزيران/يونيو 1965 أصبح «مجلس الثورة» هو المشرّع الفعلي. إلى غاية صدور دستور 1976 أي دستور الرئيس بومدين الذي كرّس مبادئ النظام البومديْني الاشتراكي الأحادي.

دستور تلك الفترة أكد أهمية النظام الاشتراكي، وأممت معظم الشركات والأراضي الفارغة والتجارة الخارجية.

بعد وفاة الرئيس استمر الشاذلي العمل بالوثيقة مع تعديلات طفيفة، حتى ثورة الشعب في تشرين الأول/أكتوبر 1988 وتوجه الدولة نحو الانفتاح الديمقراطي، تكرس المسعى عبر دستور الرئيس الشاذلي بن جديد في 23 شباط/فبراير 1989.

تخلى هذا الدستور الذي كان من يوصف رجل الإصلاحات مولود حمروش أحد مهندسيه، عن النظام الاشتراكي للدولة، وعن هيمنة الحزب الواحد على الدولة، وأقر التوجه الليبرالي، وحرية إنشاء الأحزاب السياسية ووسائل الإعلام.

وفي 3 تشرين الثاني/نوفمبر 1989 جرى استفتاء شعبي حول دستور الشاذلي بن جديد، ونال موافقة الشعب، وشكّل تحولاً سياسياً عميقاً في حياة الجزائر المستقلة، من خلال إقراره التعددية السياسية والإعلامية.

لم يعمّر دستور التعددية طويلاً، وكان مصيره مثل سابقيه، بداية جُمّد العمل به مطلع التسعينيات، بعد استقالة (أو إقالة) الشاذلي مطلع 1992 ودخول البلاد في أزمة أمنية وسياسية، عقب إلغاء الجيش نتائج انتخابات نيابية فازت فيها «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» الحزب المحل.

راهنت السلطة التي كانت تدار من قبل المجلس الأعلى للدولة، على إعادة تنظيم المشهد السياسي، منذ اختيار الرئيس السابق اليمين زروال من قبل أركان النظام السابق وعلى رأسهم الجيش والمؤسسة الأمنية.

وبعد انتخابه مباشرة أعلن زروال عن دستور جديد، عام 1996 في وقت حرج، حيث كانت الجزائر غارقة في العشرية الدامية بفعل العنف المسلح، الذي تلى توقيف المسار الانتخابي في بداية التسعينيات.

عرضت الوثيقة على الاستفتاء الشعبي في 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1996 ونالت موافقة الشعب (وفق التصريحات الرسمية آنذاك) وكانت إشارة انطلاق عهد الرئيس الجديد الذي ترك عباءة الجيش، ليدشن عهده الجديد بدستور، يحمل اسم اليمين زروال.

وحدد هذا الدستور العهدات الرئاسية بعهديتن فقط من خمس سنوات لكل واحدة، بعدما كانت مفتوحة من قبل، وهي سابقة في تاريخ البلاد.

كما حافظ الدستور الجديد، شكلياً على التعددية السياسية، مثلما كانت في دستور سلفه (الشاذلي) واستمر العمل به حتى إعلانه في 11 أيلول/سبتمبر 1998 نيته مغادرة السلطة، حيث من المفترض أن تنتهي عهدته الرئاسية الأولى في تشرين الثاني/نوفمبر المقبل. وأعلن عن تنظيم انتخابات جديدة بسبب فضائح ميزت عهده، وصراعات كبيرة بين أجنحة بارزة في السلطة، وبعض السياسيين، انتهت بإقالة مستشاره الخاص، اللواء محمد بتشين. كما رافق تلك الفترة انفلات أمني، لا يزال يطرح الكثير من التساؤلات.

الرئيس المخلوع عبد العزيز بوتفليقة ردد منذ استلامه مقاليد الحكم سنة 1999 أنه يرغب في تعديل الدستور. وكان يؤكد أنه لا يريد أن يكون مجرد ربع رئيس، في إشارة إلى ما كان يدّعيه من تدخل الجيش في السلطة في خطاباته الشهيرة، التي صرح بها للصحافة الفرنسية، وإعلانه أن الجيش يتحكم في السلطة.

لم ينتظر كثيراً وكان أول تعديل في 10 نيسان/ابريل 2002 وحينها أُدرجت لأول مرة مادة تتعلق بالأمازيغية، وهي المادة 3 مكرر التي نصت على أن «تمازيغت هي لغة وطنية تعمل الدولة على ترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية عبر التراب الوطني».

ومضى بوتفليقة نحو إجراء تعديل آخر هو الثاني، جرى في 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2008 وأقر خمس نقاط أهمّها على الإطلاق فتح العهدات الرئاسية وعدم تقييدها بائتنين مثلما نص على ذلك دستور 1996. وسمح التعديل الذي كان هدفه الرئيسي استمرارية بوتفليقة، للرئيس المخلوع الاستمرار في الحكم حتى إزاحته بسبب الحراك الشعبي في 2019.

لم يكتف بوتفليقة أثناء وجوده في السلطة بالتعديلات التي أجراها على دستور سلفه زروال، حيث أنه في السادس من شباط/فبراير 2016 صادق البرلمان على ثالث تعديل دستوري في عهده، وكان من أهم مواده الجديدة «القديمة» إنهاء فتح العهدات الرئاسية والعودة إلى نظام العهدتين، كما كان في دستور 1996 بالإضافة إلى ترقية الأمازيغية إلى لغة رسمية بعدما كانت لغة وطنية فقط، وإلغاء أي عقوبة سالبة لحرية الصحافي، ليكون رسمياً هذا هو دستور بوتفليقة.

وجاءت محاولات الرئيس الجديد، عبد المجيد تبون، الذي وصل الحكم، في خضم حراك شعبي يشهده الشارع الجزائري، لتكرس المقولة الشعبية، لكل رئيس جزائري دستور جديد. مع تهكم الكثيرين أن الدول المتقدمة لم يعدل دستورها لمئات السنين، وربما أجريت تعديلات طفيفة على مواد لا غير.

Volume 32 - Issue 10066 Sunday 25 October 2020

الحراك الجزائري بين رواية تبون الرافضة وشروط كورونا المقيدة ومطالب الشارع غير المنجزة

ابراهيم درويش

منذ الإطاحة بالرئيس عبد العزيز بوتفليقة في العام الماضي وبعد ربيع جزائري متأخر، خفت «الحراك» وتمترست النخبة العسكرية والسياسية التي ظلت تمارس التأثير في البلاد منذ عقود، وهو نفس ما حدث في السودان التي أعلن جنرالاتها عن التطبيع مع إسرائيل وقبلها مصر. وتكرر السيناريو في لبنان حيث بات سعد الحريري الذي أجبره المتظاهرون على الاستقالة العام الماضي مكلفا بتشكيل الحكومة.

وفي الحالة الجزائرية فقد توقف الحراك الذي ظل يخرج إلى الشوارع في كل أسبوع حتى أجبر على البقاء في البيت بسبب كوفيد–19. وهو ما دعا الرئيس عبد المجيد تبون للتساؤل عن مصيره وقال إنه لم يعد موجودا. وفي مقابلة مع صحيفة «نيويورك تايمز»(2020/10/6) قدم تبون رواية مختلفة عن رواية الشارع. وهي أن حركة التظاهر لم تعد قائمة وأن البلاد تسير نحو الديمقراطية وتفتح فصلا جديدا في تاريخها. وهذا بخلاف ما يقوله الشارع وهو أن البلاد تتراجع للوراء وبسرعة.

وفي الوقت الذي يتحدث فيه تبون عن «النموذج الجديد» و«البلد الجديد والاقتصاد الجديد» لم يتخل ابن المؤسسة التي خدمها في عهد بوتفليقة عن عاداته القديمة التي لا تموت بسهولة كعادة تدخينه الشرهة. وهو إن أصر على أن النظام الفاسد قد ولى بلا رجعة إلا أن الوقائع على الأرض تؤكد عكس ذلك، فالدولة تعتقل المعارضين ويشترى المرشحون مقاعدهم البرلمانية بحوالي 540.000 دينار للمقعد وهو نفسه الذي صادق على الرئيس الحالي.

لا أمل

وتقول الصحيفة إن الآمال ببداية جديدة ومستقبل ديمقراطي تتلاشى وسط غياب في القيادة وعجز المعارضة عن تقديم بديل للرؤية التي يقدمها النظام القديم. ولهذا السبب تعيش الجزائر توزعا بين رؤية من فوق يمثلها تبون وأخرى من تحت يمثلها الشارع. وكان فشل الحراك في التجمع حول قادة سببا في عودة الحرس القديم الذين قاموا بانتهاز الفراغ وعززوا قوتهم خاصة أن الجيش والقوى الأمنية بيدهم. ولم يكن الجيش ليتخلى عن صدارته في الحياة السياسية التي يتسيدها منذ استقلال الجزائر عن فرنسا قبل 58 عاما، ولهذا رمى ثقله وانتهز الجيش الذي كان يقوده أحمد قايد صالح قبل وفاته في كانون الأول/ديسمبر الفرصة ودفع باتجاه الانتخابات التي رآها الحراك متعجلة ولن تؤدي للتغيير المطلوب، وهو رحيل المؤسسة القديمة. ويعتقد أن قايد صالح دعم تبون الذي عمل رئيسا للوزراء في عهد بوتفليقة في حملته الانتخابية.

وفي الوقت الذي قللت فيه المعارضة من شرعية الإنتخابات التي قالت إن نسبة المشاركين فيها لم تتجاوز 10 في المئة، يؤكد تبون أن نسبة المشاركة فيها زادت عن 40 في المئة. وبدأ تبون عهده بعدد من اللفتات للتعبير عن حسن نيته من خلال الإفراج عن عدد من المعتقلين. ولأن كوفيد–19 أجبر المحتجين على البقاء في بيوتهم فقد واصلت الحكومة ملاحقتهم مثل لعبة القط والفأر، أي الإفراج عن بعضهم واعتقال البقية. ومنح وباء كورونا الدولة الفرصة لتشديد الرقابة على الحدود ومنع القادمين من الخارج بشكل قلل عدد الإصابات. إلا أن اعتقال الصحافي خالد درارني، 40 عاما أدى لتعكير المزاج في الشوارع ونشر الخوف في داخل الإعلام الجزائري، خاصة أن درارني محرر لموقع «قصبة تربيون» بالإضافة إلى عمله كمراسل لقناة فرنسية. وكان درارني يمثل مزيجا من الناشط والصحافي. وجاء اعتقاله لأنه كتب أثناء الانتفاضة: «يجدد النظام نفسه باستمرار ويأبى التغير» و«نطالب بحرية الإعلام فيردون بالفساد والمال». وأثارت تعليقاته غضب المؤسسة التي أمرت باعتقاله في 15 أيلول/سبتمبر واتهم بتهديد الوحدة الوطنية وحكم عليه بالسجن لعامين. وقلل الرئيس تبون من أهمية درارني قائلا إنه لم يكن يحمل حتى بطاقة صحافية، مع أن درارني قابله وكذا الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون.

هل بقي شيء من الحراك؟

ويؤكد تبون على روايته عن وضع الجزائر وهي أن البلد «حر وديمقراطي» وكدليل سمح لوزرائه وقادة الجيش بالحديث مع مراسل صحيفة «نيويورك تايمز». والرئيس تبون متيقن من شيء واحد وهو أن حركة الاحتجاج قد انتهت وتساءل «هل بقي شيء من الحراك؟». ورغم حديثه عن التغيير والدستور الجديد إلا أنه لم يتخل عن اللغة التي استخدمها المستبدون في تعاملهم مع المعارضين لهم «كل شخص لديه الحق في حرية التعبير ولكن بطريقة منظمة» و«من الطبيعي أن ينتهي أي شخص يهين ويهاجم رموز الدولة أمام المحكمة».

وهذه هي اللغة التي تخيف المواطن العادي والمعارضة على حد سواء، فهم لا يصدقون الوعود التي يقدمها الحرس القديم. وتظل الانتفاضة الجزائرية معلقة، بسبب كورونا وبسبب ما تواجه من قمع الدولة.

موت طبيعي أم سريري؟

وهذا يستدعي سؤالا، هل انتهى الحراك ووصل لنهايته الطبيعية؟ يجيب عبد شريف في موقع «ميدل إيست آي» (2020/10/23) قائلا إن دورة الحياة للحراك قد وصلت للنهاية، وربما ظل الحراك، الحركة التي أجبرت بوتفليقة على التخلي عن السلطة قائما كفكرة أو مصدر إلهام سياسي في العقود المقبلة. ولكن الحراك كفكرة عملية انتهى دوره وأصبح شيئا من الماضي. وهذا لا يستدعي التسليم أو التوقف عن العمل بل على الحراك وناشطيه النظر في الدروس التي تم تعلمها والتكيف مع المشهد السياسي الجديد للبلاد والبحث في رؤى جديدة ووسائل للعمل. ويعتقد الكاتب أن أهم إنجاز «لثورة الابتسامات» لم يكن الإطاحة بالنظام العاجز لبوتفليقة بل وتركيع النخبة السابقة التي وضع بعض عناصرها في السجن وهو إنجاز تم بدون عنف ولم يكن متخيلا بالمطلق. وهذا وحده يجعل الحراك حجر أساس في التاريخ الجزائري الحديث. والكاتب عندما يتحدث عن نهاية الحراك الطبيعية لا يقلل من أهميته التاريخية أو ينظر إليه كفشل بل على العكس. فهذه حتمية تاريخية للحراك تماما كما حدث مع حركة التحرير الوطني التي قادت حرب التحرير عام 1954 ضد الاستعمار الفرنسي وانتهى دورها بهزيمته وتحقيق الاستقلال. ومع أن الحركة برموزها الثلاثة «فلان» عبرت في مراحلها عن الهوية الجزائرية إلا أن الوهج الذي مثلته للجزائريين والعالم بهت عندما أصبحت مرادفا للشمولية. ووصلت الحركة مرحلتها الأخيرة في عهد الشاذلي بن جديد الذي كان يقود حزبا أو حركة تريد التغيير ولكنها لا تعرف كيف تنجزه. ومع الصعود والانهيار لحركة التحرير الوطني حصل على مدى عقود حيث أصبحت جزءا من النظام الذي أقام جيشا وحكومة إلا أن الحراك ولد ضمن صيرورة تاريخية مختلفة وشروط استثنائية ولم يعمر إلا عدة أشهر، وبدأ في 22 شباط/فبراير 2019 عندما خرج الملايين من الجزائريين الذين انتفضوا ضد ترشح بوتفليقة لولاية خامسة، والذي اعتبروه إهانة لهم. وكان خروجهم شجبا للمؤسسة الحاكمة والمعارضة التقليدية لها. لأول مرة منذ الاستقلال خرج الملايين يطالبون بالحرية والعدالة والكرامة وقالوا «كفى كفي». وكان الحراك تعبيرا عن الغالبية الجزائرية الصامتة بكل أطيافها سواء كانت إسلامية أو يسارية، تقدمية، محافظة وعلمانية. وأمام هذه الهبة الشعبية اضطر الجيش للتحرك وإحداث تغييرات قادت في النهاية إلى التخلص من بوتفليقة ووضع عبد القادر بن صالح كرئيس انتقالي. لم تعجب التحركات التي قام بها الجيش الجهات التي باتت تتحدث باسم الحراك أو تلك التي رمت بثقلها خلفه بعدما اكتشفت انها ستخسر من رحيل بوتفليقة. وحاولوا والحالة هذه تحدي النظام الذي أقامه قائد الجيش أحمد قايد صالح. ونظرا لتغير طبيعة الحراك فقد قوته التي استلهمها من الشعب. ولهذا السبب لم يعد الناس يخرجون إلى الشوارع بالملايين بل وبعشرات الآلاف. وبدا العزوف عن المشاركة واضحا في المناطق الريفية. وتوقف الحراك مع الانتخابات الرئاسية في كانون الأول/ديسمبر ثم وصول كوفيد–19. وانتهى بيد مجموعة من الناشطين الذين حاولوا تحدي النخبة الحاكمة في ظل بوتفليقة لكنهم لم يستطيعوا مواجهة التيار. والسؤال هنا عن السبب الذي يدفع البعض للحفاظ على زخم الحراك؟ والجواب أنه يمنحهم شرعية. وبالنسبة للآخرين فالأمر نابع من عدم قدرتهم على تطوير رؤية طويلة الأمد. وهناك قطاع لا يزال يؤمن بفشل الجزائر في انتهاز فرصة التغيير التي وفرتها حركة الشارع. ولكن المشكلة نابعة أصلا من عدم قدرة البلاد على تشكيل مستقبل سياسي مختلف، مشروع متماسك يمكن تقديمه والعمل عليه. وهذا يحتاج إلى تفكير ومشاورة وتنازلات من كل الأطراف، وهي مميزات غير موجودة في الحياة السياسية الجزائرية. وعلى العموم فمن الباكر الحكم على أثر الحراك من خلال المقاربات التاريخية التي مرت على الجزائر الحديث مع أنها تساعد في إلقاء الضوء على سبب فشل الحراك الشعبي في التخلص من النخب الحاكمة. فما يصدق على حراك الجزائر يصدق على الانتفاضات الأخرى التي طالبت بالتغيير في العقد الأخير. وكلها انتفاضات انتهت إما بحروب أهلية أو انظمة قمعية أسوأ من التي رحلت. ولا بد من النظر إلى العوامل الاقتصادية التي أدت إلى هذه الثورات، كما في السودان التي بدأت بمطالب توفير الخبز ثم انتهت بتغيير النظام قبل أن يسبق العسكر المتظاهرين ويعيد إخراج نفسه واختطاف الثورة «المجيدة». ويمكن النظر للحراك في الجزائر على أنه مشروع غير منجز وقابل للتمظهر من جديد طالما لم تعالج الأسباب التي دعت إليه.

وباء كورونا وباء كامو

وهذا واضح في جزائر اليوم حيث معدلات البطالة وتراجع مستويات الحياة وأزمة الاقتصاد الناجمة عن تراجع أسعار النفط والغاز وهو ما دعا تبون إلى القول إنه سيخفض الميزانية بنسبة 50 في المئة. ويتوقع تراجع الاحتياطي الأجنبي من 66 مليار العام الماضي إلى 40 مليار هذا العام فيما توقع صندوق النقد الدولي انكماشا للاقتصاد بنسبة 5 في المئة والانهيار في البنى الصحية الذي كشف عنه الوباء. ففي جزائر اليوم هناك وحدة عناية فائقة لكل 100.000 شخص. وفي حالة فشل الحكومة مواجهة كل هذه العلل والأمراض فستجد نفسها أمام موجة غضب اجتماعية. ويقتضي هذا من الناشطين المضي أبعد من نقد الدولة أو المطالبة برحيل «السلطة» بل وتشكيل رؤية للمستقبل وبناء على علاقات مع منظمات المجتمع المدني والنقابات وحتى الأحزاب كما أشار تقرير في موقع «ذا هيل» (2020/10/22) وقارن بين وباء كورونا ووباء البير كامو. ففي رواية الأخير صور الوباء الذي أنهك مدينة وهران إلا أن وباء كورونا أصبح بالنسبة للجزائريين صيحة استيقاظ على عجز الدولة، رغم مسارعة الأخيرة لاستخدامه كمبرر للقمع والترهيب. في الأسبوع المقبل، هناك فرصة لامتحان قوة الشارع من خلال الاستفتاء على الدستور الجديد الذي يعزز من قوة رئيس الوزراء والبرلمان ويحدد فترة الرئيس، مع أن الكثيرين ينظرون إليه كمحاولة لإرضاء الشارع والحفاظ على مستوى القوة التقليدي في البلاد.

حوار

الباحث اللبناني جوزيف باحوط:

«الجحيم اللبناني» ليس نتاجاً كلياً للمتغيرات الإقليمية بل «صنعٌ في لبنان» وكذلك يكون الحل

حاورته: رلى موفّق

بكثير من الوضوح، يعتبر الباحث جوزيف باحوط، الذي عُيِّن حديثاً مديراً لمركز عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية، أن جزءاً من أزمة لبنان وانهياره الذي سيُدخله في الجحيم له علاقة بالعوامل الخارجية والإقليمية والدولية التي لا بد من انتظار نتائجها، ولكن جزءاً آخر من هذا الجحيم صُنع في لبنان، وبالتالي لا بد من إنجاز الحل داخلياً قبل أن تُسقَط التسوية الإقليمية على البلاد بما لا يُفيدها.

ويرى باحوط أن لبنان انعكاس ثانوي للملف الإيراني في الإدارة الأمريكية الحالية، وسيستمر هكذا مع الإدارة الجديدة إلى حين، وأن انتخاب رئيس أمريكي جديد أو الإبقاء على الرئيس الحالي لن يُترجِم بالضرورة ارتياحاً في الملف الإقليمي أو اشتداده بطريقة صدامية، ما يعني أن الانعكاس لن يكون مباشراً بالزمن ولا بالنتيجة الحتمية الراديكالية.

ويلفت إلى أن ثمة مشروعين في لبنان يتناقضان اليوم، أحدهما كان في مرحلة الصعود، وبواجه الآن مجتمعاً ممانعاً، بينما الثاني ما زال يعيش في زمن غابر ولا يُعيد اختراع نفسه، محذراً من أن الانهيار سيؤدي إلى انفجار العنف الذي سيأخذنا إلى مزيد من الوجع، ولن يُولّد نظاماً جديداً لأنه لا نظام يقوم على وقع الانهيار. وهنا التفاصيل:

○ نحن على بعد أيام من الانتخابات الأمريكية التي ستنعكس نتائجها على قضايا كثيرة. برأيك، أي انعكاسات ستحملها على لبنان المنهار مالياً واقتصادياً والغارق في أزماته الداخلية؟

● الانعكاس سيكون حسب النتائج. أشك أن أحداً قادر على التكهن بالنتيجة رغم استطلاعات الرأي وما يظهره الواقع الأمريكي. مثل هذه الأيام عام 2016 كانت هيلاري كلينتون متقدمة بفارق مريح إنما فاز دونالد ترامب.

المقولة أن أي انتخابات أمريكية تنعكس على واقعنا الشرق أوسطي واللبناني هي مقولة دائمة. في زمن الحرب اللبنانية كنا كل 4 سنوات نقول إن الأمور ستُحل لأن رئيساً أمريكياً جديداً سيُنتخب، لكنها استمرت 15 عاماً. الانعكاس لم يكن يوماً مباشراً بالطريقة التي يُفكر بها الناس. أكيد يوجد انعكاس، إنما يجب معرفة أنه في الإدارة الأمريكية الحالية، والأرجح أن هذا سيستمر لوقت مع الإدارة الجديدة، لا يُوجد ملف للبنان قائم بذاته إلى جانب ملفات شرق أوسطية أخرى، هناك جزء من ملف أو فصل اسمه لبنان، سوريا، العراق ضمن ملف كبير اسمه إيران. بمعنى أننا في لبنان انعكاس ثانوي للملف الإيراني في الإدارة الحالية.

عند الفرنسيين يوجد ملف للبنان قائم بذاته، ولهذا السبب يوجد اختلاف بين المقاربتين الأمريكية والفرنسية. المقولة الأمريكية مفادها أن إيران يجب أن تخضع لإعادة تفاوض على الملف النووي وما يتفرَّع عنه، أي الموضوع البالستي، ووجودها الإقليمي... إلخ، عبر الخضوع لما يسمى ضغوط الحد الأقصى.

هذه الضغوط القصوى تُطبّق على إيران عبر العقوبات وعلى الأماكن التي لإيران يد طولى فيها، وبالأخص لبنان لأن موضوع «حزب الله» هو الأبرز في الإقليم بما يتعلق بوهج النفوذ الإيراني. لغاية الآن هذه هي المقاربة، وكنا على قاب قوسين أو أدنى من اعتبار لبنان الرسمي مساوياً لـ«حزب الله». هذا هو المنطق السائد في واشنطن. يفصلنا فقط «إنش واحد» عن هذا الموضوع، ولكن على اللبنانيين أن يتنبهوا، ففي أي لحظة قد نصل إلى هذا المكان. حتى الجيش اللبناني قد يصبح خاضعاً لهذه المعادلة ما يؤدي إلى وقف كل أشكال المساعدة.

حدثت تغييرات جزئية في هذا الموضوع في الفترة الأخيرة لها علاقة بانفجار المرفأ، وأيضاً بضرورة ألا يموت لبنان كلياً قبل أن تحدث الاستحقاقات الجديدة في المنطقة، ربما يتم إنعاشه بقليل من الأوكسجين حتى لا يموت بشكل مباشر. من هنا تبرز «الحلحلة» الحالية في عملية تشكيل الحكومة، ولكنها لا تغيّر الإطار العام.

في حالة فوز ترامب ستُطرح عدة أسئلة: كيف سيُكمل الضغط الأقصى على إيران لإجبارها على الحضور إلى طاولة المفاوضات في وقت كل خبراء ملف إيران في الولايات المتحدة يقولون إن هذا الموضوع قد يستغرق سنوات؟ والسؤال الآخر هو كيف سيتم سدّ الثغرات في الجدار الذي وضع بوجه إيران والتي تستغلها للنفاذ، لا سيما وأن النظام الدولي لا يقف ثابتاً خلف الأميركان، من روسيا إلى الصين إلى تركيا؟ وإلى أي حد سيختلف الهدف الأقصى الأميركي عن النتيجة السابقة، بمعنى كم سيستطيع ترامب أن يُحسّن الاتفاق الجديد مع إيران بالمقارنة مع الاتفاق القديم، فقد يزيد فصلاً على الموضوع البالستي أو على موضوع النفوذ الإقليمي لإيران، لكن في الواقع إذا لم يتغيّر ميزان القوى بشكل حقيقي بين إيران والدول الغربية وأميركا والخليج بشكل خاص فلن تخضع إيران لهذه المشيئة.

الخيار الآخر، هو الخيار العنفي الحربي، وهنا توجد أسئلة عدة حول مَن سيقوم به، الأميركيون أم الإسرائيليون؟ فعقيدة ترامب ثابتة بأنه لا يريد إدخال بلاده في حروب جديدة في المنطقة مُكلفة مالياً وبشرياً. تبقى الأداة المباشرة هي إسرائيل والخليج، وهنا نرى التقارب الجديد بين إسرائيل والخليج، ولكن لا أحد يستطيع أن يتصوّر أن بإمكان هذا الثنائي أن «يكسر» إيران بمعنى «النموذج العراقي»، أي تغيير النظام في إيران، فهذا ليس في متناول اليد. إذن سيبقى صراع عض أصابع وحرب باردة طويلة بين هذا الثنائي وإيران، وبالتالي يمكن أن يُدخل المنطقة في دوامة جديدة من الصراعات في لبنان أو اليمن أو سوريا أو العراق.

○ وإذا فاز المرشح الديمقراطي؟

● الناس تنطلق من فرضية أنه إذا فاز بايدن، وكونه كان نائباً لأوباما، فإنه سوف يعمل على إحياء الاتفاق النووي في اليوم التالي بعد انتخابه، وهذا ليس بالشيء المؤكد. ثمَّ إن بايدن وإنْ كان ملتزماً بشكل معنوي وربما سياسي بالاتفاقية حول النووي، كما كان سابقاً، إلا أنه براغماتي، ويرى أنه حتى لو كان هناك انتقاد كبير لما قام به ترامب، لكن في نهاية الأمر هناك مكتسبات وسوف يستفيد منها، كإضعاف إيران وخنقها اقتصادياً. لا يمكنه إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، ولكن إلى أي مدى سيستثمر ذلك؟

على كل، الأمور ستأخذ وقتاً قبل أن تبدأ المفاوضات مع إيران، هذا إذا بدأت. قد تمرُّ سنة أو أكثر حتى تُجهِّز الإدارة الجديدة نفسها، وحتى تفتح القنوات غير المباشرة. هنا لا بد من الإشارة إلى الواقع العربي الجديد. أيام أوباما فُتحت القنوات عبر سلطنة عمان وأطراف أخرى، أما اليوم فهذه الأطراف لم تعد مرشحة لأن تلعب دور الوسيط، فقد حدثت تغييرات. سلطان عُمان توفي، وكذلك أمير الكويت، والخليج طبَّع مع إسرائيل. الأمر أصبح أصعب تقنياً، ويستلزم فتح قناة مباشرة أو جديدة بين إيران وأميركا.

وهناك احتمال دخول موضوع آخر على الأجندة الأميركية يضع إيران في المرتبة الثانية أو الثالثة، مثلاً كوريا الشمالية أو انهيار الاقتصار العالمي بسبب كوفيد–19، وقد يرى الإيرانيون أن عليهم أن يختبروا الرئيس الجديد، وهذا الأمر قد يستغرق أكثر من سنة لمراقبة سلوكه في أماكن أخرى مثل سوريا واليمن... إلخ.

○ إذن الرهان على حلول قريبة هو رهان خاطئ؟

● ما أقصده أن انتخاب رئيس أمريكي جديد أو الإبقاء على الرئيس الحالي لن يُترجَم بالضرورة ارتياحاً في الملف الإقليمي أو اشتداده بطريقة صدامية. من المؤكد أنه سيكون هناك انعكاس مهم جداً للانتخابات الأمريكية سيطال العالم، لكن علينا أن نبقى هادئين لأن الانعكاس لن يكون مباشراً بالزمن ولا بالنتيجة الحتمية الراديكالية.

بالنسبة للبنان، برأيي أن جزءاً من أزمته ومن انهياره الذي سيدخله في الجحيم له علاقة بالعوامل الخارجية، الإقليمية والدولية، وهو ليس له يد فيها، وعليه أن ينتظر نتائجها، ولكن هناك جزء من هذا الجحيم صُنع في لبنان.

سأذهب أبعد من ذلك، إذا جاءت تغييرات إقليمية وهناك جزء لبناني لم يُنجز، فلن يكون لهذه المتغيرات الانعكاس المرتجى على لبنان. إذا كان هناك «فرض» لم يُنجز، فمن الممكن أن تُسقَط «الطبخة» الإقليمية على لبنان بشكل لا يُفيده، بمعنى أنه إذا كانت هناك تسوية بين أميركا وإيران، أو صدام بين أميركا وإيران، ولم يكن العمل المطلوب لبنانياً قد أُنجز كالإصلاحات وتغيير السلوك السياسي والخروج مثلاً من بعض المحاور الإقليمية، فلن يستفيد لبنان من «الطبخة» الإقليمية، وربما سيشبه الأمر فترة التسعينيات عندما أُسقط على لبنان «اتفاق الطائف» لأنه كان انعكاساً لتسوية إقليمية ودولية، وبرهنت التجربة أن هذا الموضوع لا يدوم.

من المؤكد أن هناك انتظاراً مفهوماً من قبل لبنان للمتغيرات الإقليمية التي ستعكسها الانتخابات الأميركية، ولكن هناك أموراً يجب أن تُنجز في لبنان

على الأقل لإبقائه على قيد الحياة إن لم نقل لإعادته إلى عافيته.

○ بمعنى الطبقة السياسية الحاكمة لا تتعامل على أساس أن هناك أزمة حقيقية، بل وكأن ما يجري هو فقط لعبة صراعات، فريق يرى أن علينا أن نصمد في وجه أمريكا مع إيران، وآخرون ينتظرون...

● صحيح، برأيي حدثان كان يمكنهما أن يُغيّرا عقلية الطبقة السياسية في لبنان، لجهة روحيتها ومقاربتها. الحدث الأول هو مفاجأة 17 تشرين الأول/ أكتوبر 2019، غير أن يقظة الشَّارع اللبناني لم تصمد أكثر من شهر أو شهرين بتأثيراتها على الطبقة السياسية. في البداية كانت كمن أصيب بلكمة فترنحت وفهمت أن شيئاً ما يتغيَّر، وأنه يجب القيام بعمل ما حتى تستعيد توازنها. لسوء الحظ، استطاعت تخطي هذه المرحلة، وساعدها الشارع بموت الحراك. وأظهرت الطبقة السياسية أنها أقوى بكثير من هذه اللكمة. ترنح النظام لكنه وجد سريعاً مخرجاً لأزمته، حينها من خلال وصفة حسان دياب التي مرَّرت الوقت، والآن من خلال وصفة سعد الحريري المتجددة والتي هي مهمة جداً برمزيتها، أي في العيد السنوي للثورة يعود سعد الحريري بهذا الشكل التسووي وبتسويات خفية. هذا الأمر أظهر أن الطبقة السياسية اجتازت القطوع الأول.

أما الحدث أو القطوع الثاني الذي كان بإمكانه المساهمة بوعي الطبقة السياسية وأن تفهمَ أن اللعبة انتهت، هو الانهيار الاقتصادي واشتداد الأزمة والوصول إلى الحائط المسدود. فعندما يقول حاكم مصرف لبنان إنه لم يعد يستطيع تأمين الدعم، ورئيس الجمهورية يقول إننا ذاهبون إلى جهنم، والتحويلات المصرفية لم تعد ممكنة، كان بالإمكان القول إن حليف الوعي في لبنان هو الأزمة الاقتصادية والانهيار، لكن لسوء الحظ، ظهرَ أن هذا أيضاً غير كاف... لماذا؟ لأن الانهيار بدل أن يُضعف شبكات الزبائنية التي تستعملها الطبقة السياسية لتسطو على المجتمع، ساعدها، بمعنى أن الناس أصبحوا اليوم – في ظل العوز والحاجة – يلتفتون أكثر إلى الطبقة السياسية لورا ماذا بإمكانها أن تعطيهم بعد. وبدل أن يثوروا، يعودون إلى إحياء هذه الطبقة التي لُفظت في البداية. أيضاً العودة إلى تسمية سعد الحريري واعتبار بعض الناس الذين كانوا ناقمين على النظام السياسي أن ما قاموا به يعتبر انتصاراً، هي برهان على إفلاس هذه الموجة التغييرية. هذا لا يعني أن الحراك انتهى ولكن يجب أن يُعيد اختراع وتنظيم نفسه.

جواباً على سؤالك، اللبنانيون يعيشون حالة إنكار وهذا الأمر واضح. من جهة، الطبقة السياسية عاشت لفترة قصيرة بحالة وعي، تملّكها الخوف على نفسها، لكنها عادت وفهمت أين مكامن خلل الخصم ومكامن قوّتها واستعملتها لآخر مدى. ومن جهة ثانية، حالة الإنكار عند الناس ما زالت موجودة. جزء من اللبنانيين يقول إننا نتألم اليوم، ولكن بعد شهرين ستحدث تسوية إقليمية ونرتاح وتأتي الأموال، وكأن الأموال ستمطر مباشرة بعد التسوية الإقليمية، أو كأن التسوية الإقليمية ستحدث مباشرة بعد الانتخابات. وجزء آخر يقول إنه بعد شهرين أو ثلاثة ستنهار إيران وستصبح البوارج الأمريكية قبالة شواطئنا، و«حزب الله» سيستسلم ونعود إلى تركيب نظام سياسي آخر، وتستتب الأمور فتتدفق أموال الخليج إلى لبنان وأموال اللبنانيين في الخارج تعود. هذا وهم مطلق، وهنا أعود إلى الوهم اللبناني لأقول إن الاثنين يتغاضيان كلياً عن شيء لن تجده حلاً أي إرادة دولية إذا لم يُحل لبنانياً، وهو حجم الفجوة الاقتصادية – الاجتماعية التي حدثت في البلد، والتي لها علاقة أكيدة بالتطورات الإقليمية، وأيضاً لها علاقة بديناميات محلية. وحتى أقولها بشكل محسوس أكثر: إذا كان صحيحاً أن هناك 60 إلى 80 مليار دولار من الثروة الوطنية تبخّر، أي خسرناه وأنا أعتقد أنه صحيح، فمهما حدث من تغيّرات إقليمية فلن تُغيّر من أن حجم اقتصاد لبنان انتقل من 100 إلى 40، بمعنى أن البالون تقلّص، وهذا لن يعود. ومهما حدث إقليمياً، ولو قلنا إن الأمور تحلحلت وعادت الحركة إلى الدوران، لا يمكننا التغاضي عن أن هناك شيئاً خسره لبنان، وهو كمن بُترت يده أو خسر كُليته، بإمكانه العيش ولكنه سيعيش بعضو ناقص. هذه برأيي هي حالة الإنكار.

○ لم تعد هُناك إمكانية لأن يعود لبنان إلى ما كان عليه؟

● هناك شيء سياسي وشيء اقتصادي وشيء معنوي وشيء ثقافي، هذه الكيمياء اللبنانية التي كانت موجودة انتهى شيء منها إلى غير رجعة.

○ برأيك ألم نمر بمرحلة سابقة كنا نقول فيها الشيء نفسه؟

● صحيح. وقد حدثت تحوّلات في تاريخ لبنان غيّرت وجه البلد. الناس لا تُحب كثيراً سماع هذا الكلام. لنأخذ الواقع الطائفي الجديد، أو الواقع السوسيولوجي للبنان الكبير في الـ1920، بتركيبته والسطوة الثقافية والسياسية التي كانت لبعض الطوائف والمجموعات في لبنان؟ لا، وجه البلد تغيَّر. خلال الحرب تغيَّر تدريجياً ولهذا لم نعد نشعر به. طريقة حكم لبنان عشية الحرب الأهلية وما بعد الحرب الأهلية تغيّرت راديكالياً وكذلك طريقة معيشته، ولكن هذا حدث على مدى 20 عاماً، أما الآن فالتغيير يحدث مرة واحدة، الانهيار والمصارف والهجرة، والإقليم. كل هذا يتغيَّر مرة واحدة، وهذه المرَّة بشكل أقوى وأفظع على الناس. هذا الأمر أصبح واضحاً ولا أعتقد – إلا إذا حدثت أعجوبة – أن القطاع المصرفي اللبناني سيعود إلى ما كان عليه بعد الذي أصابه من عطب تقني ومعنوي. المصارف لن تعود مكوناً للحياة الاقتصادية في لبنان.

توجد أسئلة يجب على اللبنانيين أن يطرحوها على أنفسهم بمعزل عن المتغيرات الإقليمية، هل سيبقى لبنان مُصدّراً لأولاده؟ وأي وظيفة ستكون له... بلد صناعي أم زراعي؟ وهل سيعود بلداً سياحياً؟ هل العالم ما زال مستعداً لاستقبال أولادنا؟ الغرب يتغيَّر واللبنانيون يجب أن يفكروا بهذا الموضوع. ماذا سيفعلون إذا حدثت تسوية كبيرة في المنطقة. إذا حدث تطبيع مع إسرائيل ميناء حيفا وميناء بيروت سيعودان للتنافس، كم تحضَّرنا لهذا الموضوع؟ إذا حدثت تسوية لا أحد سيُقدّم لنا الهدايا، ويُعطينا الميزة التنافسية لميناء بيروت التي كانت موجودة في ظل الصراع العربي ـ الإسرائيلي، هذه كلها تغييرات جوهرية تُحتم على اللبنانيين التفكير بخياراتهم المستقبلية، وليس فقط ترقب ما سيحدث في الإقليم حتى نقرر ماذا سنفعل، وماذا نفعل لنكون حاضرين لهذه المنافسة؟

○ مَن تقصد؟

● النخب اللبنانية كافة، النخب السياسية الحاكمة، النخب السياسية المعارضة، جزء منها من مسؤولية الحراك والثورة الطامحة للتغيير التي لم أسمع منها شيئاً بهذا الموضوع، النخب الاقتصادية التي ما زالت على فكر كلاسيكي وممل، وكيف نعيد المصارف إلى حركتها، وكيف ننهي الخسارات؟ أنتِ كشخص لديك خسارة وستجدين طريقة لسداد ديونك ولكن كيف ستُعلّمين أولادك وأين ستسكنين؟ هذه الأشياء بحاجة إلى بحث. كذلك النخب الثقافية والفكرية التي أنتجتْ في المرحلة السابقة الفكر الذي كان ملازماً لمسيرة النجاح اللبناني في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات، هذا انتهى وهذه النخبة الثقافية رحلت. فبماذا تفكر النخبة الثقافية الموجودة اليوم حتى تجد ليس فقط وظيفة اقتصادية للبنان وإنما كرسالة ودور؟ هل بإمكاننا بعد أن نكون أرض التعايش أو المسالة بين الأديان؟

○ أنا سألتك مَن تقصد لأن هناك قناعة بأن فريق من اللبنانيين لديه مشروعه، وآخرون متمسكون بلبنان ولكن يظهرون عاجزين وقاصرين...

● إذا كنتِ تقصدين ما يُمثّله «حزب الله» أكيد لديه مشروع رديف للبنان، ولكن أولاً هذا ليس مشروعاً متكاملاً، إنما مشروع جزئي له علاقة بالممانعة السياسية وربما الأمنية، وربما له علاقة بتصوّر ما، للانحياز إلى بعض المنظومات في المنطقة ضد منظومات أخرى، ولكن هذا لا ينشئ بلداً بحد ذاته، هذا ملائم لمرحلة معينة ولكن هذا لا يكون جزءاً من هوية بلد، وإنما جزء من مهام آنية. كما أن هذا لا يترجم سياسة اقتصادية ولا يترجم سياسة ثقافية. لنفترض أن هذا عبارة عن مشروع، أين الجانب الاقتصادي منه؟ ربما هو الانفتاح باتجاه الشرق ولكن هذا لا يكفي؟ ماذا يفعل باقي الأجزاء؟ كيف أتعامل معه؟ وهناك سؤال آخر بمعيار قبولية المشروع في المجتمع اللبناني؟ وماذا يفعل لكي يحوز على الأكثرية؟ وإذا لم يكنْ الأكثرية كيف سيتركم؟ هل بالتسلط؟ هذه هي الأسئلة التي يجب أن تطرح.

من الجانب الآخر هناك تقصير في التفكير المراد. جزء يعيش «نوستالجيا» بأن لبنان القديم ممكن أن يعودَ عندما يتغيَّر الإقليم، وهذه موجودة منذ آخر الحرب في لبنان، وهي على فكرة شاركت وساهمت بإنتاج وفبركة ما سمي وقتها الإحباط المسيحي. لقد ظل المسيحيون يعيشون لمدة عشر سنوات في «الثلاجة»، على أمل أن يُرفع الغطاء عن «الطنجرة» فيخرج الموضوع السوري من المعادلة ونعود إلى لبنان الستينيات. هذا لن يعود لأنه تغيّر. جزء يعيش هذه النوستالجيا وجزء يعيش الإمكانية الثانية، بأن تحدث تسوية ويعود الخليجيون إلى إرسال الأموال ونعود نحن للعمل سماسرة لديهم وننظر لما يريده الأمريكيون، بمعنى أنه ليس عندنا رأي حول ماذا سنفعل بأنفسنا.

المشروعان يتناقضان اليوم، أحدهما صاعد، بينما الثاني ما زال يعيش في زمن غابر ولا يُعيد اختراع نفسه. الوضع مؤلم وصعب لأننا عالقون بين نموذج إقليمي ـ دولي ـ لبناني انتهى، ونموذج بديل لم يتبلور بعد ومتعثر الولادة وقد طال الوقت. هذا ما تكلم عنه (أنطونيو) غرامشي عن أوروبا في العام 1940. هناك عالم يموت وعالم آخر عصيّ على الـولادة، وبينهما شيء مُخيف. نحن نعيش في هذا الشيء المخيف، حيث الخيالات مسموحة، وتكثر النظريات الواقعية وغير الواقعية التي فيها بعض الحقيقة لكن لا أحد يستطيع حسم النتيجة.

برأيي هذا الأمر ليس سلبياً بالمطلق، هناك شيء إيجابي، بمعنى أنه طالما هناك وقت ضائع في المنطقة والعالم، وطالما أننا في «القعر» ولدينا هذه التخمة من المشاريع، إذن دعونا نتحاور حول مستقبلنا، لكن هذا الحوار يجب أن يتمّ على وقع المساواة. البعض يرى أن هذا الأمر صعب راهناً بوجود مشروع قادر على فرض نفسه على الآخرين لأنه يملك أدوات السلطة، لكن ذلك وإنْ حصل لا يعطيه الشرعية كونه لا يملك القدرة على إقناع الجميع بقيمة مشروعه.

○ لكن هناك نظرية أخرى تقول إنه حتى يستطيع «حزب الله» فرض مشروعه، تمّت رشوة هذه الطبقة السياسية بالفساد الذي نشهد ارتداداته... (مقاطعاً)

● هناك إفساد حصل للآخرين شرط السماح لمشروعه بإكمال مسيرته، لكن هذا لم يحظ بالانسيابية في المجتمع. وأنا برأيي هذا من أسباب القلق الكبيرة المفروض أن تكون لدى «حزب الله»، وهي تختلف عمّا كان يجري في التسعينيات، بمعنى أن «حزب الله» اليوم يطل على مجتمع ممانع بشكل كبير لمشروعه، بشكل أكبر مما كان يعتقد. اليوم استدرك الأمر واستدرك أنه يوجد فريق كامل يرفض هذا المشروع. من الممكن أنه يفكر بطرق بديلة، والانهيار الاقتصادي عامل مساعد آخر في دكّ مشروع «الحزب». فليس بإمكانه عزل نفسه عن هذا الانهيار الذي يحدث اليوم. هو مأزوم كما القوى الأخرى، إنما الفرق أن أزمته أقل من أزمتهم لأنه ليس طرفاً لبنانياً بالكامل، ولأنه طرف كان في مرحلة الصعود وربما الآن توقف صعوده. ومن هنا جاء القول للأمريكيين إنه إذا كان رهانكم أن الجوع في لبنان سيؤدي إلى انهيار «حزب الله»، فإن لبنان سينهار قبل «الحزب».

○ الرأي المقابل يقول إنه لولا هذا الضغط على لبنان لما تكوَّن الوعي اللبناني بخطورة مشروع «حزب الله»؟

● صحيح، لكنه لا يُغيّر في الصورة العامة، سيُغيّر عند الناس الذين كان عندهم وهمٌ أن «الحزب» لديه مشروع، اليوم يقولون إن هذا المشروع قائم على تجويعنا.

○ لا حلول سريعة والوقت قاتل بالنسبة للبنان وكأن لا خيارات أمامه سوى الانهيار، هل يمكن أن يخلق ذلك شيئاً غير متوقع؟

● غير المتوقع هو انفجار العنف الذي سيُدخلنا إلى مكان آخر. وماذا يمكن أن يُخلّف الانهيار غير مزيد من الوجع واحتمال العنف؟ هل سيولّد نظاماً جديداً؟ لا... لأنه لا يقوم نظامٌ على وقع الانهيار.

حريات

أطفال شبوا في السجون وآخرون شابوا فيها

الأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال: حكايات تروي عذابات السجن وقهر السجان

غزة – «القدس العربي»:
أشرف الهور

أظهر تعامل المؤسسات الإسرائيلية سواء العسكرية التي تشرف على قطاع السجون التي تفتقر لكل مقومات الحياة، أو القضائية، التي تصدر أحكاما لخدمة المؤسسة الأولى، من دون أي اكتراث لحقوق الإنسان، في قضية الأسير الفلسطيني ماهر الأخرس الذي دخل شهره الرابع في الإضراب المفتوح عن الطعام، مدى وحشيتها في قمع الفلسطينيين بشتى الطرق، وعملهم المشترك على اتباع سياسة إلحاق الأذى حتى الموت بكل من يقع في قبضة الاعتقال.

وفي سجون إسرائيل وعددها نحو 23 معتقلا ومركز احتجاز، تعتقل سلطات الاحتلال نحو خمسة آلاف أسير فلسطيني، بينهم نساء وأطفال وكبار في السن، ومن بين العدد الإجمالي هناك أسرى يعانون من أمراض مزمنة وخطيرة، ويشكي جميعهم من سوء المعاملة، ومن تعرضهم للإهانة والتعذيب، فيما هناك العديد منهم محرومون من زيارة الأهل، ويقبع آخرون في زنازين عزل انفرادي.

أوضاع مريرة وسجان مجرم

ويعيش هؤلاء جميعا في هذه الأوقات حالة خوف وترقب شديدين، بعد وصول فيروس كورونا إلى تلك المعتقلات التي تفتقر لكل مقومات الحياة، من ناحية ضيق غرف الاعتقال التي يتواجد فيها عدد كبير من الأسرى، وهو ما يسهل انتشار الوباء، وقلة الامكانيات المتوفرة للتصدي للفيروس، حيث تفتقر السجون لمواد التعقيم التي يحجبها السجان عن الأسرى، كما يعاني الأسرى إضافة إلى النقص الحاد بالأدوية وحرمانهم المتعمد من العلاج ضمن سياسة «الإهمال الطبي» من وجبات الطعام السيئة من ناحية الكم والنوع.

وبدون أي اكتراث لحالة المناطق الفلسطينية، حيث يعاني المواطنون من انتشار فيروس كورونا الخطير، تنفذ قوات الاحتلال يوميا حملات اعتقال واسعة، تطال مواطنين جدد يزج بهم خلف قضبان السجون، ومن بينهم أطفال ونساء وكبار في السن ومرضى، وهو ما يضع احتمالية كبيرة لتفشي الفيروس في السجون، عن طريق المعتقلين الجدد، الذين اكتشفت فيهم عدة إصابات.

فمثلا خلال شهر ايلول/سبتمبر الماضي، اعتقل الاحتلال 341 مواطنا، بينهم 32 طفلاً، وثلاث سيدات، وفق إحصائية أعدتها مؤسسات الأسرى وحقوق الإنسان في المناطق الفلسطينية، ليضافوا إلى الأسرى القدامى، والذين من بينهم نحو 350 أسيرا يقضون أحكام سجن إدارية، كالأسير ماهر الأخرس، وهي أحكام لا تشمل توجيه أي تهم، حيث يتذرع الاحتلال أن تهمهم سرية، ويصدر أمر الاعتقال من قائد عسكري في جيش الاحتلال في مخالفة للقوانين الدولية.

وقد أعاد الأسير ماهر الأخرس من جديد إلى الأضواء معاناة الأسرى الإداريين، حين قرر خوض إضراب عن الطعام، بدأه منذ 27 تموز/يوليو الماضي، مصرا على إطلاق سراحه ونيل الحرية، رافعا شعار «النصر أو الشهادة».

وقد ظهر الأخرس الذي وضعه الاحتلال في أحد المشافي الإسرائيلية بعد تردي وضعه الصحي، في لقطات مصورة، كشفت حجم الجبروت الإسرائيلي في التعامل مع المعتقلين، واستمراره في العمل بالسياسة التنكيلية التي تستهدف حياتهم في المقام الأول. فخلال تلك اللقطات كان الأسير الأخرس يتحدث بصعوبة، وقد بدا على جسده المرض والهزل والتعب، ويقول «أريد أن أعيش بحريّة وكرامة، ورسالتي فقط أنني لا أريد أن أعيش مهدداً في بيتي» وأضاف: «من أول يوم في إضرابي رفضت الاعتقال ليوم واحد إما حراً طليقاً وإما أن يبقوا علي في سجونهم ومستشفياتهم حتى يقضوا علي بالإعدام بقراراتهم هذه» وقبل ذلك قال في رسالة للاحتلال إنه سيستمر في الإضراب، حتى تحقيق النصر أو الشهادة.

الأخرس نموذجا

وكان الأخرس بذلك يكرر أفعال أسرى إداريين سابقين، خاضوا تجربة الاعتقال، ومن بينهم من أمضى أكثر من أربعة أشهر متتالية حتى تمكن من نيل حريته، ويلجأ هؤلاء لخوض «معارك الأمعاء الخاوية» بالإضراب المفتوح عن الطعام، رغم أنهم يتعرضون خلال فترة الإضراب إلى ضعف وهزل ومرض شديد يهدد حياتهم بالموت، طلبا لنيل حريتهم أو تحسين ظروف اعتقالهم، ونجح الأسرى في مرات سابقة بإرغام الاحتلال على تلبية مطالبهم.

وأكدت مؤسسات الأسرى الفلسطينية إن محاكم الاحتلال وبكافة درجاتها، ساهمت بشكل أساسي في تفاقم معاناة الأسير الأخرس، عبر قراراتها المتواطئة مع مخابرات الاحتلال، مؤكدة أن جزءا من هذه القرارات، ما تُسميه المحكمة العليا للاحتلال بتجميد الاعتقال الإداري، الذي يُشكل إحدى الخدع والأدوات الأساسية التي ساهمت في ترسيخ سياسة الاعتقال الإداري على مدار السنوات القليلة الماضية.

ويقول قدورة فارس رئيس نادي الأسير، إن محاكم الاحتلال باتت أداة تعمل بتوصيات جهاز «الشاباك» الإسرائيلي، مشيرا إلى أن الاحتلال بالإضافة إلى محاكمه يتعنت في قضايا الأسرى.

وقد أعرب منسق الأمم المتحدة الخاص لعملية السلام في الشرق الأوسط نيكولاي ميلاديونوف عن رفض الأحكام الإدارية، ودعا إسرائيل إلى توجيه تهم للأسرى الإداريين، وتحديد مدة محكوميتهم، أو إطلاق سراحهم على الفور، وقال إن الأمم المتحدة تطلق دعوات بشكل دائم لضرورة الإفراج عن الأسرى الإداريين.

فيما أوضحت وزيرة الصحة مي الكيلة، أن الإضراب الطويل عن الطعام في مثل حالة الأسير الأخرس يترك أثرا كبيرا على الجسم، حيث أن عدم وصول التغذية

تعتقل سلطات الاحتلال نحو خمسة آلاف أسير فلسطيني

والاكسجين الكافيين للأعضاء كالرئتين والكلى والقلب الأمعاء قد يؤدي إلى فشلها.

وفي دلالة على أن سلطات الاحتلال تستخدم سياسة الاعتقال الإداري للانتقام من الفلسطينيين، اعتقلت قبل أكثر من أسبوع القيادي في حركة حماس حسن يوسف، بعد أقل من شهرين على إطلاق

سراحه، وحولته لعدم ثبوت أي تهمة ضده للاعتقال الإداري لمدة ستة أشهر، وهي مدة قضاها قبل إطلاق سراحه الأخير، وقد تكررت خلال السنوات العشر الماضية عدة مرات.

ويقول رياض الأشقر الناطق الإعلامي باسم مركز فلسطين لدراسات الأسرى، إن محاكم الاحتلال العسكرية أصدرت 880 قرارا إداريا بحق أسرى فلسطينيين منذ بداية العام الجاري، وأفاد بأن تلك المحاكم العسكرية لم تتوقف عن إصدار أوامر الاعتقال الإداري، بتعليمات من المخابرات الإسرائيلية التي تتحكم في تفاصيل هذا الملف.

إهمال طبي متعمد

وليس بعيدا عن الاعتقال الإداري هناك سياسة «الإهمال الطبي المتعمد» ففي سجون الاحتلال يتجاوز عدد الأسرى المرضى 700 أسير وأسيرة، منهم نحوٍ 170 حالة مرضية صعبة وخطيرة، بينهم 25 مريضاً مصاباً بالسرطان، وآخرون بأمراض مزمنة وخطيرة، كالضغط والسكر والكبد والفشل الكلوي، وكثير منهم يحتاجون إلى إجراء عمليات جراحية.

وبالاطلاع على أوضاع هؤلاء المرضى، يتبين أن مستوى العناية الصحية بالأسرى شديد السوء، حيث يحصلون على رعاية شكلية فقط، وذلك بشهادات الأسرى الذين ما زالوا معتقلين أو خرجوا مؤخرا، وهو ما تدلل عليه تقارير أصدرتها هيئات دولية.

وأكبر دليل على سوء الرعاية الصحية، هو ارتفاع عدد الوفيات في صفوف الأسرى المرضى، فخلال أقل من عام استشهد جراء الإهمال الطبي أو المرض الخطير، عدد كبير من الأسرى من بينهم الأسيران بسام السايح، وسامي ابو دياك، اللذان قضيا بمرض السرطان، والأسير فارس بارود والأسير سعدي الغرابلي، وكان آخر من تعرضوا للموت في سجون الاحتلال الأسير داوود الخطيب، الذي قضى قبل أربعة أشهر من انتهاء محكوميته.

وفي دلالة على تلك السياسة، خضع قبل أيام الأسير إسماعيل عارف لعملية جراحية في مستشفى «برزلاي» الإسرائيلي تم خلالها استئصال إحدى كليتيه، وقال نادي الأسير، إن إدارة سجون الاحتلال أعادت الأسير عارف، إلى سجن «النقب» بعد أيام على نقله لإجراء العملية، ما يفرض تساؤلات تتعلق بحقيقة العلاج الذي جرى تقديمه له، ومتابعة وضعه الصحي بعد إجراء العملية الجراحية.

ويقول عبد الناصر فروانة الباحث في شؤون الأسرى ومدير دائرة التوثيق في هيئة الأسرى لـ «القدس العربي» إن «المعتقلين المرضى يعانون من أمراض مختلفة، وبينهم 300 مصاب بأمراض خطيرة» لافتا إلى أن الاحتلال الإسرائيلي يتعمد استخدام سياسة «الإهمال الطبي» بحقهم، وعدم تقديم الرعاية الصحية المناسبة لهم.

واضاف: أن هؤلاء الأسرى موزعين على قرابة 23 سجنا ومعتقلا ومركز توقيف أبرزها: النقب ورامون ونفحة وبئر السبع والنقب وهداريم وعسقلان والدامون وجلبوع وشطة وعوفر ومجدو والرملة والمسكوبية، وقد أعرب عن بالغ قلقه جراء استمرار الاعتقالات اليومية واستمرار الاستهتار الإسرائيلي بحياة الأسرى وأوضاعهم الصحية، وعدم حصولهم على الرعاية الطبية اللازمة لهم، ورفض سلطات الاحتلال الإفراج عن الأطفال والنساء والمرضى وكبار السن في ظل تفشي فيروس كورونا.

وأشار إلى أن القلق يزداد لدى الأسرى وعوائلهم، مع توقف زيارات الأهل والمحامين وانقطاع آليات التواصل فيما بين الطرفين مع استمرار جائحة كورونا، وارتفاع أعداد المصابين بين الإسرائيليين وخطورة ذلك على المعتقلين، داعيا المجتمع الدولي واللجنة الدولية للصليب الأحمر، للضغط على إسرائيل وإجبارها على تقديم الرعاية الطبية المناسبة للمعتقلين الفلسطينيين وإجراء فحوصات دورية لهم وتزويدهم بالأدوية اللازمة.

وقبل أيام أكدت هيئة شؤون الأسرى والمحررين، أن الأسرى المرضى والجرحى القابعون داخل عيادة «سجن الرملة» والبالغ عددهم حاليا 13 أسيرا، يواجهون «الموت البطيء بسبب معاناتهم من شدة الأوجاع والمرض» وقالت إن إدارة سجون الاحتلال لا تكترث للأسرى الموجودين في تلك العيادة، وتمعن في انتهاكهم طبيا وتتركهم يكابدون الأوجاع، حيث يشتكي الأسرى هناك من أمراض مزمنة وخطيرة للغاية كمرضى السرطان والقلب.

وذكر فروانة أنه بالإضافة إلى هؤلاء فإن مئات آخرين استشهدوا بعد خروجهم من السجن بفترات وجيزة جراء أمراض ورثوها عن السجن وبسبب ما تعرضوا له من تعذيب وإهمال طبي خلال فترة وجودهم داخل السجن الإسرائيلي، فيما ارتفع عدد الشهداء في صفوف الأسرى إلى 223 أسيرا منذ العام 1967.

العزل الانفرادي والتعذيب

وإلى جانب تلك الانتهاكات البليغة، تتبع سلطات الاحتلال سياسة «العزل الانفرادي» والتي تقوم على زج عدد من الأسرى في زنازين ضيقة أطولها يكون أقل من قامة الأسير، بحيث لا تكفيه عندما يمدد جسده ليخلد إلى النوم، وتبقي على عدد من الأسرى لعدة أشهر معتقلا بشكل انفرادي، لا يختلط بأي شخص، في إطار اتباعها سياسة الضغط النفسي.

وقد شرع قبل أيام 60 أسيراً في سجون الاحتلال، في إضراب عن الطعام، وقال حسن عبد ربه، المستشار الإعلامي لهيئة الأسرى، أن إضراب هؤلاء جاء احتجاجا على استمرار إدارة السجون بعزل ثلاثة أسرى من قيادات الحركة الأسيرة، وهم وائل الجاغوب، وحاتم القواسمي، وعمر خرواط، فيما قامت إدارة سجن «عوفر» في إطار تعذيب الأسرى بنقل ثلاثة منهم إلى عزل سجن «شطة» وقد توقف إضرابهم بعد أن رضخت إدارة السجون لمطالبهم، بما يعني أن الحصول على أبسط مقومات الحياة في سجون الاحتلال، بات بحاجة إلى التضحية حتى بحياة الأسير.

ولم تتوقف مسيرة التعذيب الإسرائيلي للأسرى عند هذا الحد، حيث تتبع سياسة اقتحام غرف الاعتقال باستخدام الوحدات الخاصة والكلاب البوليسية، وتتعمد خلالها الاعتداء على الأسرى وضربهم وتحطيم مقتنياتهم، وكان آخر الاعتداءات ما تعرض له الأسرى في سجن «ايشل».

وتخلل العملية التي تتكرر كثيرا، وصعدتها سلطات الاحتلال مؤخرا، اقتحام قسم 10 وهو القسم الوحيد في سجن «ايشل» وقيدت الأسرى وعددهم 20 واعتدت عليهم بالضرب المبرح، مشيرًا إلى أن جزءًا منهم من المرضى الذين يعانون أمراضا مزمنة. وتُعد عملية القمع التي تعرض لها الأسرى في سجن «ايشل» الأعنف بعد عمليات القمع التي نفذت في سجن «عوفر» خلال ايلول/سبتمبر الماضي، والتي تمت عقب استشهاد الأسير داود الخطيب، وأدت إلى وقوع إصابات بين صفوف الأسرى، وفق المصدر ذاته.

ويمكن معرفة حجم الأثر النفسي الذي تعمدت سلطات الاحتلال إيقاعه بالأسرى، من خلال النظر إلى ملف الأسرى القدامى، الذين دخلوا السجون وهم في ريعان الشباب، ليشيبوا في تلك الغرف المظلمة، خاصة وأن هناك أسرى أمضوا أكثر من 35 عاما متواصلا في الأسر، الذي دخلوه في منتصف العشرينيات، ومن الأسرى من شب وهو في الأسر، بعد أن دخله وهو طفل، ومن تلك الحالات الأسيرة المقدسية الجريحة مرح باكير (21 عاماً) والتي دخلت قبل أيام عامها السادس في سجون الاحتلال الإسرائيلي، حيث كانت قد اعتقلت وهي في سن الخامسة عشرة.

ولم تلتفت سلطات الاحتلال رغم ما يعانيه الأسرى في هذه الظروف، وفي ظل خطر انتشار فيروس كورونا للمناشدات الفلسطينية ولا الحقوقية الدولية، لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى، الذين يظلون بسبب إجراءات الاحتلال في دائرة الخطر الشديد، ويواجهون عمليات إعدام بطيء، علاوة على تعرضهم للضرب والإهانة والحرمان من العلاج والطعام الجيد.

كتب

مجموعة الشاعر السعودي عبد الوهاب أبو زيد «عشاء وحيد لروحي الوحيدة».

خبزُ ودمُ الشِّعر بسِكّين الماء وشوكة النار

المثنى الشيخ عطية

الإبداع وفق ما توصّل الإنسان وما لم يتوصّل إليه من معرفة، ما زال عمليةً ملتبسة، لكنّه يجد بعض مفاتيح أبواب التباسه في ما كشف العلم وما هجس به الشعراء، من أنّ الكون الذي نعيش فيه ويحيطنا بعناصره وكائناته المركّبة من هذه العناصر، هو كونٌ مترابط، بصورة مدهشة لمن تعمق أكثر في أسراره. ولا يخدعنّك الشعراء، بوعي منهم أو بدونه، إن كانوا يعنون القصيدة فقط بما يتحدثون عنه في عملية الإبداع، فهذه العملية، وفقاً لما يُلاحظ من إكثار شعراء الحداثة وما بعدها الحديث عن تداخل عملية الكتابة بما يتحدثون عنه، تعمّ الترابط الكونيّ المدهش الذي يتكشّف أكثر كلّما فتحت التكنولوجيا للإنسان آفاقاً جديدة.

«كم حلّقَ بي
هذا الشعرُ لأعلى علّيين
وعادَ ليقذفَ بي من قمّةِ جبلٍ شاهقْ
كم بثَّ أسائلُ نفسي
مشتملاً جلبابَ الحيرة:
من منّا المخلوقُ ومن منّا الخالقْ؟»

في «مدخل» مجموعته الشعرية «عشاء وحيد لروحي الوحيدة» والذي يعني به الشاعر السعودي عبد الوهاب أبو زيد قصيدته، يتجلّى تركيز الشاعر على الشّعر وتساؤلاته حول عملية الإبداع، ويدلّل تعريفه للقصيدة بعد هذا المدخل، على همّه حول كونها، الذي يتلبّسه، ويخصّص له مجموعةً شعرية كاملة، تتخطى محاولته في أن يكون القصيدة وتكونه، إلى تجلّي الارتباط الكوني بين العناصر، بتركيز على جهة الشّعر كمحور لصورة هذا الارتباط. وتتألق المجموعة في نظْمها هذا المحورُ كعقد فريد لا تضير نقاءه تداخلات القصائد مع شعرَاء متوَجين بالمتنبّي، ومحمود درويش الذي تهيمن روحه على المجموعة، من دون ضير الشاعر الاعتراف بتأثيره على شاعرها وأقرانه في خطابه الرثائي الذي لا يخرج عن فلك محورة المجموعة لنفسها حول الشعر:

«وتركتَ من أثر الفراشة/ في طريقك ما تركتْ/
نفضتَ كفيك الملطختين/ بالحبر الإلهي الشفيف/
لتسقطَ الكلماتُ مثل الخبز/ ساخنةً بأرواح/
الذينَ تشرّبوكَ/ فأورقت أغصانُهم/، ونما على/
أعضائهم/ وردٌ سماويٌّ وحقْهُمُ غمامْ».

في عَشائه الوحيد الذي يقدم فيه خبزَ جسده، ونبيذ دمه لقارئه، يضعُ الشاعر أبو زيد مجموعته في بنية ظاهرة تتكون من مدخل يليه تعريفٌ للقصيدة يشي برؤيته عن شرط نيلها شرف انتمائها إلى الشعر، تحت عنوان «محاولات بائسة لتعريف القصيدة». وتلي ذلك واحدٌ وسبعون قصيدةً تأخذ الأخيرة منها عنوان «خاتمة»، وتُفصح عن رؤية الشاعر للترابط بين موجودات الطبيعة، من خلال الشاعر الذي يحمل وصايا الموجودات والشعر في أن يكونَ الشعر والموجودات: «وقالت لي الشمسُ: كُنْ مشرقًا ومضيئًا/ وأرسلْ خيوطك فوق المدائن، فوق القرى!/ وقال الضبابُ :كُنْ شفيفًا رهيفًا!/ وقال الحجرُ: لُذْ بصمتك مثلي، وابقَ خفيفاً خفيفًا/ وقال المطرُ :امتلِئْ/ وقال الوحي «شعرائيل» كما يسميه الشاعر، قرين جبريل في غار حراء، الشعر السّاري بالكلمات على براق النبيّ، وإيقاع روح محمود درويش في قصيدة «أمّي»، الشعر كتابة الماء على الماء، المتداخل بسورة العاديات في القرآن ووافر بحر مديح المتنبّي.

ـ الشعر جسر العابرين، وأرجوحة الحيارى ما بين عالمنا الأرضي والغيب، الشعر الكائن الكامن بين الظلام والضياء، المتجسّد لحظة الشعر بما يتجسّد، الشعر تأرجح الشاعر على الصراط الفاصل بين الضلالة والظلال، في مداخلته مع أبيات الشاعر هاشم الجحدلي: «في مساء العميقة الزاخرة بتفاصيل عملية إبداع الشعر، يمكن تعداد بعض جمان عقد المجموعة، الذي يتجلّى فيه الشعر كفعل خلق للشاعر والقارئ، بما يعنيه الخلق من ترابط، ينتج معتقدات الإنسان التي تولّد صراعاته، ومثاقل آثامه، وتصورات خلاصه؛ كأمثلة:

ـ الشعر خطيئة آدم الأولى، التي حرّكت الحياة على الأرض بعد سكون موتها في الجنّة، ومسرى الأنبياء إلى مدنهم الغافلة، في التأمّل والكشف ومواجهة النور للتنوير: «والشعرُ همزةُ وصل تقودُ خطايَ/ إلى الماوراء/ وما يتلامعُ من أنجم في سمائي/ وطوري ومُعْتَزلي في العراء وغارُ حرائي/ وحائي وبائي/ وطيارتي الورقيةُ أرسلها في الفضاء».

ـ الشعر نديم الشاعر ومُبادِله في الخلق، يتداخل الشاعر مع إشراقات محمد الثبيتي الذي اشتهر بسطرا شعره: صُبَّ لنا وطناً في الكؤوس/ يدير الرؤوس»، في خطابه لشريكه الشعر: «إذا جئْتُني الليلَ صحتُ به:/ يا نديمي/ تعالَ إلى حانةِ الروحِ/ حتى نجيبَ نداءَ الكؤوسْ/ وحتى ندير الرؤوسْ/ ونصبحَ من فرطِ نشوتنا خالقينْ/ فأنفخ فيك الحياةَ/ وتحيي رميمي».

ـ الشعر شيطان الموسيقى المحرّض على معصية ثبات الإيقاع، الشعر انفلات الروح من قيد فلك الإيقاع الزمني، التوقُ المعذّب إلى الحرية حتى حدود إحساس الشاعر بوطأة ما يفعلُ «سجن الإيقاع» من تكبيلٍ لقدرته على فرد جناحيه بالاتساع الذي تتوق إليه نفسه، وإلى حدود تمنّيه الهرب إلى طلاقة قصيدة النثر، ولكنْ:

«أحياناً أشعرُ أنيَ محبوسٌ/ في سجنِ الإيقاع/ تساورني الرغبةُ في أن أتفلّتَ منهُ،/ وأهربَ نحو وَسَاعَاتِ النثرْ/ وأسرَحَ في غابته المسقوفة/ بفضاء أرحبَ/ بسماء زرقتها/ أكثرُ إغراءً/ لكنْ/ ما الحيلةُ/ وأنا محضُ وسيطٍ/ تتسلل عبريَ الأنغامُ/ وتتخذُ لها من كلماتٍ/ تتلبَّسُني جسدا».

ـ الشعر اختلاط الحواس السوريالي، الكتابة الآلية التي ينقلها رسول

حديثين، مع استخدامها جمالَ السّرد الشعري المميّز لأحدث إبداعاتَ قصيدة النثر، وإن بإيقاعات البحور المختلطة التفعيلات، والتتفعيلات الصافية. ويمكن للناقد والقارئ، الخبيرين بحور الشعر العمودي وشعر التفعيلة، رؤية الجهد الخلّاق المبذول في تشكيل قصيدة «ماء الحنين ـ إلى حسن السّبع في وداعه»، بالتداخل مع تشكيل قصيدة المتنبي: «نُعدُّ المشرفيّة والعوالي/ وتقتلُنا المنونُ بلا قتالِ»، على بحر الوافر، وخلْق الشاعر لتشكيل يُزاوج بين الصيغة العمودية التي سار عليها في المقطع الأول للقصيدة: «ملأتَ يديك من عسل الغياب/ وأطلقتَ السؤالَ بلا جواب»، وصيغة قصيدة التفعيلة في المقطع الثاني، والتي تختمُ مقاطعَها الحرّة المنسرحة بقفلات تفعيلات بحر الوافر، لتُنتج شكل ما يريد الشاعر التميّز به من تفرّد.

ـ والشعر ترابط الكون في ارتحال الشاعر وتجواله وحيداً في صحراء الكلمات المسحورة.

ويمكن للقارئ بوضوح ملاحظة تداخلات قصائد المجموعة سواء في المضمون وفي الشكل، مع التراث الديني من القرآن والأنبياء، ومن التراث الأدبي التاريخي الذي يأتي على رأسه المتنبي، ومن تراث الحداثة الذي يأتي في مقدمته محمود درويش، وعلى الأخص تداخل مقطع: «قمرٌ على بعلبك، ودمٌ على بيروت» في قصيدة بيروت، مع قصيدة «نبيّ يرتل شعراء». بالإضافة إلى التداخل مع بقية الشعراء في القسم الأخير من المجموعة، والذي ضم خمسة عشر قصيدة معظمها مرثيّات لشعراء أصدقاء للشاعر، من دون الخروج عن خط المجموعة في محورة نفسها حول الشعر.

ومن المهم في هذه الملاحظة الإشارة إلى مدى ما يثيره هذا التداخل في مجموعة تركز على نقاء الشعر من صوت الآخر حتى انعكاس وجه الشاعر في صفحة مياه كوكب المريخ، والتساؤل عن تأثير هذا التداخل في تفرّد القصائد. غير أن النظر بعمق إلى هذا التداخل وعيشه يفصح عن ثراء ما يمتلك الشاعر من معرفة بالشعر، وإثراء قصيدته بهذه المعرفة التي تشكّل متعةً مضافة لذائقة القارئ المطّلع. بالإضافة إلى تميّز القصيدة برؤية ولغة

عبد الوهاب أبو زيد: «عشاء وحيد لروحي الوحيدة»
خطوط وظلال، عمّان، 2020
173 صفحة.

«كيميا» رواية المصري وليد علاء الدين: محاربة المحو بالتوحد وإعادة سيرة الهامش

عادل ضرغام

يلاحظ المتأمل للرواية العربية في العقود الأخيرة أن هناك اتجاها سرديا روائيا يحفل بالتصوف وأعلامه المعروفين في أماكن وأزمنة تاريخية موغلة في القدم، وهذا الاتجاه أصبح ملموسا وفاعلا في تشكيل توجه معرفي خاص، يرتبط بالتاريخ ومفاهيمه المتطورة والنامية، من تاريخ يؤمن بالوثيقة والحقيقة المتعالية المحددة سلفا إلى تاريخ يؤمن بتجاور الخطابات وتناقضها، ولكنها تتشكل في النهاية على بساط متساو في القيمة دون تراتبية.

في بعض هذه الروايات هناك ارتباط واضح بالشخصيات الهامشية التي أهملها المؤرخون، ولم يتوقفوا كثيرا أمام أزماتها النفسية والشخصية، وربما يكون الإهمال متعمدا للحفاظ على نقاوة السياق العام الفاعل، وربما تولد بفعل الضوء الباهر للشخصيات المهيمنة، وكأن هذه الروايات تتخذ من السرد الروائي وسيلة لتقديم سردية مضادة، من خلال اختيار موقع خاص ووجهة نظر لهما مشروعية في إضفاء نوع من الجدل بين المتفق عليه والمستقر والرؤية التي يقدمها محاولا اجتراح حدودها وأطرها المستقرة.

إثبات الوجود وتشكيل سيرة الهامش

في رواية «كيميا» للكاتب وليد علاء الدين هناك وجهة نظر لافتة من البداية تتجلى في تصدير العنوان على هذا النحو، وكأن في ذلك تحريكا للهامش ليحتل الصدارة على نحو متعمد مبتعدا عن المساحة التي يحتلها الجنود في الحروب، ففي لحظة النصر والهزيمة لا تتمّ الإشادة إلا بالقادة، ولا تقام التماثيل والنصب إلا للمنتصرين من القادة والوراد، ولكن الجنود محور العمل والصراع لا يتم الاهتمام بتاريخهم.

الإشارات في الكتب التاريخية عن شخصية كيميا ربيبة مولانا زوجة شمس التبريزي تكاد تكون معدومة، وهذه ربما تكون الإشكالية الكبرى التي تواجه كتّاب الروايات، فقلة المرصود لهذه الشخصيات بالإضافة إلى أن المرصود لها لا يشكل بنية كاملة وإنما بنية مجزأة تحتاج إلى الاختراع والخيال لكي يستوي البناء. فالمكتوب عن كيميا وشمس التبريزي يكتنفه الغموض والشك أو الارتباط بنوازع مذهبية وأيديولوجية، لا تقف طويلا أمام المقاربة والدرس والشك المنهجي.

فالمرصود في المصادر التاريخية قليل، فليس هناك سوى بعض الإشارات التي لا تعطي سيرة شبه كاملة، ولكن هذه الشخصية لم تتأسس لها مشروعية إلا في الكتابة السردية الروائية بداية من «قواعد العشق الأربعون» لأليف شافاك، «بنت مولانا» للبريطانية مورل مفروي، بالإضافة إلى روايات عديدة سواء في الأدب الفارسي أو الأدب العربي.

تقوم رواية «كيميا» بتفكيك الخطاب المهيمن المتفق على نصاعته وجدواه، من خلال اشتغالها على وجهة نظر مغايرة تهيمن على خطابها من البداية، ففي منطق الرواية من إدخالها الخطاب المهيمن في حيز النقد والمساءلة تقاوم سقوطها من الذاكرة (سقطت كيميا من ثقوب ذاكرتهم تماما، كما سقطت من ثقوب نصوص مولانا وعباءة شمس). والرواية على هذا النحو تقارن بين نقيضين: نسق المهيمنة الذي يشكله مولانا الرومي وشمس التبريزي وابن الرومي الأكبر، ونسق المهمش المغلوب والمغيّب في ظلال الكيانات الكبرى، (فالكل على حد تعبير نص الرواية منشغل بساكن المقام، ولا يخطر على بال كثيرين المرور بهؤلاء المجهولين المتناثرين خارج أسوار ضريحه).

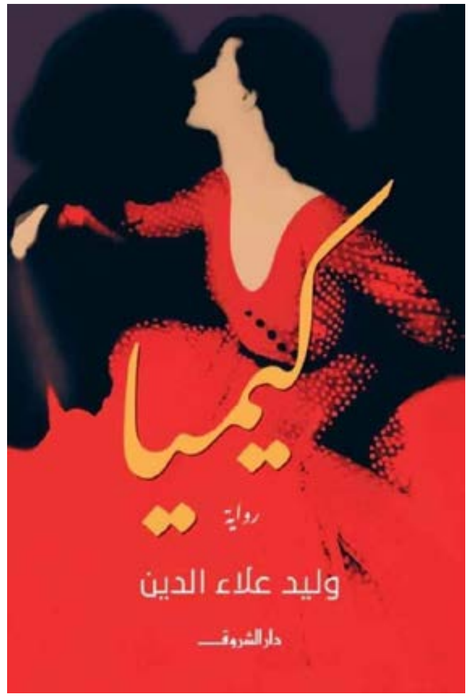

الإشارة في الجزء المقتبس السابق ـ حين يشير إلى قبور المريدين– تكشف عن أن التوجه في تفكيك الخطاب المهيمن على الذاكرة البشرية لا يرتبط بكيميا بحد ذاتها، وإنما هو خطاب يؤسس وجوده بشكل مضاد تجاه أي سياق يشكل هيمنة تمحو الآخرين، وفي إطار ذلك يحاول ان يشكل وجودا لآخرين لم يهتم بهم أو بوجودهم الخطاب التاريخي. هناك في نص الرواية إشارات تشد القارئ إلى نسق المهمشين بعيدا عن الاهتمام الخاص بكيميا، وهي اهتمامات كاشفة عن المنظور أو الموقعية الفكرية التي يتحرك في إطارها الراوي، وبالتالي يتم تنضيد وعي مجمل في سياق هذا التوجه، فعلى سبيل المثال حين يتحدث عن انتصار المصريين على الأتراك في (قونية) بقيادة إبراهيم باشا لا يشغله النصر بهالاته، وإنما شغله هؤلاء الفلاحون البسطاء الذين انتزعوا من أهلهم وأراضيهم. وتتوقف الرواية في إشارة لافتة إلى النسق النسوي المهمش حين رأيناه في رقصة المولوية الرسمية (منعت نفسي من الالتفات إلى الفتاة الصغيرة في المقعد المجاور. أشم ريح كيميا، أخشى أنني أظل أراها في كل فتاة).

الرواية تشكل خطاب مقاومة للمحو الذي تعرضت له كيميا ونسقها بشكل عام، خطابا يحاول أن يعيد تأسيس وجودها، من خلال الإشارة إلى عمليات العنف التي مورست عليها من خلال تغييب صوتها أو عدم استكشاف رغبتها أو رأيها، سواء من مولانا جلال الدين الرومي أو من خلال شمس التبريزي. فالنص الروائي يعمد إلى تفكيك الهالة حول هاتين الشخصيتين من خلال اختيار خط سردي يرتبط برغبة مقموعة لدى كيميا وعلاء الدين الابن الأصغر للرومي بوصفه خطابا سرديا مضادا للخطاب المتفق عليه في الكتابة التاريخية.

اختيار سردية محددة مضادة للسردية المهيمنة لا يكفي بمفرده لإيجاد مكان ونصب لهؤلاء المهمشين، وإنما يتجاوب معه في نص الرواية محاولة تفكيك المركز أو الشخصية المركزية المهيمنة التي يتضاءل ويتشتت ويخبو بجوار الضوء المشع منها أي ضوء آخر لا يجدل في إطارها وسياقها. وتنوعت في إطار ذلك استراتيجية التفكيك إلى طرق عديدة لتهشيم الأسس التي اتكأ عليها في تجذير مكانته. أولها يتمثل في نقد اختيار التوجه من مولانا جلال الدين الرومي نحو التصوف، فالرواية تشير إلى أن هذا التوجه نابع من السياق الحضاري العام، ولم يكن طواعية، فالخوف من المغول والخطر الداهم يبرز معه أن التوجه إلى التصوف كان مخرجا أو خيارا للخروج من ظل الأزمة، وليس وجودا أوجدته الرغبة من البداية.

القرين والمرآة

تستند الرواية باختيارها سردية محددة ترتبط بنسق الهامش والمهمشين خاصة من خلال الإلماح إلى علاء الدين وكيميا، إلى آلية فنية لا تستخدم بشكل كبير في الكتابة الروائية، وهي فكرة التوحد بالقرين. في النصوص التاريخية نجد تغييبا متعمدا لشخصية كيميا، ونجد حضورا لافتا لشخصية علاء الدين، وتكاد الدوائر الدلالية المحيطة بذلك الحضور تتوقف عند حدود (الحاسد) و(ضيق النظر والأفق)، و(الشرس)، و(عدو شمس التبريزي)، وهو في كل ذلك واحد من المجموعة التي ترى أن شمس التبريزي مفسد يخالف التقاليد والأعراف الخاصة بالمجتمع.

ولكن الخطاب الروائي باختياره توجها سرديا مضادا للخطاب التاريخي المجمع على مشروعيته، وهناك شبه اتفاق حوله، تؤسس إطارا يرتبط بالهامش ويكشف عن وجهة نظره، فهو إطار مقموع، وحتى حين يشعر أصحابه بدبيب ودفق الحب لا يكشفون عن عواطفهم، فكيميا بسبب وضعها الضعيف لم تكشف عن رغبتها أو صوتها، وعلاء الدين بسبب الحياء والخجل من هيمنة الأبوة.

وفي إطار ذلك تتشكل حدود الخطاب الجزئي الثاني، خطاب اليوميات المرتبط بالتجلي العام المكشوف أو الهدف المعلن للرحلة، فالتقارير الصحفية هي الجدوى الأساسية من الرحلة، ومن ثم هي خطاب يرتبط بالرسمية، وتتأسس له – تبعا لذلك – نمطية سردية مشدودة إلى التراتب المستقر وإلى الترتيب المنطقي للأشياء.

تنطلق الرواية من التشابه في جزء من الاسم بوصفه مثيرا فرعيا للتلاقي والتوحد بين السارد/ المؤلف الفعلي للنص والشخصية التراثية علاء الدين الابن الأصغر لمولانا جلال الدين الرومي بالرغم من الفارق الزمني، وهو الشخصية التي شكلت لها الرواية وجودا مغايرا عن الوجود التاريخي المتفق عليه، وكأن الرواية من خلال هذا التوحد تعيد معايشة ومقاربة الحكاية والمرور بها ومعاينتها لحظة حدوثها. وإذا كانت هذه المعاينة– حتى ولو بالإيهام ـ حاضرة فهذا يخلق لها نوعا من مشروعية الوجود والتجذر في السياقات الماضية.

إن الرواية حين تستند إلى فعل أو آلية القرين المرتبطة بتوحد شخصيتين من زمانين مختلفين تلح على أن هذه الروح بهذا المسلك تعاني – أو عانت بشكل قد يكون أكثر صحة – حيفا وظلما، وأنها تتوسل بهذا الشخص للسفر عبر الزمن للكشف عن حدود وملامح هذا الظلم في ظل سياق يسيطر عليه وجود زائف. ففي زمن مغاير تحتاج الروح المعذبة إلى من ينوب عنها، ليعيد تشكيل الحكاية والمرور بالتجربة والوقائع.

إن التوحد بالقرين– هنا في نص الرواية – له دور فعال في الوصول إلى المعرفة، أو في الوصول إلى حقيقة هذه الشخصيات المهمشة في إطار هيمنة شخصيات صوفية لها وجود قوي وحضور لافت. هي رحلة مهمة تقوم بها الشخصية من أجل هذه الروح المعذبة التي وجدت بغيتها في هذا الشخص الشبيه أو النظير المهموم بوجودها وبأزمتها النفسية من الناحية الفكرية، فهي تحل به للارتداد عبر الزمن بحثا عن حقيقة متوارية خلف ركام هائل من الأيديولوجيات والانحيازات التي طمست ملامح هذا الوجود الفعلي.

من خلال التوحد الكاشف عن تلاقي وتماهي وذوبان الذات في الآخر تشكل الرواية ـ أو على الأصح ـ تكشف عن طبقة معرفية جديدة، منع من ظهورها هيمنة النمط الرسمي، فحين تتوقف الرواية عند قول النفري «كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة» وتقول «ونسي النفري أن يضيف واتسع التأويل، وبات المعنى في يد الأقوى يفرضه وفق حدود شهوته، وقوة أطماعه»، ندرك أن الرواية هنا تؤكد على فكرة كتابة التاريخ وتحديد أطره، وهيمنة الرسمي بقوالبه وأعرافه على تنضيد طبقة ناصعة البياض بعيدا عن الهامش، لأن حضوره يهشم نصاعة النموذج. فالهيمنة تعمل بشكل كامل في إزالة كل ما يعترض حدودها، والقضاء على أي إشارة تلفت النظر إلى وجود هذا الهامش.

وفي ظل ذلك الوعي يمكن فهم سطوة النسق، في تغييب صوت كيميا، فلم يسألها أحد أو يأخذ رأيها، نظرا لوضعها بوصفها ربيبة مولانا جلال الدين الرومي. وفي الإطار ذاته تتشكل المقارنة بين علاء الدين وأخيه الأكبر سلطان ولد ابني جلال الدين الرومي، فسلطان ولد هو الابن المقرب المتجذر في الأعراف والتقاليد المشكلة لسطوة النسق، وعلاء الدين المارق الحاسد الذي منعته هيمنة الأبوة من البوح بمشاعره وعشقه لكيميا.

أما التوجه الأخير الذي تجلى نتيجة لآلية الحلم المرتبط بالقرين، والتوحد به بوصفه تقنية فلسفية تقوم بها الذات للارتداد عبر الزمن والسفر للماضي للوصول إلى معرفة شبه حقيقية فهو توجه لا يقل أهمية عن تعرية النسق المهيمن وكشف أطره المخاتلة والتيقن من خواء هذه الهيمنة لتجريدها من سياقها الأسطوري، لأن من خلاله تم الوصول إلى قبر كيميا، ووضع إشارة النصب والتمجيد على قبرها، فتصبح في إطار ذلك التوجه مساوية للشخصيات المهيمنة، وتقف على بساط واحد معها بعد أن أصبح لها وجود عيني بدلا من الوجود المشتت الذي يكتنفه الشك.

الرواية من خلال خطاباتها المتعددة الموزعة إلى خطاب اليوميات المرتبط في الأساس بالرحلة بوصفها الهدف المهم والمقترح للتحقيق، تلفت القارئ إلى خطاب آخر لا يخلو من فاعلية ومصداقية، وإلى وجود هدف أسمى ومتعال، يتمثل في إنجاز طبقة معرفية تقوم على المساواة بين الشخصية المركزية التي مارست هيمنة واضحة على كل الموجودين في إطارها ومجالها، ولا سيما الوجود النسوي المتمثل في كيميا التي عانت معاناة واضحة من القهر والتغييب على مدى زمني ممتد.

وليد علاء الدين: «كيميا»
دار الشروق، القاهرة 2019
233 صفحة.

المقال

عبدالباسط سيدا

الدين بين الشعبوية وإخفاق الأنظمة

حلول أفضل تقدمها التجربة البريطانية

«الإسلام يعيش أزمة في كل مكان بالعالم» عبارة أطلقها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مؤخراً في خطابه الموجه إلى الداخل الفرنسي، وقد جاء هذا الخطاب في سياق التمهيد لمشروع قانون ضد «الانفصال الشعوري» الذي سيطرح على الجمعية الوطنية الفرنسية في شهر كانون الأول/ديسمبر المقبل؛ وهو يتضمن جملة من الإجراءات التي تستهدف وفق، من يقف وراء طرح المشروع، الحد من ظاهرة انعزال المسلمين في فرنسا عن المجتمع الفرنسي. ومن بين تلك الإجراءات إخضاع الجمعيات الإسلامية في فرنسا للمزيد من الرقابة؛ ووضع قيود مشددة على التعليم المنزلي؛ وخفض سقف عمر الأطفال بالنسبة إلى التعليم الإلزامي، وتدريس اللغة العربية في المدارس الرسمية. هذا بالإضافة إلى إعداد أئمة المساجد في فرنسا وفق قيم ومعايير المجتمع الفرنسي، وغيرها من المقترحات. والجدير بالذكر هنا هو أن مجموعة من الخطوات التي يطالب بها مشروع القانون المعني هي متبعة في العديد من الدول الأوروبية. وهناك تجربة رائدة سويدية في هذا المجال. ولكن الصيغة التي طرح بموجبها ماكرون القضية، والعبارات التي استخدمها لتسويق فكرته، أثارت ردود أفعال سلبية غاضبة في العديد من الدول العربية والإسلامية، كما كان هناك تنديد بين الجاليات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، خاصة في الدول الأوروبية. هذا في حين أن تجربة السويد في ميدان الاندماج تتضمن احترام الأديان، والإقرار بحرية العبادة، وعدم التدخل في مسألة الحجاب، وإتاحة المجال أمام تلاميذ وطلبة المدارس لتناول الطعام الذي ينسجم مع أذواقهم ومعتقداتهم الدينية، هذا إلى جانب تدريس الدين بصورة علمية موضوعية.

أما في فرنسا، فقد تأخرت الدولة كثيراً في معالجة المشكلات المتراكمة منذ عقود، وكانت العلمانية العقائدية المتشددة تتعامل مع المسائل المعقدة بسطحية أثبتت الوقائع لاحقاً عدم فاعليتها، بل فشلها في الكثير من الأحيان. هذا في حين أن التجربة البريطانية في هذا المجال تقدم حلولاً أفضل بكثير من التجربة الفرنسية، مع الأخذ بعين الاعتبار الخلفية الاستعمارية التي تجمع بين التجربتين، لا سيما من جهة توافد أعداد كبيرة من المهاجرين من المستعمرات التي كانت تابعة للبلدين في كل من آسيا وأفريقيا.

ولم تمض أيام على خطاب ماكرون المثير للجدل، حتى جاءت الجريمة البشعة بحق المدرس الفرنسي صامويل باتي أقدم عليها اللاجئ الشيشاني باسم الدفاع عن الإسلام؛ وهو الأمر الذي أثار بدوره ردود أفعال سلبية رافضة وإدانات في العالم أجمع.

إن استخدام التعميمات الشعبوية في تناول الموضوعات الحساسة، خاصة في أوقات الأزمات والتوترات، يرفع من وتيرة إثارة المشاعر، وهيمنة اللاعقلاني، مما يفسح المجال أمام المزيد من ردود الأفعال غير المدروسة التي تساهم من جهتها في توتير الأجواء، والدفع نحو المزيد من الهيجانات والاضطرابات، ويغيب العقل، ويهيمن أصحاب المشاريع المتطرفة من الجانبين على الساحات.

العبارة التي استخدمها الرئيس الفرنسي ماكرون «الإسلام في أزمة» لا تقدم توصيفاً مقبولاً لما هي عليه الأمور في واقع الحال، هذا ناهيك عن تحولها إلى مادة لموجة من المناقشات العاصفة الصاخبة، والاتهامات المتبادلة بين من يرى في الإسلام حلاً، وبين من يعتبره المشكلة. وبين هؤلاء وأولئك تقف الغالبية العظمى من المسلمين في مختلف أنحاء العالم حائرة مبهوتة إزاء ما يقال عن دينها، وما ينذر به المستقبل من مخاطر واصطدامات.

الإسلام هو دين أكثر من مليار إنسان، يجسد معتقدات معتنقيه، شأنه في ذلك شأن سائر الأديان الأخرى. وما يميز الدين بصورة عامة عن العلم والسياسة أنه يقوم على «الحقائق المطلقة» التي يسلّم المؤمنون بها بناء على معطيات جازمة. ورغم محاولات الكثيرين الربط بين حقائق الدين المطلقة، وحقائق العلم النسبية، أو وقائع عالم السياسة المتغيرة، فإن النتائج بصورة عامة لم تكن موفقة، لأن عملية الخلط بين نسقين مختلفين من الوعي الإنساني، يعتمد كل واحد منهما أدوات ومحددات ومسلمات مختلفة، ومعايير متباينة للتحقق، بصورة كاملة؛ أدى، ويؤدي، إلى الكثير من المغالطات وسوء الفهم وردود الأفعال.

فالدين يبقى في منظور المؤمنين بما ينص عليه، ويدعو إليه، سامياً يتمحور حول علاقة الإنسان مع إلهه، ويفصل في الواجبات التي ينبغي تأديتها من جانب الإنسان، حتى يحصل على رضى ربه سواء في الدنيا أم الآخرة.

ولهذا لا بد لأي دعوة إلى حوار الأديان وتعايشها، أن ترتكز إلى قاعدة احترام القناعات الإيمانية لأتباع كل دين. فلكل دين حقائقه المطلقة الخاصة به التي تظل مطلقة في منظور المؤمنين بها، وما علينا إذا أردنا التفاهم والتواصل والعمل المشترك لمصلحة الإنسانية جمعاء، سوى احترام عقائد الآخرين.

ولكن المشكلة الكبرى تظهر حينما نقحم الدين في عالم السياسة، أو العكس، وذلك لتحقيق مكاسب سياسية، أو للتغطية على أهداف سياسية بشعارات دينية توظف للتجييش والتعبئة، أو للحصول على مناصرة المتدينين في المعارك الانتخابية، أو تعزيز المواقع على الصعيد الداخلي في مواجهة الخصوم الواقعيين أو المحتملين، وحتى المتخيلين.

ولدينا في هذا المجال نماذج كثيرة لا تحصى من مختلف المراحل التاريخية، وفي سائر المجتمعات الإنسانية. ولعل أوضحها في عالمنا المعاصر، يتجسد في مثالي كل من إيران وإسرائيل في المنطقة. فالأولى تجعل من المذهب الشيعي هوية للدولة، بل تسعى للتوسع في المنطقة عبر استغلال الورقة الشيعية في مجتمعات المنطقة. أما إسرائيل، فهي قد التزمت مبدأ يهودية الدولة، الأمر الذي يتناقض مع أبسط أساليب العلمانية التي تقوم على مبدأ حيادية الدولة. والأمر نفسه في الهند، حيث يحاول حزب «بهاراتيا جاناتيا» الهندوسي المتشدد الحاكم فرض رؤيته الأحادية على واقع تميز بتنوعه عبر مختلف المراحل التاريخية.

وفي تركيا، يحاول الحزب الحاكم، العدالة والتنمية، الجمع بين الأيديولوجيتين الإسلاموية والقومية في سبيل تعزيز نفوذه، والاستمرار في السلطة. وفي روسيا، يقيم الرئيس بوتين أوثق العلاقات مع الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، ووجدنا جميعاً كيف بارك رجالات هذه الكنيسة أسلحة بوتين التي أرسلها إلى سوريا لتشارك، إلى جانب نظام بشار، في الحرب على السوريين الثائرين.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية توجه الرئيس ترامب إلى كنيسة القديس يوحنا في واشنطن، ليظهر أمامها رافعاً الإنجيل في سعي لامتصاص نقمة الأمريكيين المحتجين على تسبب الشرطة في وفاة جورج فلويد، وذلك في تصرف شعبوي كان موضع انتقاد الكثير من الأمريكيين.

أما في سوريا التي اعتاد نظامها منذ أيام حافظ الأسد على تسويق نفسه باسم الاشتراكية والقومية والعلمانية، فقد كان، وما زال، هناك حرص على قيام الرئيس بتأدية صلاة العيد في المسجد بمعية رجال الدين الرسميين.

ومثل هذه النماذج كثيرة في الدول العربية والإسلامية، لكنها لا تعكس أزمة في الدين الإسلامي نفسه، كما ذهب إلى ذلك الرئيس الفرنسي مجانباً للحقيقة، وإنما هي أزمة في النظام السياسي في الدول العربية والإسلامية التي لم تتمكن من اعتماد مبدأ حيادية الدولة التي تقوم على أساس مبدأ المواطنة، واحترام حقوق سائر المواطنين على أساس احترام الخصوصيات الدينية والمذهبية والقومية.

الإشكالية الأساسية التي تعاني منها هذه الدول أنها لم تتمكن من حل المشكلات التي تعاني منها مجتمعاتها، ومنها قضايا التعليم والعمل والسكن والمعالجة الصحية، وحقوق الإنسان على مستوى الأفراد والجماعات وحرية التعبير. بل مارست أنظمة الحكم المعنية، وتمارس، الفساد والاستبداد؛ ولا تعطي أي اعتبار للمساءلة والمحاسبة طالما أنها قد حظيت على تفويض القوى الدولية المتحكّمة بدول الأطراف في آسيا وأفريقيا. فسلطات هذه الدول ملتزمة بتعهداتها لصالح الدول المعنية مقابل الحصول على الحماية و«الشرعية» لتتمكن من الانقضاض على مواطنيها، وتسلبهم عبر أنظمتها الشمولية من أي امكانية للاحتجاج والمطالبة بالتغيير، كما أنها تتعامل مع موارد البلاد وكأنها من أملاكها الشخصية.

وقد جاءت ثورات الربيع العربي لتؤكد رغبة الشعوب في التحرر والخروج من دائرة الفساد والاستبداد اللعينة؛ وكان الاعتقاد أن العالم الديمقراطي سيقف إلى جانب الشعوب، وتمكّنها من الخلاص، الأمر الذي كان سيساهم في حل الكثير من المشكلات في المجتمعات الأوروبية، والغربية بصورة عامة، منها تلك الخاصة باللجوء والمهاجرين، ونزعات التشدد والتطرف بكل صيغها.

ولكن الذي تبين لاحقاً هو أن الدول المعنية لم ترفع الغطاء عن الأنظمة المأزومة، بل ساعدتها، وتحايلت على الشعوب؛ وكانت الذريعة هي أن زوال تلك الأنظمة مؤداه استفحال التشدد «الإسلاموي» هذا في حين أن الجميع على معرفة بأدق التفاصيل الخاصة بكيفية تشكيل وتسويق الجماعات المتشددة والإرهابية من قبل أنظمة الفساد والاستبداد نفسها، لتضع العالم أمام بديلين فاسدين: إما الاستبداد أو الإرهاب.

الأزمة هي أزمة الأنظمة المستبدة الفاسدة، وأزمة القوى والحركات والجماعات المصرة على استخدام الإسلام ليكون مادة أيديولوجية تكون وسيلة لبلوغ أهداف سياسية، أو حتى مكاسب مادية؛ وغالباً ما تكون هناك عملية تبادل الأدوار بين تلك الحركات والأنظمة الفاسدة نفسها.

لذلك من الضروري جداً أن يحسن المفكرون والقادة السياسيون التفكير، ويعتمدوا الحذر الموضوعي المطلوب في استخدام التعابير والمصطلحات، وذلك منعاً لأي إساءة إلى معتقدات الناس ومشاعرهم، ومنعاً لإثارة أي ردود أفعال قوية التي غالباً ما تتحول إلى مادة جديدة في عمليات الاستغلال التي تمارسها الأنظمة الفاسدة، والحركات المتشددة. وهي العمليات التي تستفيد منها الماكينات الإعلامية، والحملات الشعاراتية الخاصة بالقوى اليمينة المتطرفة في العديد من المجتمعات الغربية، وحتى في دول أوروبا الشرقية التي تنسب التطرف الإسلاموي إلى الإسلام، بينما نرى أن المسلمين من المؤمنين المعتدلين هم في مقدمة ضحايا تلك الأنظمة والحركات. فهم يعانون من واقع مفعم بالمظالم والاضطراب، كما يعانون في الوقت من مأساة انسداد الآفاق أمام أجيالهم المقبلة.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

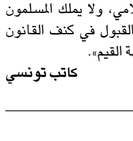

الأزمة حالة استثنائيّة أم دائمة

منصف الوهايبي

كان الدافع لهذا المقال كلام الرئيس ماكرون، على الإسلام الذي «يعيش أزمة في كلّ مكان» بعبارته، وعلى «الانفصاليّة الإسلامويّة» وليس «الانعزاليّة» كما يترجمها البعض، إذ المقصود من اتّهامه أنّ هذه «النزعة» تسعى إلى التفريق بين المواطنين، وتفكيك ما هو متّصل في المجتمع الفرنسي. وهو ليس أوّل من يصرّح بهذا، وكأنّه يقول للمسلمين إنّهم بسبب من دينهم، في «رَدْب» أي في طريق مسدود لا ينفذ. وثمّة نصّ لأندريه مالرو (1956) أُعيد إليه الاعتبار في فرنسا، منذ بضع سنوات؛ وفيه ينبّه إلى «خطورة الظاهرة الإسلاميّة» وصعود الإسلام الذي يشبّهه ببدايات الشيوعيّة زمن لينين، فيما «العالم الغربي غير مستعدّ لمواجهة مشكلة الإسلام... حيث تشير الدلائل الحاليّة إلى أن أشكالاً مختلفة من الديكتاتوريّة الإسلاميّة ستقام على التوالي في جميع أنحاء العالم العربي». ويضيف أنّ الوقت قد فات لوقف هذا المدّ، وإنّ «البؤساء» والعبارة له: «الكثير ممّا يخسرونه. بل سوف يؤْثرون الاحتفاظ ببؤسهم داخل طائفتهم المسلمة. وسيبقى مصيرهم بلا شكّ دون تغيير. إنّ تصوّرنا عنهم غربي أكثر من اللزوم. وهم سيفضّلون مستقبل جنسهم على النعم التي ندّعي أنّه بالإمكان إغداقها عليهم. ولن تظلّ أفريقيا السوداء طويلا بمنأى عن هذه السيرورة. وكلّ ما نقدر على فعله هو أن ندرك خطورة الظاهرة، ونحاول تأخير تطوّرها».

غير أنّ ما يغيب عن هؤلاء الذين يصرّحون بما يصرّحون لاعتبارات «حضاريّة» أو «فكريّة» أو إيديولوجيّة، أو سياسيّة أو انتخابيّة تخصّهم، أنّ الأزمة، بشهادة أهل الذكر منهم؛ هي «أفق وجودهم» هم أنفسهم كما تبيّن ميريام ريفولت دالونيس؛ ووجودنا نحن أيضا؛ وكلّنا متأزّم متألم لأزمة هذا الزمان وشدّته. وهي أزمة يتعذّر اختزالها في دين بعينه، أو في وضع اقتصادي، أو في فترة فيروس انتقالي عابر للقارّات مثل كورونا؛ إنّما هي أزمة عالميّة بامتياز. لذلك من المفيد أن نفكّر فيها لا بمنطق الساسة المتنفّذين ونفعيّتهم أو«ذرائعيّتهم» وإنّما بمنطق أهل الفكر مثل بول ريكور الذي يعدّ الأزمة «عيار الحداثة»؛ حتى أنّها تلوح لنا اليوم سمة الحاضر وشعاره.

ما الذي يحدث اليوم؟ وما الفرق بين اليوم والأمس؟ بل كيف نحدّ هذا الحاضر الذي ننتمي إليه، بل من نحن في هذا الزمن الذي نعيشه ونعيش فيه؟ في هذا السياق يظهر نصّ كانط كما تظهر الجزيرة عند الجزر، إذ هو كما يقول ميشيل فوكو طريقة مخصوصة بالحداثة وبالخطاب الفلسفي، في التعامل مع مسألة الحاضر أو «الحاليّة»؛ أي عن حيث هو طرح جديد في مقاربة الحداثة، لا من حيث هي مجرّد «حقبة» أو «فترة» أو «مرحلة» بل من حيث هي سؤال وقضيّة ومشكلة.

ومن هذا المنظور، يتعذّر أن نهمل الطريقة التي يمثل بها حاضر مخصوص – وهو «أزمة»- في فكر اليوم وفلسفة اليوم.

أمّا كانط فقد واجه المسألة، تحت تأثير الثورة الفرنسيّة من حيث هي أزمة كبرى؛ مثّلت عنصرا حاسما في تفكيره. على أنّ مفهوم الأزمة يتجاوز اليوم الحدث الذي يصفه كانط بـ«علامة تاريخ» للبشريّة جمعاء. كما أنّه لا يناسب تماما ما استشرفه روسو عندما كتب عام 1768 في «إميل»: «إنّنا نقترب من حالة أزمة وقرن من الثورات».

ما المعنى الذي يحسن أن نضفيه على الأزمة؟

لا نظنّ أنّ هناك من ينكر أنّ حاضرنا، لم نأته من أيّ باب جئناه؛ إلاّ وجدنا الأزمة تغزوه من كلّ المناحي، حتى ليمكن القول إنّها المسألة الأساسيّة في عصرنا ووجودنا. وليس هناك مجال لم تمسّه الأزمة: الرأسماليّة وأزماتها الاقتصاديّة والماليّة، والتكنولوجيا وآثارها الجانبيّة حيث يصعب اعتبار العلم محايدا بالتمام والكمال؛ وهو المحكوم بالنظام الاجتماعي الذي يفيد منه، ومن طرق توظيفه أو تشغيله. ناهيك عن المجتمع والقيم والتعليم والثقافة وأزمة الأدب والشعر والكتاب، والشباب والعلاقات الزوجيّة والعائليّة، والأمراض النفسانيّة والاضطرابات العصبيّة. ولم تتنكّر جنّا أرندت الصواب عندما لاحظت في «أزمة الثقافة» أنّ الأزمة التي حلّت بالعالم الحديث أثّرت تقريبا في جميع مجالات الوجود والنشاط البشري. لذلك يكون من المفيد أن لا نحصر الأزمة في مجرّد ظاهرة دينيّة أو اقتصاديّة كما هي حال اليوم مع استفحال كورونا. لكن ألا يستفزغ التعميم من هذا المنظور، فكرة الأزمة من معناها الأصلي، ويأتي على دلالتها؟

قد يكون ذلك كذلك، وتوسيع المفهوم إنّما مردّه إلى غموضه في الاستخدام المبذول حيث تختلط السجلاّت، وتتقوّض الحدود والفواصل بين الديني والسياسي أو بين الخاصّ والعامّ؛ ويستعصي تشخيص الأزمة أو هو يختلف من هذا إلى ذاك، ومعه تتعذّد الحلول أو لا حلّ البتّة.

لذلك يمكن القول إنّ ما يميّز الأزمة هو الارتباك والتردّد والحيرة، وعدم القدرة على الحسم؛ أي عندما نقف مدفوعين مصدودين أفرادا وشعوبا ودولا، لا نستطيع أن نقرّر شيئا، فيكون الشكّ الذي لا يفضي إلى يقين. والكلمة الفرنسيّة مشتقّة من أصل إغريقي يفيد «القرار» والعزم والحزم أو «البتّ» أي ما يوطئ السبيل إلى انفراج الأزمة؛ أو على رأي ابن النحوي التوزري [التونسي] صاحب «المنفرجة» الشهيرة «اشتدّي أزمةً تنفرجي»؛ وإن كانت في عالم اليوم، لا تكاد تنفرج حتّى تشتدّ.

إنّ كلّ أزمة محكومة بفترة زمنيّة هي حيّزها، بيْد أنّها لا تنفصل عن حسّ الزمن المخصوص بالمجتمعات أو تجربته ومكابدته. والثقافات كلّها لا تختبر علاقتها بالوقت بالطريقة نفسها، أو هي لا تضفي القيمة نفسها على لحظاته المختلفة ما تعلّق بالأمر بالماضي والحاضر والمستقبل. وداخل كلّ حاضر كما تقول ميريام ريفولت دالونيس، تستثمر الثقافات الأبعاد الزمنية للماضي والمستقبل بشكل مختلف؛ فليس ثمّة طريقة واحدة بل طرق عديدة لتحديد الزمن المناسب واستشرافه، وهذا يشمل الأفراد كما يشمل المجتمعات. ومن هذا الجانب، يمكن أن نعتبر «الأزمة» كشفا وعلامة، وربّما سبيل خلاص.

وها هنا نستحضر بول ريكور ثانية، وهو الذي تعامل مع «الأزمة» من حيث هي مشكلة إنسانيّة واجتماعيّة أو «عدالة اجتماعيّة»؛ وليس من حيث هي مشكلة «تقنية» في مسعى منه على ما يبدو، من أجل بناء مفهوم موحّد متماسك للأزمة؛ في زمنيّة محدّدة؛ زمن حداثتنا الآن أي هذا الحاضر الذي نعيشه ونعيش فيه. وفي حوار مع ميشيل روكار، نُشر في عام 1991، يشير ريكور إلى أنّ المجتمع ليس مجرّد سوق، أو هو جماع علاقات تجاريّة؛ وإنّما هو قبل كلّ شيء شبكة من المؤسّسات لا يمكن اختزالها في نظام توزيع، بالمعنى الاقتصادي الحصري لمصطلح «التوزيع» الذي يمكن أن يتعارض مع «الإنتاج». وهو نظام «يوزّع جميع أنواع السلع وهي سلع تسويقيّة بالطبع، ولكنّها أيضا سلع تشمل الصحّة والتعليم والأمن والهويّة الوطنيّة أو حتى المواطنة. لذلك فإنّ المشكل الذي ينشأ هو معرفة أيّ من هذه السلع يحسن أن يتمّ توزيعها وفقا لقواعد السوق، وأيّ منها يتطلّب طريقة توزيع أخرى، وإذا كان الأمر كذلك، فأيّ واحدة منها؟ واقدَر أنّ هذا ما يطرحه اليوم لقاح كوفيد» الذي يمكن أن تستأثر به بعض الدول لنفسها، أو تجعل منه مجرّد سلعة. ويعترف ريكور هنا بدينه لفكر الفيلسوف الأمريكي مايكل والزر الذي يبيّن في كتابه «مجالات العدالة» أنّ الرؤية الإجرائيّة (الصوريّة أو الشكليّة) البحتة للعدالة ليست كافية، وأنّه بات من الضروري مراعاة طبيعة البضائع التي يتمّ توزيعها، أي العمل على ربط البضائع والخيرات والثروات، بما هو خير وقيمة. ونحن بالنسبة إلى ريكور، لا نوزّع بالطريقة نفسها «السلع» أو «البضائع» التعليمية و«السلع» الصحيّة وسلع السوق عامّة. وحتى المواطنة مثل الحقّ في تكوين الجمعيات وحقّ التعبير والحقّ للمجتمع، وإعادة الاعتبار للدولة «الراعية».

الحقّ أنّ مفهوم الأزمة يتّسع اليوم إلى الحدّ الذي يتسنّى معه القول إننا نعيش باستمرار في أزمات يسلسل بعضها بعضا. فالأزمة مركز وجودنا أو القاعدة العامّة التي يفترض أن تنظّم وعينا الفردي والجماعي وطرائق عملنا. وما يحدث إنّما هو «انقلاب غريب في المعيارية» يحوّل الأزمة من حالة طوارئ أو حالة استثنائية في الأصل؛ إلى حالة طبيعية منتظمة دائمة. وهاهنا أعود إلى الرئيس ماكرون، لأقول إنّ الديانات كلّها وبخاصّة التوحيديّة تعيش أزمة؛ وقد التبس فيها الديني بالسياسي في أمريكا وأوروبا وفي إسرائيل وعند طوائف ودول إسلاميّة. وربّما لا تملك فرنسا والغرب عامّة سوى«التعايش» مع الوافد الإسلامي، ولا يملك المسلمون هناك سوى«التعايش» مع بيئتهم الجديدة؛ أي القبول في كنف القانون والعيش المشترك بما يسمّيه ماكس ويبر«تعدّد آلهة القيم».

كاتب تونسي

الروهينجا:
العالم لا ينساهم

تعهد مؤتمر مانحين، الخميس، بتقديم نحو 600 مليون دولار أمريكي لتعزيز المساعدة الإنسانية للاجئين الروهينجا في بنغلاديش والمنطقة.

جاء ذلك وفق ما نشره موقع الأمم المتحدة الإلكتروني، مشيرا إلى أن المساعدات تشمل التعليم الرسمي للأطفال اللاجئين من الروهينجا.

وحسب الموقع، أشار رئيس مفوضية اللاجئين فيليبو غراندي، إلى «الحاجة للتركيز على الحلول التي تلبي المعايير الدولية، ومساعدة اللاجئين على أن يصبحوا أكثر قدرة على الصمود واعتمادا على الذات، ومساعدة المجتمعات المضيفة على فعل الشيء نفسه».

وقال مارك لوكوك، وكيل الأمين العام للشؤون الإنسانية خلال المؤتمر، إن المؤتمر «يبعث برسالة للاجئين وللمجتمعات المضيفة مفادها بأن العالم لا ينساهم».

آداب وفنون

كان يمكن له أن يتخذ اسماً لا يغدو موضع جدل: جَدَليّة الشعر الحُرّ في العربية

عبدالواحد لؤلؤة

مصطلح الشعر الحُرّ مستورَد من تراث أجنبي أشاعَتهُ في خطأ غير مقصود الشاعرة العراقية الكبيرة نازك الملائكة، وذلك عام 1949 في مجموعتها الشعرية الثانية بعنوان «شظايا ورماد». كان قصد الشاعرة تحرير الشعر العربي من قيود الوزن والقافية المفروضة عليه على امتداد 14 قرناً؛ والالتزام بالوزن والقافية ولكن بترتيب آخر يراعي التعبير عن الفكرة والصورة بشطر من الشعر يقصُر أو يطول حسب اقتضاء اكتمال الصورة أو الفكرة، دون الحاجة إلى شطر ثانٍ كما في الشعر التراثي، والالتزام كذلك بالقافية والوزن، ولكن بإيرادهما عند الحاجة في الأشطر الطويلة أو القصيرة التي يرى الشاعر أنها تعبّر عن الصورة أو الفكرة التي يريد. ولكن هذا يجعل القصيدة محرّرَة وليس حُرّة من شروط الوزن والقافية. وهذا يختلف عن الشعر الحرّ كما قدّمه الشاعر الأمريكي والت ويتمان عام 1855 في مجموعته بعنوان «أوراق العشب». وعدم اشتراط الوزن والقافية ليكون الكلام شعراً هي فكرةٌ موجودةٌ في التراث العربي كما نقرأ في كلام قُدامة ابن جعفر، وكما نقرأ في جواب الوليد بن المغيرة لعرب الجاهلية الذين خشِيَت أبصارُهم لمّا سمعوا الذكر، وقالوا بل افتراه بل هو شاعر. ولما كانَ ما سَمِعه عرب الجاهلية من آي الذكر الحكيم يخلو من الوزن والقافية ولكنهم حسبوه شعراً، فهذا يدل على أن الشعر في عُرف الجاهليين الكلام الذي يأخذ بتلابيب الفكر والذائقة مع خلوّه من الوزن والقافية. لذا يكون ما قدمته نازك الملائكة من شعر يعيد ترتيب الوزن والقافية ولا يغيّبهما هو شعر تفعيلة وليس بالشعر الحرّ الذي يخلو من الوزن والقافية.

كان يمكن للشعر الحر أن يتخذ اسماً لا يغدو موضع جدل لو أن أدباء العربية قبلوا بتسمية «الشعرَ المنثور» التي اقترحها الأديب اللبناني المغترب أمين الريحاني (1876– 1940) وذلك في حدود عام 1910. لقد كان الريحاني معجباً بشعر والت ويتمان ولما وجدَ فيه من تعبير عن النفس البشرية والعناية المفرطة في الأسلوب الذي راح الشاعر الأمريكي يعيد النظر فيه باستمرار إلى يوم وفاته. وقد جاء هذا الاهتمام بهذا الأسلوب من كتابة الشعر المنثور في بلاد الشام في أواسط القرن الماضي، فكتب فيه عددٌ من أصحاب المواهب الأدبية الذين وجدوا في الأسلوب النثري تحرّراً من قيود الوزن والقافية، ولكن في الوقت نفسه تسلل إلى الكتابة في هذا الأسلوبِ عددٌ من ضعيفي المواهب، مما فتح مجالاً لمهاجمة هذا الأسلوب الجديد في كتابة الشعر.

ومن جهة ثانية، لدينا عددٌ من أصحاب المواهب العالية، تدعمُها ثقافةٌ واسعةٌ في التراث العربي، كما في تراث الشعر الأجنبي الإنكليزي أو الفرنسي، مما يجعل ما يكتبوه من الشعر المنثور، بل الشعر الحر الذي يخلو من الوزن والقافية، إلاّ ما جاء منها عَرَضاً، أمثلةً من الكتابة الأدبية يعتزّ بها القارئ واسع الأفق، الذي يخلو من العَنعَنات، والتحامل الذوقي، والأحكام المسبقة.

من أبرز الأمثلة المعاصرة على كتّاب الشعر الحر: توفيق صايغ الفلسطيني اللبناني (1923– 1971) ومحمد الماغوط السوري (1934– 2006) ومحمد بنّيس المغربي المولود عام 1948. وأنا أعرف هؤلاء الشعراء الثلاثة شخصيّاً ولديّ الكثير من أعمالهم المنشورة. إذ‌ ندرج إنتاج توفيق صايغ الأدبي في أوائل الخمسينات من القرن الماضي. وقد صدر له

«ثلاثون قصيدة» عام 1954 وبعدها «القصيدة ك» عام 1960 وبعدها جاءت «مُعَلّقة توفيق صايغ» عام 1963 وجميعها نشرت ببيروت. وقد نشر توفيق صايغ كذلك «تي. إس. إليوت ورُباعيّاته الأربع» في لندن 1962 كما نشرت له في دمشق عام 1963 «خمسون قصيدة من الشعر الأمريكي المعاصر».

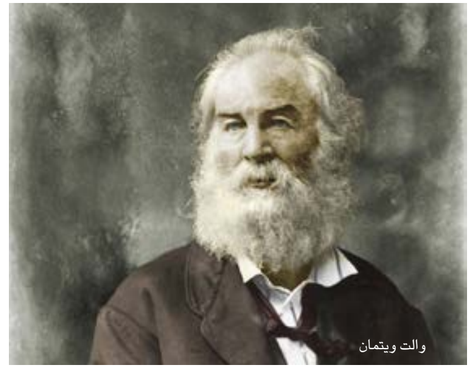
والت ويتمان

وقد استرعت أعمال توفيق صايغ من الشعر الحرّ اهتمامَ وإعجاب كبار الشعراء والأدباء في بيروت الستينات، مثل سعيد عقل وميخائيل نعيمه ومارون عبود. وفي شهادات هؤلاء الكبار وأمثالهم دليلٌ على أن أمثلة الشعر الحر من عمل أدباء تقوم على أرضيّة من الثقافة الغنيّة ليس بنتاج من يقصّر عن إدراك موسيقى الأوزان والقوافي في الشعر العربي التراثي.

هذا مثال من «القصيدة ك» وهو الحرف الأول من اسم المحبوبة. والقصيدة هنا أشبه بابتهال وترنيمة كنَسيّة، فيها ما يشبه القافية، ولكن ليس فيها وزن سوى وزن موسيقى الأفكار، بعبارة الناقد الكبير أي.أي. رتشاردز، في وصف موسيقى قصيدة إليوت الكبرى «الأرض اليباب». هذه الأسطر المتلاحقة أقدّمها هنا متتالية على السطر الواحد، توفيراً لمساحة الصفحة:

«أكلّما مسمَرَ الوَحل قدميَّ/ وشُلّني إلاّ يَدَين رفعتُهما إليك/ تَسَمّرتَ وشُلّلتَ يديك/ وطالبتَني بالانشِاق بالارتقاء اليك/ أكلما صرختُ واستغثتُ/ واكتسبتُ عطفَ مَن حواليك/ غطفتَ لكلّما اكتفيتُ/ (يَديك أريدُ يَديك)/ بتَدلية حبلٍ إليّ».

وهذا مثال من «مُعلّقة توفيق صايغ»: «هَرَبا من النار جئنا الماء/أكانَ فينا وقودٌ يجتذبُ النار؟/ لحقّت بنا النارُ، استعَرَتْ،/ لم يُطفئ جَذوَتَها الماء./ على ضفّة البحر المُقدّس/ تلطمُ مَوجاتُهُ الجدار/ امتدّت إلينا النار».

ومن أبرز من كتب قصيدة الشعر الحُرّ الشاعر السوري محمّد الماغوط أوّل مرّة في صيف 1963 في مقهى الهافانا بدمشق، فوجدت فيه مثالاً نادراً للشاعر الهائم على هوامش الحياة، يكتب عن مشاعره الخاصة حول كل ما يرى من حوله من شؤون الناس والحياة. وقد تطوّر الشعر الحُرّ عنده لاحقاً فصار يكتب المسرحيات بلغة قاسية في نقدها جوانب من شؤون الناس والمجتمع. وقد استمر في تطوّره في كتابة الشعر الحرّ حتى نال الاعتراف بإبداعه وكُرِّم بجائزة الشعر من مؤسسة العويس في دبي عام 2005.

هذه بعض الأمثلة من شعره المُبكّر من قصيدة «جنازة النسر»: «أظنّها من الوطن/ هذه السحابة المقبلة كعَيْنَين مسيحيتَين/ أظنُّها من دمشق/ هذه الطفلةُ المَقروفةُ الحواجب/ هذه العيون الأكثرُ صِفاءً/ من نيران زرقاء بين السفن./ أيّها الحَزن.. يا سيفيَّ الطويل المُجَعّد/ الرصيف الحامل طفلهُ الأشقر/ يسأل عن وردةٍ أو أسير/ عن سفينة أوغيمة من الوطن...».

وهذا مثال آخر من قصيدة بعنوان «جفاف النهر»: «صاحبٌ أنا أيها الرجل الحريري/ أسيرٌ بلا نجوم ولا زوارق/ وَحيدٌ وذو عينين بَليدتين/ ولكنني حزينٌ لأن قصائدي غدت متشابهة/ وذات لحن جَريح لا يتبدل/ أريد أن أرفرف، أن أتسامى/ كأميرِ أشقر الحاجبين/ يطأ الحقول والبشرية».

وهذا مثال آخير بعنوان «شتاء»: «كالذئاب في المواسم القاحلة/ كنّا ننبُشُ في كل مكان/ نُحَبّ المَطر/ ونعبدُ

الخريف/ حتى فكرنا ذات يوم/ أن نبعث برسالة شُكرالى السماء / ونلصق عليها/ بدل الطابع..ورقة خريف».

أحسب أن التطوّر السريع في الشعر العربي المعاصر مَدينٌ بالكثير إلى الاطلاع على نتاج الشعراء بلغات أجنبية وأبرزها الانكليزية والفرنسية ونجد أمثلة على ذلك في إنتاج الشعراء المعاصرين في لبنان وفي بلاد المغرب العربي. وأحسَبُ أن شعراء المغرب العربي كانوا أكثر انفتاحاً على شعراء فرنسا من انفتاح شعراء لبنان. فمنذ بداية السبعينات من القرن الماضي ظهرت أعداد طيّبة من الكتّاب والشعراء في المغرب العربي تلقّحت أفريضتُهم من الشعر العربي بما تعلّموه من الشعر الفرنسي بشكل خاص. وأمامي مثال جيّد من شاعر مغربي بدأ إنتاجَه الشعري في أواخر سبعينات القرن الماضي، وراح يتطوّر بشكل سريع وينشر الكثير من المجموعات الشعرية بأسلوب الشعر الحرّ بمعناه الدقيق الذي يخلو من الوزن والقافية، لكنّه شعرٌ يستّحوذ على ذائقة القارئ العربي المعاصر، الذي يخلو من الأحكام المُسبَقة على ما هو شعرٌ أو غيرُ شعر. بدأ محمد بنّيس ينشر كثيراً من الشعر والدراسات الأدبية منذ أواخر السبعينات من القرن الماضي. وكان آخر إنتاجه مجموعة من الشعر الحر بعنوان 'يقظة الصمت' صدرت في أول عام 2020. هذا مثال من هذه المجموعة بعنوان «ليل الحروف»: «في الصمت يتحرّكُ الهواءُ خفيفاً مُنسَرحاً هواءُ الفجْر أوْ هواءُ هضَبَة تطلّ منها على بحْرٍ ثنياتٌ مائه تُشعُّ تتوثّبُ تختلجُ في الصّدر شيْءٌ لا تُدْري ما اسْمُه كأنهُ من الظاهر– لا منَ الظاهر دبيبٌ تمتزجُ به الأنْفاسُ تحسُّ الهواءَ يَسْتريحُ على ساعديْك قَسْطٌ من النّهار في عيْنيْك وأنتَ في حضْرة السّديم.

الملاحظ في هذا المقطع، وفي غيره كثير، غياب علامات التنقيط والفواصل، كأنّ المطلوب أن نقرأ المقطع بنفَس واحد لتكتمِل الصورةُ أو الفكرة التي يريدها الشاعر. وفي قصيدة بعنوان «بلاغةٌ مُضادّة» نقرأ قصيدة من الشعر الحر بسبعة مقاطع مُرقّمة تلتزم تفعيلة «فعلُنْ» لكنها تخلو من القافية، وينتهي كل مقطع بثلاثة أو أربعة أسطر من النثر. كأنّه تعليقٌ على ما سبق من قصيدة من الشعر الحر. وهنا أيضا لا نَجدُ علاماتَ تنقيط كأن الشاعر يريد أن يقول هذه صورةٌ لا تحتمل التقسيم: 'الصّمتُ بلادٌ تظْهرُ من جهَةِ الأنفاسُ/ لا يبْلُغُها أحَدٌ، يخْشَى/ أن يَبْقَى محْروماً في اللّيل/ وَحيداً يبحثُ عنْ أثَرٍ من دُونِ ضجيجٍ/ تكتُمُهُ الأحْجارُ' ويختم المقطع بثلاثة أسطر من النثر تعليقاً على ما سبق.

محمد بنيس

وقصائد الشعر الحُرّ لا تقتصر على موضوعات المشاعر الشخصية والشؤون العاطفية، بل إنها تستوعبُ موضوعات يتناولها الشعرُ التراثي بالشطرين والقافية، كما يتناولها شعر التفعيلة بالوزن والقافية المتحرّرَتين من الأسلوب التراثي. هذه قصيدةٌ لمحمد بنّيس بعنوان «أرضٌ بدماء كثيرة» وهي عن فلسطين، وعن غزّة بالذات، وهي قصيدةٌ طويلةٌ بسبعة عشر مقطعاً: 'هناك الأرض لا أرضَ سواها متى نشأت، لا أعرف. وهُم هُناك أبناءُ فلسْطينَ في شَساعة الأرض كانوا. في أرض كنْعانَ كانوا. مع الريح الزرقاء كانوا. مع أشجار الزيتون حقولاً مُشمسةً كانوا. مع أمواج المتوسّط ومَراكبهمْ كانوا. مع صَلواتهم في القُدس كانوا. هناك الأرضُ. لا أرضَ سواها. في أول الصّباح يمشون. أبناءُ فلسطينَ. عيونُهم نشيدٌ

ويختم المقطع بجملتين قصيرتين: غزه في فلسطين. فلسطين فوق الأرض.

اللغةُ في يَد الشاعر الموهوب طيّعةٌ تستجيبُ لموضوعات لا يمكن أن تكونَ وَقفاً على أسلوب الشعر التّراثي أو أسلوب شعر الخطابة السياسية أو ما يشبه ذلك. وإضافةً إلى تعريف الشعر عند قُدامة بن جعفر، قد نسأل آخر شعراء الرومانسية الإنكليز أ.ئي. هاوسمن (1859 1936) ما تعريف الشعر؟ فيقول: أنا لا أستطيع تعريف الشعر أكثر مما يستطيع كلب الصّيد تعريف الجُرذ. كلانا يعرف الشيء حين يراه.

مهرجان القدس الرقمي للسينما: شهادات الهوية في أفلام عربية

كمال القاضي

فيلم الطوق الأبيض

في ظل التحديات الصعبة التي تواجهها العاصمة الفلسطينية القدس إزاء محاولات التطبيع والهرولة من جانب بعض الدول، تحتل السينما العربية المقاتلة مكانها كأداة تأثير قوية لقطع الطريق على الكيان الصهيوني الذي يستهدف الهوية والتاريخ ويسعى لتهويد القدس الشريف للقضاء على مسيرة القضية الفلسطينية العادلة وتعويق حركتها للانحراف بها عن الاتجاه الصحيح.

تبدأ الدورة الأولى من مهرجان القدس للسينما والإعلام الرقمي نشاطها الأسبوع المقبل وتستمر لنحو عشرة أيام تقريباً في عرض الأفلام الطويلة والقصيرة والوثائقية والتسجيلية، المتصلة فقط بمدينة القدس كملمح تاريخي وحضاري وإنساني يعكس عمق العلاقة بينها وبين الشعب الفلسطيني وبقية الشعوب العربية المؤمنة بعدالة القضية والرافضة للهيمنة الإسرائيلية.

ولدت فكرة المهرجان من رحم المعاناة اليومية للشعب المناضل القابض على جمر البطولة والتضحية والفداء، وقد تفتق ذهن السينمائيين المؤسسين في مدينة غزة التي تنطلق منها الفعاليات عن حيلة هي الأذكى لإشعال روح المقاومة السلمية وإيقاظ الشعور الوطني لدى الشباب العربي عن طريق التفعيل الثقافي للسينما عبر وسائل التواصل الاجتماعي باختيار مجموعة من الأفلام والمواد الدرامية ذات الخصوصية السياسية والوطنية والتاريخية وعرضها في إطار مسابقة رسمية يشارك فيها عدد كبير من السينمائيين العرب، كأعضاء لجنة تحكيم وعلى رأسهم رئيس اللجنة المخرج الكبير علي بدرخان بوصفه من أبرز المهتمين بقضية الصراع العربي الإسرائيلي والرافضين لعمليات الاستيطان والتهويد والهيمنة. وقد وقع الاختيار على المخرج المصري بعد تفاوض استمر عدة أيام بين المخرج الفلسطيني سعود مهنا رئيس الملتقى الفلسطيني والهيئة التأسيسية للمهرجان التي تضم شخصيات ثقافية وسينمائية بارزة.

ومع بداية الإعلان عن فعاليات الدورة الأولى رفع المهرجان شعار «القدس عاصمة أبدية لدولة فلسطين» وعزز شعاره بوضع برنامج سينمائي ثقافي شامل يتضمن كافة الإبداعات المتصلة بقضية القدس وعروبتها وانتمائها الحضاري وتاريخها العربي، وهي المرة الأولى التي يجري خلالها دمج النشاطات الفنية مُجتمعة في إطار واحد متجانس وهي بالقطع عملية مقصودة لتأكيد أن جميع الإبداعات تصب في مرمى القضية الفلسطينية وتدعم وجودها كحق مُكتسب لا يقبل المراهنة أو المساومة أو التفريط.

وعملاً بهذه القاعدة اتجهت إدارة المهرجان الدولي المهم إلى التركيز على الأعمال الفنية التي تطرح هذه المفاهيم بوضوح من غير لبس أو تمييع أو مواربة لتحديد الأطر والاتفاق على الثوابت الوطنية التي لا تقبل الشك وهي أن القدس عربية.

ولذلك لم تشأ لجنة المشاهدة المُختصة باختيار الأفلام قبول كل ما يصلها من نماذج إبداعية سينمائية إلا إذا كان متوافراً فيها كل المُعطيات المطلوبة منعاً للخلط بين الرؤية السينمائية العادية والرؤية المُعبرة عن القدس كحجر زاوية في بناء المهرجان ودلالته الثقافية بشكل أساسي، الأمر الذي أدى إلى رفض بعض الأفلام والمواد الدرامية الوافدة من عدة دول عربية لعدم ملاءمتها وخروجها عن شروط القبول المُحددة سلفاً والمنصوص عليها في اللوائح والاستقرار فقط على ما هو مطابق للمواصفات الفنية والموضوعية والذي وصلت منه حتى كتابة هذه السطور مجموعة أفلام متباينة في مستوياتها وطرحها تتصل اتصالاً مباشراً بقضية القدس كتاريخ ومعنى ومرجعية فكرية.

من بين الأفلام المتميزة التي تم إدراجها في جدول العروض فيلم القدس «أبناء آدم» للمخرج مصطفى الشيعي وهو يمثل رؤية رمزية للصراع الدائر بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني ويُعمل فيه المخرج أدواته الفنية التأثيرية بشكل جيد يجلي الحقيقة ويرد على المغالطات التي تتاجر بها إسرائيل لإقناع العالم بأن القدس يهودية!

وكذلك يأتي الفيلم الثاني «القدس من في القدس إلا أنت» متجاوباً مع طبيعة الإرث التاريخي للمدينة العتيقة وحاملاً عبقها وملامحها عبر بانوراما واسعة يعرضها الفيلم على إيقاع الموسيقى الداخلية لقصيدة الشاعر تميم البرغوثي

سعود مهنا

المعنونة بنفس الاسم والمُكملة للمعنى الشكلي والضمني للصورة السينمائية الحية.

ويشارك المخرج بيتر فؤاد بفيلم «الغرفة 23» الذي يعد من الانجازات الإبداعية المُعتبرة الحاوية للكثير من الدلالات والإسقاطات السياسية المُتعلقة بخطط الهيمنة والاستبداد الصهيوأمريكي والتي بدأت بضرب العراق في بداية التسعينيات ولم تنته عند حدود الاعتداء اليومي على الشعب الفلسطيني وعمليات السلب والنهب للأرض والشجر والحجر، ولكنها لا تزال مستمرة في تهديد الدول والشعوب الآمنة والتآمر عليها.

وهناك أيضاً أفلام أخرى تقترب من التميز كفيلم «الطوق الأبيض» وفيلم «ستين عاما» للمخرجة سري عباس، و«الوصية» و«ميلاد مر» و«عتبة الدار» و«اعتقال» وغيرها الكثير.

بيد أن المهرجان كما ذكرنا ينفرد بخاصية توسيع رقعة المشاركة والتسابق بين مبدعي الأفلام بأنواعها الروائي الطويل والقصير والتسجيلي والوثائقي، وبين المواد الفنية الأخرى كالدراما والموسيقى والكاريكاتير والفن التشكيلي، ولكن برغم هذا التنوع مثلت السينما بثقلها وتنوعها الثري الغالبية العظمى من الإسهامات وهو ما يحيل الفعالية الثقافية الشاملة إلى كرنفال سينمائي بامتياز يتفوق في عناصره وتكوينه على بقية الجوانب التي بدت ضعيفة ومتراجعة أمام سطوة السينما وحضورها القوي، وهو أمر يدفع إلى تساؤل منطقي يفرض نفسه .. لماذا هذا التزاحم؟ وما هي جدواه طالما أن المتوفر من الفنون والإبداعات الموازية ضعيف وغير كافي للمنافسة في مهرجان يبدأ خطواته الأولى بداية حثيثة نحو التمكن وإثبات الوجود؟

الإجابة متروكة لأصحاب الفكرة علهم يملكون الحُجة والمبرر وتُثبت التجربة العملية صحة نظريتهم وإن كانت المُعطيات توحي بعكس النظرية المبتكرة أو المُبتسرة.

على بدرخان

المخرج بيتر فؤاد

تحقيقات

تداعيات اتفاق سنجار تعقد المشهد العراقي

بغداد – «القدس العربي»:

تتسارع تداعيات اتفاق سنجار بين حكومتي بغداد وأربيل، حول تطبيع أوضاع المنطقة وإعادة النازحين وإخراج القوات المثيرة للجدل منها، حيث صعدت قوى سياسية وفصائل مسلحة تحركاتها بهدف تأزيم الأوضاع الأمنية والسياسية في العراق لإفشال تحركات حكومة بغداد لتطبيق اتفاق سنجار أو إجراء الإصلاحات، بالتزامن مع تصاعد دعوات قوى سنية لاستنساخ اتفاق سنجار وإخراج الفصائل الشيعية من المحافظات المحررة، لما تسببه من انتهاكات وابتزاز وتجاوزات على أهلها.

ومع كل خطوة يقدم عليها الكاظمي لمحاولة إصلاح الأوضاع وإيقاف تدهور البلد سياسيا واقتصاديا وأمنيا، عبر الابتعاد عن الصدام مع الفصائل المسلحة رغم تحديها المتواصل للدولة، وسعيه لنزع فتيل النزاعات بين المكونات لتهدئة الأمور، ترد الدولة العميقة بالمزيد من الخطوات في الاتجاه المعاكس، مركزة على افتعال أزمات ونزاعات تارة شيعية كردية عبر مهاجمة مقر حزب بارزاني في بغداد وتارة شيعية سنية عبر مجزرة بلد وحتى شيعية شيعية بخصوص قضية مهاجمة السفارات وانفلات بعض الفصائل.

وهدف تحرك الدولة العميقة هو زعزعة الأوضاع الأمنية وتأجيج المشاعر الطائفية والعرقية، ليس لافشال عمل الحكومة فحسب بل للكسب الجماهيري قبل الانتخابات، إضافة إلى إحباط المساعي الأمريكية لتهدئة الأوضاع في العراق وتجنب وقوع أحداث ومواجهات كبيرة فيه لحين الانتهاء من الانتخابات الأمريكية المزمع إجراءها الشهر المقبل.

وعندما أعلن رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، قبل أيام عن توقيع اتفاق بين حكومتي بغداد وأربيل برعاية الأمم المتحدة، لتطبيع الأوضاع في مدينة سنجار الاستراتيجية غرب الموصل، من خلال إنشاء إدارة مشتركة بين الحكومتين بمشاركة سكان المنطقة لإعادة النازحين إليها والبدء بإعمارها، تفجرت ردود أفعال متضاربة بين مؤيد للاتفاق لحل الأزمة الأمنية والإنسانية لسكان سنجار النازحين في المخيمات، وبين معارضة قوى تضررت من الاتفاق وخاصة الحشد الشعبي وحزب العمال التركي المعارض الذين سيتم إخراجهم من المنطقة وفق الاتفاق المذكور.

وقد أكد الكاظمي ان الاتفاق «سيكون بداية لحل مشاكل جميع المناطق المتنوعة إثنيا ودينيا في العراق» وهذه النقطة تخدم الأحزاب الكردية كثيرا لأنها ستفتح أمامها أبواب المناطق المتنازع عليها، خاصة قبل الانتخابات، مما يثير قلق القوى السياسية العربية والتركمانية كثيرا.

معضلة إخراج الجماعات المسلحة

وحيث ينص الاتفاق على إخراج كافة الفصائل المسلحة من سنجار وتسليم الملف الأمني للقوات النظامية، فقد برزت مشكلة تمسك الحشد الشعبي وحزب العمال التركي بالمنطقة، ورفضهما التخلي عنها لحسابات سياسية.

وتشكل منطقة سنجار أهمية كبيرة للحشد الشعبي الذي دخل المنطقة بمصاحبة الجيش العراقي عام 2017 عقب استفتاء الإقليم على الانفصال عن العراق، حيث يحرص الحشد على التواجد في المناطق السنية لفرض سيطرته عليها، كما تشكل سنجار وتلعفر القريبة منها، أجزاء من الطريق الاستراتيجي الممتد من إيران إلى سوريا ولبنان مرورا بالعراق. ولذا لا يمكن للحشد ان يتخلى عن المنطقة، وهو ما عكسته مواقف القوى الشيعية التي عارضت الاتفاق بحجة انه يخدم الأحزاب الكردية ويوسع انتشارها في المناطق المتنازع عليها.

أما حزب العمال الكردستاني التركي، فانه أوجد لنفسه موطئ قدم في قضاء سنجار خلال السنوات القليلة الماضية، وخاصة بعد ظهور تنظيم «داعش» وسيطرته على سنجار عام 2014 حيث سمحت له حكومة الإقليم بجلب بعض عناصره من جبال قنديل وسوريا للمشاركة في عملية تحرير المنطقة عام 2015 التي تمت بدعم قوات التحالف الدولي. وعقب التحرير انشأ حزب العمال مواقع له في المدينة وما حولها، وتمسك بها رافضا الانسحاب منها والعودة إلى مناطقه التي قدم منها، بل انه قام بتشكيل إدارة محلية وقوات عسكرية باسم «وحدات حماية سنجار» من السكان المحليين.

ورغم النداءات المتكررة من حكومتي الإقليم وبغداد، فإن العمال الكردستاني يرفض الانسحاب من سنجار ومناطق أخرى على حدود تركيا، مما دفع تركيا إلى مهاجمة مواقع الحزب وقياداته هناك باستمرار لمنع تواجده فيها كما فعل في جبال قنديل شمال العراق التي يستقر فيها منذ سنوات.

وحتى بعد انسحاب البيشمركه من سنجار عام 2017 وتقدم قوات الحكومة الاتحادية فيها في أعقاب الاستفتاء على الاستقلال، فإن حزب العمال استمر في تواجده في المنطقة، وذلك بعد ارتباط بعض عناصر الحزب بالحشد الشعبي الذي أصبح يزودهم بالرواتب والسلاح، حسب المصادر الكردية، اضافة إلى وجود دعم له من حليفه الاتحاد الوطني الكردستاني حزب جلال طالباني.

معارضون للاتفاق

ويعتقد مراقبون أن اتفاق قضاء سنجار، أربك النفوذ الإيراني في شمال العراق، لذا كان طبيعا ان ترفض القوى الشيعية العراقية ذلك الاتفاق، بحجة إنه منح الكرد مساحات نفوذ إضافية، وان الحكومة الاتحادية تستطيع تطبيع أوضاع المدينة بدون إقليم كردستان.

قيس الخزعلي، قائد ميليشيا عصائب أهل الحق الموالية لإيران، قال إن «الاتفاق الأخير الذي حصل بين الحكومة المركزية، وإقليم كردستان بخصوص سنجار وتضمن إخراج الحشد الشعبي الذي حرر سنجار هو مجاملة سياسية ومكافأة انتخابية على حساب الإيزيديين الذين عانوا ما عانوا من الوضع السابق ويراد أن تستمر معاناتهم بهذا الاتفاق الجديد» داعيا للوقوف ضد الاتفاق.

فيما ادعى النائب الشيعي عباس الشبكي، ان اتفاق حكومتي بغداد وأربيل بشأن قضاء سنجار يتنافى مع المادة 140 من الدستور التي تنص على ان مناطق سهل نينوى مناطق إدارية تابعة لمحافظة نينوى، لافتا إلى ان «اتفاق سنجار لم يتم عبر الاتفاق مع جميع المكونات ويجب إعادة صياغته من جديد» مدعيا ان «عناصر الحشد الشعبي المتواجدة في سنجار هي من حررت القضاء من عصابات داعش الإرهابية» وان «أمريكا تتدخل في سهل نينوى ومسألة إطلاق الصواريخ على أربيل دبرت لاتهام الحشد الشعبي». كما انتقد الاتفاق نواب شيعة آخرون، وسياسيون تركمان وسنة يتخوفون من توسع النفوذ الكردي.

المناطق المحررة

إلا ان اهم تداعيات اتفاق سنجار، انه فتح ملف وجود فصائل الحشد الشعبي في المناطق السنية، ومطالبات بإجراء اتفاق مماثل، لإخراج تلك الفصائل منها وتسليم الملف الأمني للجيش والشرطة.

وجاء ارتكاب مجزرة بلد في محافظة صلاح الدين قبل أيام وخطف وقتل 12 من سكانها السنة على يد مسلحين من فصائل شيعية، ليعزز مطالبات بإخراج الحشد الشعبي من المناطق المحررة من «داعش» اسوة باتفاق سنجار.

فضمن ردود الأفعال على مجزرة بلد، دعا النائب عن تحالف القوى العراقية رعد الدهلكي، رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي، إلى «إنهاء الاستهتار الذي تقوم به الميليشيات الطائفية المنفلتة بحال أراد استمرار العملية السياسية في شكلها الكبير في محافظاتهم، وتمتلك مقرات داخل المدن، وتفرض رؤيتها على أهالي المناطق التي يتواجدون فيها، فضلا عن فتحها مكاتب اقتصادية لابتزاز المستثمرين وأصحاب المشاريع التجارية والمواطنين في طلب الحماية الدولية، أو أي مواقف سياسية أخرى تسهم في تعزيز الأمن في محافظاتنا».

وتشكو مصادر في المحافظات المحررة، من إن فصائل الحشد الشعبي تتمتع بنفوذ كبير في محافظاتهم، وتمتلك مقرات داخل المدن، وتفرض رؤيتها على أهالي المناطق التي يتواجدون فيها، فضلا عن فتحها مكاتب اقتصادية لابتزاز المستثمرين وأصحاب المشاريع التجارية والمواطنين في طلب الحماية الدولية، أو أي مواقف سياسية أخرى تسهم في تعزيز الأمن في محافظاتنا».

وتشكو مصادر في المحافظات المحررة، من إن فصائل الحشد الشعبي تتمتع بنفوذ كبير في محافظاتهم، وتمتلك مقرات داخل المدن، وتفرض رؤيتها على أهالي المناطق التي يتواجدون فيها، فضلا عن فتحها مكاتب اقتصادية لابتزاز المستثمرين وأصحاب المشاريع التجارية والمواطنين

في النقاط الأمنية بين المحافظات، إضافة إلى عمليات خطف واغتيال أبرياء. داعين إلى تسليم ملفها الأمني بيد الشرطة والجيش، لكون أغلب فصائل الحشد الشعبي، تتصرف بنفس طائفي واضح.

الموقف التركي

ومع الترحيب الأممي والدولي باتفاق سنجار، حرصا على استقرار الأوضاع في هذه المنطقة الحساسة وإنهاء معاناة سكانها النازحين، فإن تركيا تبدو أكثر اهتماما بالموضوع، وخاصة بتشديد الكاظمي على حرص حكومته في أن «تكون سنجار خالية من الجماعات المسلحة سواء المحلية منها أو الوافدة من خارج الحدود» مشددا على «رفض العراق استخدام أراضيه من قبل جماعات مسلحة للاعتداء على جيرانه» وهي إشارة مهمة لتطمين دول الجوار وخاصة تركيا.

وقد سارعت تركيا للاعراب عن تأييد اتفاق سنجار، معربة عن أملها بان يتم تطبيق الاتفاق ويؤدي إلى إخراج الجماعات الإرهابية مثل حزب العمال من المنطقة، ومبدية استعدادها للتعاون مع العراق لتنفيذ الاتفاق. علما ان تركيا سبق ان حذرت بانها لن تسكت عن تنامي حزب العمال التركي الإرهابي في سنجار، كما فعل في جبال قنديل، وانها ستضرب قواعده ومقراته هناك.

كما قام السفير التركي في بغداد بنقل دعوة إلى مصطفى الكاظمي من الرئيس التركي رجب اردوغان، لزيارة تركيا وبحث تطوير آفاق التعاون بين البلدين في مجالات عدة.

والحقيقة ان اتفاق سنجار شجع الكثير من العراقيين والسياسيين، على تجديد دعواتهم للحكومة بضرورة إخراج حزب العمال من سنجار وجبال قنديل وغيرها، الذي جعلها مناطق خارج سلطة الدولة العراقية ويشن منها هجمات ضد الأراضي التركية منذ سنوات.

وكان زعيم ائتلاف العراقية أياد علاوي، دعا لفتح حوار عالي المستوى مع تركيا، مبينا في تغريدة بـ «تويتر» أليس من المفترض ان تخضع العلاقات مع تركيا لمبادئ الصداقة والجيرة الحسنة؟ حاثا على «فتح حوار جاد على أعلى المستويات مع تركيا ودول المنطقة لمناقشة جميع القضايا العالقة». وهكذا يبدو ان اتفاق تطبيع الأوضاع في سنجار سيكون له تداعيات وآثار متشعبة، ومواقف متباينة من أطراف وقوى محلية ودولية، كل حسب مصلحته وسياسته، وستكون هناك عقبات كثيرة أمامه لافشاله عند التطبيق، رغم كونه اتفاقا مهما ينهي معاناة النازحين من أهل سنجار ويعيد سلطة الدولة عليها ويقدم نموذجا يستحق الاهتمام لحل أزمات مزمنة في المناطق المتعددة الأعراق والقوميات من العراق.

ميديا

حملات مصرية متواصلة على شبكات التواصل تطالب بإزاحة السيسي

لندن – «القدس العربي»:

أغرق النشطاء المصريون على الانترنت شبكات التواصل الاجتماعي بحملة جديدة خلال الأيام الماضية تهاجم الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي وتدعوه للتنحي عن الحكم، كما تصاعدت وتيرة الاتهامات للسيسي بارتكاب جرائم ضد المدنيين وذلك في أعقاب حملة الاعدامات التي تم تنفيذها مؤخراً والتي طالت عدداً كبيراً نسبياً من الشباب الذين يقول ذووهم بأنهم «مظلومون» وأن التهم التي أعدموا بسببها كانت ملفقة.

وجاءت هذه الحملة بعد أن نفذت مصر 49 حكما بالإعدام خلال عشرة أيام فقط في تشرين أول/أكتوبر 2020، وفقا لمنظمة هيومن رايتس ووتش التي طالبت السلطات المصرية بـ«الوقف الفوري» للإعدامات. ومن بين من نفذ حكم الاعدام فيها 15 رجلا متهمين بالتورط في ثلاث قضايا عنف سياسي.

وقال جو ستورك نائب مدير ادارة الشرق الاوسط وشمال افريقيا في «هيومن رايتس ووتش» إن «اعتياد السلطات المصرية على تنفيذ أحكام اعدام بعد الهجمات على قوات الأمن تجعل وقف تلك الاعدامات أكثر الحاحاً».

وبحسب المنظمة، فان مصر باتت تحت حكم الرئيس عبد الفتاح السيسي واحدة من الدول العشر في العالم التي يصدر بها أكبر عدد من أحكام الاعدام.

وأطلق نشطاء مصريون حملة على شبكات التواصل الاجتماعي تحت الوسم (#السيسي_سفاح_مصر)، كما أطلقوا حملة للمطالبة برحيل السيسي تحت الوسم (#العصيان_هو_الحل)، حيث دعوا المصريين إلى تنفيذ عصيان مدني ينتهي بالاطاحة بحكم السيسي، فيما تصدر الهاشتاغان قائمة الوسوم الأكثر تداولاً في مصر لنحو يومين متتاليين.

وغردت أمينة فايز ضمن هذه الحملة بالقول: «يا ويلك ثم ويلك أيها الشقي التعيس.. كيف ستقابل ربك وفي رقبتك ذنب أمة بأكملها؟ #السيسي_سفاح_مصر».

وعلق الكاتب والصحافي المعروف سليم عزوز بالقول: «وزير الكهرباء: مش عارف اللي بيسرق كهربا بيستحلها ازاي؟!.. أنتم سرقتوا بلد بحالها.. وتسأل عن سرقة كام كيلو وات؟!.. يقتلون الحسين بن علي ويسألون عن حكم قتل الذبابة في الحرم؟!».

أما الاعلامي أسامة جاويش فكتب يقول: «لماذا نقول السيسي سفاح مصر؟.. أكثر من سبعين ألف معتقل سياسي، آلاف القتلى خارج إطار القانون، تنفيذ الإعدام بحق أبرياء، تسجيل اعترافات لأبرياء تحت التعذيب، ارتكاب مجازر بحق المعتصمين السلميين، تدمير بيوت ومنازل أهالي سيناء وتهجيرهم، هدم منازل الغلابة فوق رؤوسهم».

وكتب صاحب حساب «نور الشمس» على تويتر يقول: «لا يليق بك إلا أن يقترن بك كل نقيصة وعيب. لا يليق بك إلا أن يلتف حولك المنافقون والمنتفعون والمغيبون. لا يليق بك إلا عندما نسمع اسمك فلنعلك صباحاً ومساءً.. لا يليق بك إلا أن تطاردك لعنات أمهات الشهداء والمعتقلين والمختفين.. لا يليق بك إلا أن يطلق عليك: السيسي سفاح مصر».

وكتب حساب «وضوح» مغرداً على «تويتر» يقول: «لا يصدق الناس أن النظام العسكري ضعيف وهش لأنهم يرون قوة قمعه للناس مع أنك لو تفكرت ستجد أنه يفعل ذلك حتى لا يعطي خصمه فرصة للنهوض، لأنه يعلم أن الشعب إن نهض سينتهي هو.. الموضوع استراتيجية وسلوك فقط وهذه يمكن مواجهتها بأقوى منها.. الخطة بالخطة والأدهى... يغلب».

وغرد أحد المصريين: «عصيان مدني شامل في كافة نواحي مصر المروعة وحث الجميع على العصيان المدني لأن الشعب قد عمل في خدمة العصابة لسنوات طويلة، هم كسبوا الأموال ونحن الشعب كسبنا الفتات ورضينا هدم البيوت علينا فأصبح الشعب مشرداً فقيراً بلا مأوى».

وكتبت ليليان أحمد: «#العصيان_هو_الحل.. نبطل شغل ونعترض ونوقف الاقتصاد خليها تخرب على راس الكل»، فيما غرد جمال مهدلي قائلا: «وزير الكهرباء بيسأل: مش عارف اللي بيسرق الكهرباء بيستحلها ازاي؟!.. ج: لأنكم حرامية سارقين الوطن كله المواطن المطحون بيحاول أن يسترد جزء ضئيل جداً من حقوقه.. لكن الحقيقة أن #العصيان_هو_الحل».

ونشرت ديانا صورة من مجزرة رابعة على حسابها على «تويتر» وعلقت على الصورة بالقول: «من بنى عرشه على دماء وجثث الشهداء لن يرحل بهذه السهولة.. جاء من اول يوم لمحاربة الإسلام وقتل المسلمين.. #السيسي_سفاح_مصر».

وغرد الاعلامي الدكتور أحمد موفق زيدان قائلاً: «غباء وحماقة وبلاهة لا تجدها إلاّ عند السيسي سفاح مصر.. يستعرض عضلات جنوده وكأنه يعيش في عصر المصارعة الرومانية، بينما العالم يتقاتل بطائرات بلا طيار والروبوت وتقنية النانو».

وغرد حمزة سنقرط: «يجب على الشعب الان القيام بثورة كبيرة شاملة على العصابة الحاكمة التي وصل فيها الفساد إلى تطعيم الشعب بمصل ضار لا يأتي بخير لأحد إلا العصابة الحاكمة .. الحذر الحذر.. ثورة الشعب على الفساد والفاسدين».

وكتب مغرد يُدعى أحمد: «49 اعدام في 10 ايام.. هذا الرقم لم يحدث في تاريخ مصر الحديث او القديم أو خلال فترة الحكم العسكري من انقلاب 1952 حتى الآن.. السيسي سفاح مصر، السيسي جعل الدم في يد جميع من في سلطة الحكم حتى لا يتم معاقبته وحده وحتى لا يستطيع الآخرون الانقلاب عليه. الآن الجميع ملطخ بدم المصريين».

وغرد لقمان خنفر: «إذا كان همك الوطن وترابه وهويته.. فالأحسن أنك تقطفي البلحة اللي باعت وفرطت بهوية مصر العريقة المسلمة اللي صارت تحت عهد الشرذمة العسكرية والأعراب المنافقة من محمد بن سلمان ومحمد بن زايد والسيسي».

دعوات لحماية الصحافيين في العراق من الميليشيات

لندن – «القدس العربي»:

دعت منظمة «هيومن رايتس ووتش» الدولية السلطات العراقية إلى بذل مزيد من الجهود لحماية الصحافيين والحفاظ على حياتهم.

ونقلت المنظمة في تقرير لها بعنوان: «متى يبدأ العراق بحماية الصحافيين» شهادات للإعلاميين تلقوا تهديدات بالقتل، ومنهم 3 موظفين يعملون في قناة «دجلة» التي أحرق مقرها في بغداد.

وأكد الإعلاميون الثلاثة أنهم «تلقوا تهديدات عديدة عبر مكالمات هاتفية وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، وأن رجالا مسلحين جاءوا بحثا عنهم، وقد أجبرتهم هذه التهديدات على الاستقالة، من خلال منشورات علنية على فيسبوك».

وأضافوا أن «استقالتهم لم تكن كافية لوقف التهديدات، مما أجبرهم على مغادرة منازلهم».

وأشارت المنظمة إلى أنه «بالرغم أن حادثة حرق مقر قناة دجلة التي وقعت في 31 آب/اغسطس الماضي فإن السلطات المختصة لم تعتقل أو تحقق مع أحد».

وبحسب تقارير إعلامية؛ فإن ستة من العاملين في قناة «دجلة» توارو عن الأنظار خوفا على سلامتهم وحياتهم.

وكانت منظمة «مراسلون بلا حدود» قد أعلنت عن مقتل أربعة إعلاميين في العراق منذ بداية العام 2020.

وكانت المؤسسة الحقوقية العراقية قد وثقت 30 واقعة اغتيال استهدفت نشطاء وصحافيين منذ تشرين الأول/أكتوبر 2019 بعد اندلاع احتجاجات حاشدة لإسقاط الحكومة العراقية السابقة برئاسة عادل عبد المهدي المقرب من النظام الإيراني.

يشار إلى أن العراق يقبع في المرتبة 162 من أصل 180 بلدا في العالم على مؤشر حرية الصحافة للعام الحالي 2020 الصادر عن منظمة «مراسلون بلا حدود» وهو بذلك من أسوأ دول العالم في مجال حرية الصحافة.

وقال أحدث تقرير صادر عن منظمة «مراسلون بلا حدود» عن العراق إن «الصحافيين في العراق يخاطرون بحياتهم عندما يغطون الاحتجاجات أو عندما يحققون بشأن قضايا الفساد، حيث ازدادت حدة الضغط منذ اندلاع حراك شعبي غير مسبوق في تشرين الأول/أكتوبر 2019».

وأضاف التقرير إن «الصحافيين الذين ينقلون احتجاجات المتظاهرين يواجهون خطر التعرض للمضايقات أو الاختطاف أو الاعتداء على أيدي مسلحين مجهولين أو منتسبين إلى إحدى الميليشيات، بل ويصل الأمر حد الاغتيال في بعض الحالات. ذلك أن التهديدات باتت تنهال على الفاعلين الإعلاميين من كل حدب وصوب في محاولة لثنيهم عن القيام بعملهم».

وتابع: «في ظل تعنت الشخصيات السياسية والدينية التي تعتبر نفسها مقدسة وغير قابلة للانتقاد، يتعرض الصحافيون للملاحقات ووسائل الإعلام لمنع النشر أو البث بتهمة إهانة رموز وطنية أو دينية» هذا وتمر اغتيالات الصحافيين دون أي عقاب، علماً بأن التحقيقات التي تُفتح بشأنها لا تؤدي إلى أية نتائج مجدية، بحسب أقارب الضحايا، بل إن الوضع أكثر خطورة مما يبدو، حيث توجد الدولة في موقف ضعف إلى حد يجعل من المستحيل تحديد ما إذا كانت الميليشيات العديدة المتدخلة في الساحة العراقية تعمل لمصلحة الحكومة أم أن الوضع يخرج بالفعل عن سيطرة السلطات، التي لم تدخر جهداً في منع أي بث مباشر وتعطيل خدمة الإنترنت وفرض حظر التغطية على عشرات المنابر الإعلامية بموجب قرار اتخذته هيئة تنظيم الإعلام».

صحافيو الجزائر يطالبون بوقف الملاحقات القضائية بحقهم

لندن – «القدس العربي»:

دعا عدد من الصحافيين في الجزائر إلى التوقف عن الملاحقات القضائية التي تقوم بها السلطات ضدهم لترهيبهم والتضييق عليهم ومحاصرة حقهم في التعبير وحريتهم في العمل الصحافي.

ووقع عدد من الصحافيين في الجزائر على بيان دعوا فيه إلى وقف الملاحقات القضائية وإطلاق الحريات العامة وإنهاء قرارات حجب المواقع الإلكترونية المستقلة أو التي تعارض الحكومة.

ونشر الصحافيون بيانهم بمناسبة اليوم الوطني للصحافة، ووصفوا فيه أوضاعهم بهذه المناسبة بأنها «حالكة ومأساوية».

وجاء في البيان: «تحلّ هذه المناسبة في ظرف يواجه فيه الإعلام بالجزائر ظروفاً حالكة أخطر ما فيها السجن، فيما بات التضييق والتهديد والمتابعات القضائية والاستدعاءات لدى الضبطية القضائية، والضغط بواسطة الإشهار لتطويع وسائل الإعلام والتدخلات لتوجيه خطها التحريري وفق مشاريع السلطة وخطها، أمراً واقعاً مفروضاً».

وأكد الصحافيون أن هذه الظروف تجعل من ممارسة الصحافة في الجزائر مستحيلة، و«أمام هذا الوضع المأساوي، نحن مجموعة من الصحافيين الجزائريين، متمسكين بحرية الإعلام كدعامة أساسية للديمقراطية وإيماناً منا بأن ممارسة الصحافة مستحيلة في ظل مناخ يميزه القهر والخوف، ندعو السلطات إلى الوفاء بتعهداتها المتكررة باحترام حرية الإعلام».

وطالب الموقعون بتدابير تهدئة وإجراءات تسمح في حال اتخاذها بإزالة «مناخ الخوف والاحتقان المسيطر على المهنة، وستفتح الباب أمام إمكانية إصلاح الوضع المهني والاجتماعي المزري الذي يعيشه الصحافيون في القطاع».

وطالب الصحافيون بـ«إطلاق سراح الصحافي خالد درارني المسجون بسبب نشاطه الصحافي وتمسكه بممارسة مهنته، والذي يواجه أثقل حكم في تاريخ الصحافة الجزائرية منذ الاستقلال، ورفع الرقابة القضائية عن صحافيي «الصوت الآخر» المكبلين بهذا الإجراء منذ شهور، لأسباب مرتبطة بمقال نشر في الصحيفة، ووقف جميع المتابعات القضائية والتحرشات الأمنية في حق الصحافيين الذين يوجد منهم من يعاني في صمت من هذه الممارسات المناقضة لحرية ممارسة الصحافة».

وطالب الصحافيون أيضا بإلغاء حجب عدد من المواقع الإخبارية على غرار موقع «مغرب إيمارجان» و«راديو إم» وكل المواقع المطبق عليها هذا الإجراء، بسبب تعاطيها مع الأحداث والأخبار بطريقة لا توافق نظرة الحكومة.

كما دعوا إلى إطلاق ترتيبات عاجلة لإعداد قانون الإشهار، لإنهاء احتكار الحكومة للإعلانات وما يمثله ذلك كسلاح يهدد أرزاق العاملين في قطاع الإعلام، تحت وطأة رفض الدخول إلى بيت الطاعة، وفتح حقيقي لقطاع السمعي البصري، والسماح بإطلاق قنوات تلفزيونية خاضعة للقانون الجزائري وليس الأجنبي، وتمكين القطاع السمعي البصري من لعب دوره في الخدمة العامة وليس خدمة السلطات الظرفية.

وطالب الصحافيون بتعديل قانون الإعلام بما يضمن استقلالاً حقيقياً لمهنة الصحافة بالتشاور الواسع مع أبناء المهنة والقانونيين المختصين، وكذا فك الخناق الاجتماعي ووقف سياسة تفقير الصحافيين، ومنعهم المباشر وغير المباشر من حقهم في التنظيم.

علوم وتكنولوجيا

جهاز جديد يقضي على الكوابيس ويتحكم بالأحلام خلال النوم

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن علماء وباحثون من ابتكار تقنية جديدة يمكن من خلالها التحكم بالأحلام خلال النوم وتجنب الكوابيس، وهو ما يمكن أن يوفر نوماً أكثر هدوءاً وراحة للبشر في حال أثبتت هذه التكنولوجيا نجاحها.

وادعى العلماء أنهم قادرون على التلاعب بأحلام النائمين بجعلهم يتخيلون موضوعات معينة على غرار «أحلام اليقظة» بحسب ما نقلت جريدة «اندبندنت» البريطانية.

واستخدم الباحثون في معهد «ميت ميديا لابيا» تقنية تسمى حضانة الحلم المستهدف «TDI» لتحقيق ذلك.

ويستخدم جهاز حضانة الحلم المستهدف «TDI» مرحلة نوم مبكرة، تُعرف باسم الهيبناغوجيا، وتعرف أيضا باسم «الهلوسة التنويمية» لتشكيل ما يحلم به النائم بوعي.

وتشكل الهيبناغوجيا المرحلة الأولى من النوم تشبه مرحلة نوم حركة العين السريعة «REM» من حيث الموجات الدماغية والخبرة، ومع ذلك لا يزال بإمكان النائمين سماع الصوت أثناء التنويم المغناطيسي. وعلى هذا النحو، أصغى المشاركون في تلك التجربة إلى تسجيلات صوتية، تتضمن طلبين هما: «تذكر أن تفكر في شجرة» و«تذكر أن تراقب أفكارك». وفي مرحلة لاحقة، أنصتوا إلى الطلبين نفسيهما بعد تشغيل هذه الاقتراحات في وقت مناسب.

وباستخدام متتبع النوم اليدوي، والذي يمكن أن يكتشف تغيرات متعددة مثل نبض قلب مرتديها، والشحنات الكهربائية على الجلد، وحركة الإصبع، وأكثر من ذلك، تمكّن للباحثين معرفة متى دخل النائم في مرحلة الهيبناغوجيا ومن ثم تحديد الوقت الملائم لتشغيل التسجيلات الصوتية المذكورة سابقاً.

ويمكن لمتتبع النوم المسمى «Dormio» أن «يوفر الصوت في الأوقات الصحيحة، ويسجل صوت تقارير الأحلام» وفقا لمؤلف الدراسة الرئيسي آدم هار هورويتز. وذكر أكثر من ثلثي الأشخاص الذين شملتهم الدراسة أن الأحلام عكست المطالبات الصوتية.

ووصف أحد المشاركين تتبع جذور الشجرة، بينما تذكر آخر شجرة من طفولته. ومع ذلك، نظرا لأن العديد من جوانب التلاعب بالأحلام غير مفهومة، فمن غير الواضح كيف يمكن أن يفيدهم دفع أحلام النائم.

وتم تصميم تقنية «دورميو» لأول مرة في عام 2018 ومنذ تلك الدراسة التجريبية، عُقدت ورشة عمل لاحقة في كانون الثاني/يناير 2019 من أجل مناقشة التقنيات الجديدة للدراسة والتسجيل والتأثير على الأحلام.

وعلاوة على ذلك، توجه التجربة الجديدة الأحلام نحو موضوعات معينة «عند بداية النوم» والتي يمكن أن تسمح بعد ذلك بدمج المعلومات في محتوى الأحلام.

وعرف الباحثون منذ عقود أن تجارب اليقظة يمكن أن تؤثر على الأحلام، على الرغم من صعوبة جمع دراسات واسعة النطاق حول مثل هذه الأحداث، وفقا لما قاله الدكتور فالداس نوريكا، المحاضر في علم النفس بجامعة كوين ماري بلندن، لصحيفة «إندبندنت» البريطانية.

وأضاف: «حضانة الأحلام المستهدفة (TDI) باستخدام جهاز دورميو هي تقنية جديدة مرحب بها للغاية، تمكن من زرع كلمات وموضوعات محددة في الأحلام. وعلاوة على ذلك، يسمح دورميو بتغيير محتوى الأحلام أثناء النوم في المنزل. وعلى هذا النحو، فإنه يوفر فرصا لإجراء اختبارات على نطاق واسع، وأنا متأكد من أن هناك العديد من الأشخاص الحريصين جدا على التجربة الذاتية باستخدام دورميو في منازلهم».

«قضاة آليون» في المحاكم قريباً واكتشاف المذنبين بدقة تصل 99 في المئة

لندن ـ «القدس العربي»:

تستعد المحاكم إلى غزو جديد وغير متوقع من قبل الروبوتات التي يتوقع أن تحل مكان القضاة قريبا بعد أن تمكن خبراء تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي من اختراع «إنسان آلي» أو «قاضي آلي» يستطيع اكتشاف الكذب وتحديد من هو المذنب وبدقة عالية تصل إلى 99 في المئة، ليشكل بذلك طفرة في عالم مكافحة الجريمة والإفلات من العقاب.

وحسب التقرير الذي نشرته جريدة «دايلي تلغراف» البريطانية، فإن هذا «القاضي الآلي» الذي يستطيع تحليل لغة الجسد بدقة تصل إلى 99 في المئة يتوقع أن يحل مكان القضاة البشريين في المحاكم خلال 50 عاماً فقط من الآن.

ويعتقد الخبير في تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي تيرينس موري أنّ «قضاة قاعة المحكمة سيكونون آليين بحلول عام 2070 وستكون الروبوتات قادرة على اكتشاف علامات الكذب التي لا يمكن للإنسان اكتشافها، وذلك عبر تحليل أنماط الكلام غير المنتظمة ودرجة حرارة الجسم وحركات العين».

ويعتقد موري أن «الآلات ستكون قادرة على اكتشاف الكذب وتحديد من هو المذنب وبدقة عالية على الجلد، وحركة الإصبع، وأكثر من ذلك، تمكّن للباحثين معرفة متى دخل النائم في مرحلة الهيبناغوجيا ومن ثم تحديد الوقت الملائم لتشغيل التسجيلات الصوتية المذكورة سابقاً.

ويمكن لمتتبع النوم المسمى «Dormio» أن «يوفر الصوت في الأوقات الصحيحة، ويسجل صوت تقارير الأحلام» وفقا لمؤلف الدراسة الرئيسي آدم هار هورويتز. وذكر أكثر من ثلثي الأشخاص الذين شملتهم الدراسة أن الأحلام عكست المطالبات الصوتية.

ووصف أحد المشاركين تتبع جذور الشجرة، بينما تذكر آخر شجرة من طفولته. ومع ذلك، نظرا لأن العديد من جوانب التلاعب بالأحلام غير مفهومة، فمن غير الواضح كيف يمكن أن يفيدهم دفع أحلام النائم.

وتم تصميم تقنية «دورميو» لأول مرة في عام 2018 ومنذ تلك الدراسة التجريبية، عُقدت ورشة عمل لاحقة في كانون الثاني/يناير 2019 من أجل مناقشة التقنيات الجديدة للدراسة والتسجيل والتأثير على الأحلام.

وعلاوة على ذلك، توجه التجربة الجديدة الأحلام نحو موضوعات معينة «عند بداية النوم» والتي يمكن أن تسمح بعد ذلك بدمج المعلومات في محتوى الأحلام.

وعرف الباحثون منذ عقود أن تجارب اليقظة يمكن أن تؤثر على الأحلام، على الرغم من صعوبة جمع دراسات واسعة النطاق حول مثل هذه الأحداث، وفقا لما قاله الدكتور فالداس نوريكا، المحاضر في علم النفس بجامعة كوين ماري بلندن، لصحيفة «إندبندنت» البريطانية.

وأضاف: «حضانة الأحلام المستهدفة (TDI) باستخدام جهاز دورميو هي تقنية جديدة مرحب بها للغاية، تمكن من زرع كلمات وموضوعات محددة في الأحلام. وعلاوة على ذلك، يسمح دورميو بتغيير محتوى الأحلام أثناء النوم في المنزل. وعلى هذا النحو، فإنه يوفر فرصا لإجراء اختبارات على نطاق واسع، وأنا متأكد من أن هناك العديد من الأشخاص الحريصين جدا على التجربة الذاتية باستخدام دورميو في منازلهم».

«درون» عسكري وزنه 180 غراماً ويتمتع بقدرات خارقة

لندن ـ «القدس العربي»:

نجحت شركة روسية في تصنيع طائرة بدون طيار «درون» بقدرات خارقة، وحجم متناهي الصغر، ووزن 180 غراماً فقط، وقالت إنها مخصصة لحملها مع المعدات الشخصية للجنود في المستقبل بما يعطيهم إمكانات إضافية وكبيرة في ساحات المعارك.

وحسب ما أعلنت شركة «كرونشتات» الروسية من مدينة بطرسبورغ فقد قامت بتصميم درون صغير سيزود به «جندي المستقبل».

وجاء على موقع الشركة الإلكتروني أن الدرون يبلغ وزنه 180 غراما فقط ويدخل في تشكيلة بزة جندي المستقبل «راتنيك – 3» للجيل الثالث.

وقال موقع «سلاح روسيا» المتخصص بنشر أحدث الابتكارات المتعلقة بالصناعات العسكرية والتسلح في روسيا إن الشركة اختبرت درونها في ميدان تدريب خاص حين اجتاز الحواجز بمختلف أنواعها وعبر منشآت مهدمة ودخل نوافذ وأبوابا وخرج منها.

وقال الموقع في تقرير إن هذا الدرون يتيح التحكم به يدويا، كما يمكن أن يعمل أوتوماتيكيا حسب برنامجه الداخلي المحمل على كومبيوتره مسبقا.

وقال كبير مصممي المشاريع الخاصة في شركة «كرونشتات» بافيل ريجكوف، إن بمقدور الدرون استطلاع أجواء تحيط بالجندي وتحديد إحداثيات الأهداف ومواقع الجنود.

وستتضمن بزة «جندي المستقبل» للجيل الثالث بضعة درونات صغيرة من شأنها مساعدة الجندي في التوجه عند خوض القتال في المدينة أو الغابة أو الصحراء، علما بأن البزة تزود بحاوية توضع داخلها درونات، لا يزيد حجما عن مخزن رشاش. لذلك يمكن أن يأخذ الجندي درونين أو 3 درونات ليطلقها بغية الاستطلاع.

وعند انطلاق الدرون من الحاوية، يتصل أوتوماتيكيا بنظام رصد البزة، أما الجندي، فيسيطر عليه بواسطة لوحة إلكترونية خاصة، وينقل الصورة التي يبثها الدرون إلى جميع الأفراد المشاركين في العملية الحربية.

كما تزود البزة بخوذة شفافة، تعرض واجهتها الداخلية للجندي معلومات عن الوحدات في ميدان القتال وتوزع حقول الألغام ونقاط الاستناد النارية الصديقة والمعادية.

وتزود الخوذة أيضا بكاميرا للرؤية الليلية ومستشعرات من شأنها تقييم الموقف القتالي حول الجندي.

وتقول روسيا إنها تعمل على إنشاء جيش مزود بأحدث أنواع التكنولوجيا والمعدات الموجهة عن بُعد بما يضمن للمقاتلين الابتعاد عن المخاطر وخوض المعارك من دون الانزلاق إلى أماكن القتال، وقامت تبعاً لذلك بتطوير العديد من الوسائل القتالية الذكية والحديثة.

وفي العام 2018 أعلن كبير مصممي البزات العسكرية وأنظمة البقاء على قيد الحياة في شركة «روستيخ» الروسية أوليغ فاوستوف، عن اختبار هيكل بزة خارجي مزود بمحركات وبطارية كهربائية، بحسب ما نقلت وكالة «تاس» الروسية.

وقال فاوستوف إن اختبار نموذج الهيكل الخارجي النشط الذي سيستخدمه الجندي تكلل بنجاح تام، حيث أظهر الاختبار أن الجندي الذي يرتدي الهيكل المطور قادر على تدمير الأهداف التدريبية باستخدام يد واحدة فقط.

وحسب كبير المصممين، فإن البزة ستمكّن الجندي الروسي من حمل عدد أكبر من الأسلحة والتجهيزات، والسير أسرع وتنفيذ المهام القتالية الموكلة إليه بفاعلية أكبر.

وأضاف فاوستوف إن المشكلة الرئيسية التي لا تزال تواجهها الهياكل الخارجية المزودة بمحركات كهربائية هي ضعف البطاريات. لكن العمل على تطوير مواصفات البطاريات يجري على قدم وساق.

كما أفاد رئيس اللجنة العلمية العسكرية في القوات البرية الروسية، الكسندر رومانيوتا، بأن الهيكل الخارجي النشط يجب أن يظهر ضمن بزة الجندي الروسي للجيل الثالث «راتنيك3–» بحلول عام 2025.

هذا ما يحدث للدماغ في آخر لحظات الحياة

علماء يبدأون بحل لغز الموت

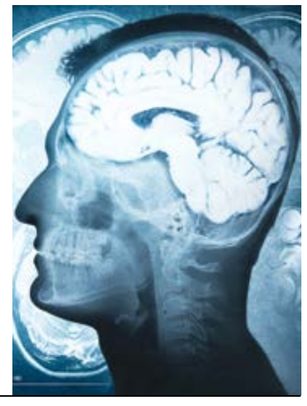

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن عدد من العلماء من البدء بتفكيك لغز «الموت» الذي لطالما حير الباحثين منذ مئات السنين، حيث لا يزال أمراً غامضاً يمر به الإنسان ويخطفه من بين أحبابه وأصحابه من دون أن يتضح الكثير من المعلومات عنه، وعما يحدث في الجسم عند الموت.

وتعد تجارب الاقتراب من الموت ظاهرة شائعة، حيث يزعم الناجون غالبا أنهم رأوا ضوءا ساطعا في نهاية نفق، أو رأوا أحباءهم الذين ماتوا قبل سنوات.

وبينما يشير البعض إلى ذلك كدليل على الحياة الآخرة، يعتقد العلماء أنها في الواقع تجربة طبيعية للغاية.

وحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي إكسبريس» البريطانية، فقد تمكن العلماء في أحدث خطوة نحو تحليل ظاهرة الموت، وتمكنوا من إظهار أنه «في اللحظات الأخيرة من حياتنا، يُحفّز نشاط الدماغ، ومعه يتفاقم الوعي – ما يعني أننا قد نكون في الواقع أكثر وعيا بمحيطنا عندما نموت، مما نحن عليه خلال الحياة».

وأحدث باحثون من جامعة ميتشيغان الأمريكية سكتة قلبية لدى الفئران أثناء مراقبة نشاط الدماغ في الوقت نفسه. وأذهلوا عندما اكتشفوا أن نشاط الدماغ ارتفع في آخر 30 ثانية من حياتها.

وقال جيمو بورجيغين، وهو أستاذ مشارك في علم وظائف الأعضاء الجيزيئي والتكاملي وفي علم الأعصاب: «هذه الدراسة، التي أجريت على الحيوانات، هي أول دراسة تتناول ما يحدث للحالة العصبية الفسيولوجية للدماغ المحتضر. استنتجنا أنه إذا كانت تجربة الاقتراب من الموت ناتجة عن نشاط الدماغ، فيجب تحديد الارتباطات العصبية للوعي في البشر أو الحيوانات حتى بعد توقف تدفق الدم في المخ».

وما يعنيه هذا هو أن تجارب الاقتراب من الموت يمكن أن تُعزى إلى هذه الزيادة في نشاط الدماغ.

وبشكل أساسي، إذا كان الدماغ أكثر نشاطا، فقد يكون لدى المرء رؤى حية، ما يدفعهم إلى الاعتقاد بأنهم رأوا الحياة الآخرة.

وأضاف الدكتور بورجيغين: «إن التنبؤ بأننا سنجد بعض علامات النشاط الواعي في الدماغ أثناء السكتة القلبية تأكّد من خلال البيانات».

وتابع الدكتور جورج مشور، الأستاذ المساعد في التخدير وجراحة الأعصاب: «لكننا فوجئنا بمستويات النشاط العالية. في الواقع، عند الاقتراب من الموت، تجاوزت العديد من الإشارات الكهربائية المعروفة للوعي المستويات الموجودة في حال اليقظة، ما يشير إلى أن الدماغ قادر على تنظيم نشاط كهربائي جيد خلال المرحلة المبكرة من الموت السريري».

وخلص بورجيغين إلى أن: «هذه الدراسة تخبرنا أن تقليل الأكسجين أو كل من الأكسجين والغلوكوز أثناء السكتة القلبية، يمكن أن يحفز نشاط الدماغ الذي هو سمة من سمات المعالجة الواعية. كما أنه يوفر أول إطار علمي لتجارب الاقتراب من الموت التي أبلغ عنها العديد من الناجين من السكتة القلبية».

اختراق طبي: غضروف اصطناعي بدون جراحة وبوقت قياسي

لندن ـ «القدس العربي»:

أنتج فريق من الباحثين الأمريكيين غضروفا اصطناعيا من خلال الجمع بين المجالات المغناطيسية والهيدروجيل باستخدام طريقة غير جراحية يمكن أن تؤدي إلى ثورة جديدة في عالم الطب والعلاج والأطراف الصناعية.

وتوصل علماء من كلية بيرلمان للطب في جامعة بنسلفانيا الأمريكية إلى طريقة جديدة ممكنة لإعادة بناء أنسجة الجسم المعقدة التي يمكن أن تقلل إلى حد كبير أوقات الشفاء من الإصابات الشائعة، بما في ذلك تنكس الغضاريف في المفاصل الحرجة في جميع أنحاء الجسم.

وحسب تقرير نشرته شبكة «روسيا اليوم» فبدلا من المواد الاصطناعية أو البيولوجية التي يشيع استخدامها لهذه الأنواع من الإصابات تمكن فريق بقيادة روبرت ماك، مدير مختبر ماكاي وأستاذ جراحة العظام والهندسة الحيوية، من استخدام مزيج من سائل مغناطيسي ومحلول هيدروجيل ثلاثي الأبعاد ما قد يتوافق مع الفروق الدقيقة للإصابة داخل الجسم.

وبهذه الطريقة، يمكن إعادة ترتيب الخلايا والأشياء الأخرى المشاركة، في علاج إصابة معينة حسب الحاجة لمحاكاة الأنسجة، التي تحدث بشكل طبيعي باستخدام عملية غير جراحية وغير مدمرة.

وحسب التقرير فقد تجنب الباحثون إضافة جسيمات مغناطيسية إلى الخلايا التالفة نفسها، مشيرين إلى التأثيرات طويلة المدى غير المرغوب فيها، ولكن بدلا من ذلك اختاروا نهجا غير جائر «يمغنط» البيئة المحيطة بالخلايا.

ومع هذه الأنواع من الإصابات، التي يشار إليها غالبا باسم «تلف الأنسجة الرخوة»، في كثير من الأحيان لا يكون الضرر كارثيا ويقتصر على منطقة واحدة أو منطقتين، ما يؤدي عادة إلى تكوين ثقب في الغشاء.

وتعمل الإصلاحات الشائعة لتكسير الأنسجة مثل الغضاريف بالطريقة نفسها، التي تعمل بها إصلاحات الطرق أو المنزل، عن طريق ملء الثقوب ببعض المواد الاصطناعية. ومع ذلك، فإن هذه المواد عادة ما تتلاشى بمرور الوقت، لأنها غير عضوية، ويمكن أن تسبب آثارا جانبية غير مرغوب فيها.

علاوة على ذلك، كلما كان الهيكل الأولي أكثر تعقيدا، يصعب العثور على مادة بديلة مناسبة لسد الفجوة مع أداء الوظيفة نفسها. وعندما يتعلق الأمر بالغضروف على وجه الخصوص، فإنه يكون أكثر كثافة بالخلايا الموجودة على السطح، ويصبح أقل خلويا بالقرب من العظم الذي يتصل به، ما يعني أن أي بديل اصطناعي يحتاج إلى تصميم هندسي دقيق.

ويُسكب محلول هيدروجيل في المنطقة المتضررة قبل تعريضها للأشعة فوق البنفسجية، التي تثبت ذلك في مكانه. ثم ينتشر المحلول المغناطيسي ببطء خارج الجسم بمرور الوقت.

ونجح الفريق في إعادة تكوين الغضروف المفصلي، الذي يقع في المفاصل الحرجة في جسم الإنسان مثل الركبتين والمرفقين، وهو مصدر رئيسي للإصابات بين الرياضيين المتحركين.

وقال ماك: «من خلال تثبيت الخلايا وعوامل توصيل الأدوية الأخرى في مكانها عن طريق الزخرفة المغناطيسية، يمكننا بدء الأنسجة في المسار المناسب لإنتاج غرسات أفضل لإصلاح الغضاريف».

وفي الوقت الحالي، أجريت الدراسات في المختبر، ولكنها تمثل الخطوة الأخيرة نحو تقنيات الطب التجديدي الأكثر تقدما من دون الحاجة إلى عمليات جراحية متعددة ومكلفة وجائرة.

اقتصاد

ضعف النفط والدولار يهدد برامج التحفيز الاقتصادي العربية

إبراهيم نوار

شركة راس لفان للطاقة في قطر

مع نهاية الشهر الماضي انتهى أجل معظم برامج التحفيز الاقتصادي التي أعلنتها الدول العربية، لمواجهة تداعيات الإغلاق الوقائي بسبب انتشار وباء كورونا. تلك البرامج كان قد تم العمل بها منذ شهر اذار/مارس الماضي ولمدة ستة أشهر، باستثناءات محدودة، حيث اقتصر بعض الإجراءات على ثلاثة أشهر، بينما يمتد البعض الآخر إلى نهاية العام الحالي. ومع نهاية أجل هذه البرامج يقف صناع السياسة الاقتصادية في الدول العربية، وكذلك قيادات القطاع الخاص وجها لوجه أمام عدد من الحقائق الصعبة، أهمها عدم اكتمال برامج إنتاج لقاح للوقاية من وباء فيروس كورونا المستجد على المستوى العالمي، وضعف الدولار الذي ترتبط به معظم عملات الدول العربية، وكذلك ضعف أسعار النفط والغاز، وهما الثروة الرئيسية التي تتمتع بها الدول العربية الغنية التي تلعب دورا مهما كقاطرة للنمو في العالم العربي، من خلال التبادل في أسواق السلع، وفرص التشغيل للعمالة الماهرة وغير الماهرة، التي لا تجد لنفسها فرص عمل في بلدانها الأصلية، ومن خلال تدفقات رؤوس الأموال والإستثمارات. كذلك فإن هناك عوامل جيوسياسية تلعب دورا سلبيا في الوضع العام للمنطقة ككل بتأثير التوترات في سوريا ولبنان والعراق وليبيا واليمن والخليج ودول القرن الأفريقي.

وتطرح الأوضاع الاقتصادية والجيوسياسية الحالية تحديات ضخمة على عملية صنع السياسة الاقتصادية وجهود التنمية الهادفة إلى تحقيق الاستقرار في أسواق العمل، وانتظام عجلة التبادل في الأسواق، وتوفير احتياجات تمويل الإنفاق العام. وسوف نتناول فيما يلي نتائج برامج التحفيز الاقتصادي في الدول العربية حتى الآن، والفرص المتاحة للمحافظة على استقرار أسواق العمل والسلع والتمويل في الأجل القصير، خصوصا بعد أن تضاءلت احتمالات حدوث انتعاش اقتصادي عالمي سريع يأخذ بيد اقتصاد الدول المعتمدة على تصدير النفط والغاز والمواد الأولية بشكل عام. ونقول إن استمرار ضعف الدولار والنفط والإغلاق يهدد الاستقرار الاقتصادي للدول العربية، ويقلل فرص العمل المتاحة للشباب، ويزيد من حدة تأثير التباطؤ الاقتصادي، ويعزز استمرار الضغوط الانكماشية، مما سيترك آثارا سلبية على تحقيق الكثير من طموحات التنمية في دول عربية قائدة مثل رؤية 2030 في السعودية التي تترنح حاليا وتتراجع فرص تحقيقها طبقا للجدول الزمني الذي كان معلنا من قبل.

أولا: نتائج برامج التحفيز

بلغت قيمة برامج التحفيز المالي والاقتصادي للدول العربية حسب تقدير صندوق النقد العربي حوالي 232 مليار دولار. وتضمنت هذه البرامج آليات لتقديم مساعدات مباشرة للقطاعات الاقتصادية المختلفة للمحافظة على فرص التشغيل، ومنع حدوث بطالة على نطاق واسع، كما تضمنت تسهيلات ممتدة لمدة 6 أشهر للإعفاء من مستحقات أقساط القروض، ورسوم إدارية وضريبة وخدمية أو تأجيل سدادها. وشارك القطاع المالي في تقديم حوافز لضمان استمرار النمو ومنع وقوع أزمة سيولة، وذلك بإتاحة قدر إضافي من السيولة المالية بواسطة السلطات النقدية، وتخفيض أسعار الفائدة وتأجيل سداد الديون المستحقة على الأفراد والشركات. وتضمنت برامج التحفيز أيضا تقديم مساعدات للأسر الفقيرة لتمكينها من الإنفاق على الاحتياجات الأساسية، مثل دفع 500 جنيه شهريا للعمالة غير المنتظمة في مصر، الذي تم تمديده إلى نهاية العام الحالي. كما أسهمت المخصصات الإضافية لتعزيز قطاع الرعاية الصحية في زيادة الطلب العام والخاص.

وكان من نتائج برامج التحفيز تجنب حدوث ارتفاع صارخ في معدلات البطالة، خصوصا بين المواطنين في الدول الخليجية، والحد من احتمالات حدوث انهيار اقتصادي في بعض القطاعات، خصوصا الأكثر تضررا من الجائحة مثل السياحة والطيران والنقل والفنادق. ومع ذلك فإن الدول العربية على وجه الإجمال باستثناء مصر تعرضت لانكماش اقتصادي في النصف الأول من العام، من المرجح أن يستمر حتى نهاية العام الحالي حسب تقديرات صندوق النقد الدولي.

ويقدر الصندوق حسب آخر المراجعات أن دول الخليج العربية ستتعرض لانكماش اقتصادي بنسبة 7.6 في المئة حتى نهاية العام الحالي، مقابل تقدير بانكماش أقل حدة بنسبة 2.3 في المئة كان قد اصدره في نيسان/أبريل الماضي. وقد تم هذا التعديل طبقا لمؤشرات الأداء الفعلية خلال الربع الثاني من العام الحالي، وهي الفترة التي تعرضت فيها دول الخليج لضغوط خارجية وداخلية بسبب الهبوط الحاد في أسعار النفط، والغاز، وتراجع كميات التصدير، وتذبذب أسعار الدولار، والتأثير الحاد لإجراءات الإغلاق الاقتصادي الوقائي الكلي أو الجزئي. أما الدول العربية المستوردة للنفط فإنها تعاني أيضا، باستثناء مصر، من انكماش اقتصادي بنسبة 2 في المئة تقريبا، في حين سيحقق الاقتصاد المصري طبقا لتقديرات الصندوق نموا بنسبة 2 في المئة. ومن الملاحظ بشكل عام أن تمويل برامج التحفيز الاقتصادي والمالي تم من خلال إجراءات صارمة لتخفيض الإنفاق العام، وزيادة الضرائب والرسوم، وزيادة الاقتراض من الخارج. ففي السعودية على سبيل المثال تم تخفيض الإنفاق العام بنسبة 17 في المئة خلال الربع الأول من العام الحالي وبنسبة تزيد على 30 في المئة خلال الربع الثاني. وفي الوقت نفسه قررت الحكومة مضاعفة نسبة ضريبة القيمة المضافة بمقدار ثلاثة أمثالها إلى 15 في المئة اعتبارا من بداية الربع الثالث من العام مقابل 5 في المئة قبل ذلك، كما قررت كذلك وقف بدل غلاء المعيشة. كذلك فإن مشاريع البنية الأساسية الطموحة الواردة في رؤية 2030 السعودية تعرضت للتوقف أو تأجيل تنفيذها وذلك نتيجة اقتطاع ما يقرب من 100 مليار ريال سعودي من الموارد المخصصة للتمويل. وفي الدول العربية الأقل دخلا وفر صندوق النقد الدولي برامج تمويل عاجلة بقيمة 8 مليارات دولار لمصر، و1.7 مليار للأردن، و745 مليون لتونس و395 مليون للصومال، و260 مليون لموريتانيا و13 مليونا لجزر القمر.

ثانيا: تأثير ضعف سوق النفط

قطاع النفط والغاز هو أكبر القطاعات الاقتصادية في الدول العربية ككل؛ فهو يسهم بنسبة 27 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، وبنسبة 42 في المئة من الصادرات، وبنسبة تتجاوز 60 في المئة من موارد الميزانيات الحكومية. وترتفع أهمية هذا القطاع في بعض الدول العربية مثل ليبيا إلى ما يزيد عن 95 من الصادرات و 90 في المئة من الإيرادات العامة الحكومية. ولذلك فإن أي هزة في أسواق النفط والغاز تترك تأثيرا قويا. وقد تحملت الدول العربية المصدرة للنفط وحدها ما يزيد عن نصف تكلفة الإنهيار في سواق النفط والغاز العالمي في الربع الثاني من العام الحالي، بسبب نقص كميات التصدير والهبوط الحاد في الأسعار.

وعلى الرغم من تعافي سوق النفط اعتبارا من ايار/مايو 2020 إلا أن الأسعار ما تزال عند مستويات منخفضة تقل بنسبة 40 في المئة تقريبا عن مستواها في العام الماضي حسب تقديرات أوبك.

ويعاني الطلب على النفط في الوقت الحالي من ثلاثة عوامل سلبية في وقت واحد، الأول هو عدم اليقين بشأن قدرة الاقتصاد العالمي على التعافي، ومن ثم عودة الطلب إلى المستويات التي كان عليها قبل ظهور وانتشار وباء كورونا المستجد. العامل الثاني هو وفرة المخزونات المتاحة لدى الشركات والدول المستوردة، التي كانت قد عمدت إلى زيادتها لحدود قصوى خلال فترة انهيار الأسعار في أبريل الماضي. أما العامل الثالث فإنه يعود إلى اعتبارات بيئية تعكس الضغوط المتنامية للحد من تغيرات المناخ على مستوى العالم.

وطبقا لاتفاق أوبك والدول غير الأعضاء المصدرة للنفط، فإن تخفيض الإنتاج بكمية تبلغ 8 ملايين برميل يوميا من المتوقع أن يستمر حتى نهاية العام الحالي، إلا أن ذلك سيتوقف دائما على نتائج المراجعات الدورية لأوضاع السوق. وكانت أوبك والدول غير الأعضاء قد اتفقت على تخفيض الإنتاج حتى نيسان/أبريل 2022 بهدف المحافظة على توازن السوق والحد من احتمال هبوط الأسعار، أو زيادتها بنسبة كبيرة. وتضمن هذا الاتفاق الاستمرار في تخفيض الإنتاج بمقدار 6 ملايين برميل يوميا اعتبارا من أول العام المقبل وحتى نهاية الربع الأول من عام 2022. وهذا يعني أن برامج التحفيز الاقتصادي والمالي ستستمر تحت ضغوط قوية بسبب الأوضاع في سوق النفط، وكذلك بسبب ضعف الدولار.

ونتيجة لضعف أسواق النفط والدولار فإن بعض الدول العربية اضطرت إلى اتخاذ إجراءات لتقليل الواردات، نظرا لانخفاض موارد النقد الأجنبي، منها الجزائر على سبيل المثال التي قررت تخفيض الواردات بنسبة 25 في المئة.

ثالثا: خيارات السياسة الاقتصادية

مع تأخر إنتاج وإتاحة لقاحات للوقاية من فيروس كورونا المستجد؛ فقد تجددت احتمالات اللجوء إلى أشكال من الإغلاق الاقتصادي الكلي أو الجزئي. هذا في حد ذاته من شأنه أن يعطل التعافي الاقتصادي ويزيد الحاجة إلى تمويل برامج تحفيز جديدة لمواجهة تداعيات الإغلاق. ونظرا لأن أوضاع المالية العامة للدول العربية، بما فيها الدول النفطية، ليست في حالة جيدة، ولا تسمح لصانعي السياسة المالية بهامش ملائم للمناورة، فإن الأشهر المقبلة ستشهد على الأرجح لجوء الدول العربية إلى مواصلة برامج التحفيز الاقتصادي، ولكن مع تحميل المواطنين بأعباء أكبر، وكذلك تحميل الميزانيات الحكومية بالمزيد من الديون المباشرة، المحلية والخارجية، وأيضا إلى زيادة السحب من الاحتياطي النقدي لدى البنوك المركزية ومن الصناديق السيادية، كما ستميل السياسة الاقتصادية إلى خيارات صعبة على المستهلكين وذوي الدخل المحدود.

«نصرة للنبي» جمعيات تجارية عربية تعلن مقاطعة منتجات فرنسية

أعلنت جمعيات تجارية عربية، مقاطعة منتجات فرنسية وسحبها بشكل كامل من معارضها، ضمن حملة احتجاجية على استمرار الإساءة للدين الإسلامي وشخص الرسول محمد عليه الصلاة والسلام.

وخلال الساعات الماضية، انضمت عشرات الجمعيات إلى الحملة، وأعلنت المقاطعة وسحب المنتجات بشكل كامل، وذلك عبر منصاتها المختلفة في مواقع التواصل.

وتفاعل القائمون على حسابات تلك الجمعيات، عبر هاشتاغ (وسم): «#إلا_رسول_الله»، و«#مقاطعة_المنتجات_الفرنسية». وفي الكويت، قرر رئيس وأعضاء مجلس إدارة جمعية «النعيم التعاونية» مقاطعة كافة المنتجات الفرنسية «مع عدم عرضها أو بيعها، ورفعها تماما من كافة مواقع الجمعية، رافضين تماما كل ما يمس دين الإسلام ورسول الله».

واتخذت جمعية «ضاحية الظهر» نفس الخطوة، إذ قالت «بناء على موقف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ودعمه للرسومات المسيئة لنبينا الحبيب (ص) قررنا رفع جميع المنتجات الفرنسية من السوق والأفرع حتى إشعار آخر».

وانضم للحملة أيضا جمعيات «العقيلة» و«مدينة سعد العبد الله» ونشرت عبر منصاتها الإلكترونية صورا تظهر إزالة المنتجات من معارضها.

وفي قطر، أعلنت شركة «البان الوجبة» مقاطعة المنتجات الفرنسية، وتعهدت بتوفير أخرى مماثلة وبديلة، وفق ما ذكرت في تغريدة عبر حسابها في «تويتر».

وقالت: «من مبدأ الرفض والاستنكار لما يُنشر من إساءة لنبينا الكريم ودفاعًا عنه؛ فإننا نعلن انضمامنا لحملة مقاطعة المنتجات الفرنسية».

كما أعلنت شركة «الميرة للمواد الإستهلاكية» (شركة مساهمة قطرية) سحب جميع المنتجات من جميع فروعها حتى إشعار آخر، استجابة لرغبة العملاء.

وقالت الشركة في بيان نشرته على موقعها الرسمي: «العملاء الكرام، نشكر لكم غيرتكم الحميدة وتعليقاتكم. بدأنا على الفور بسحب المنتجات الفرنسية من جميع فروعنا وحتى إشعار آخر».

جامعة قطر هي الأخرى انضمت للحملة، إذ قررت إدارتها تأجيل فعالية الأسبوع الفرنسي الثقافي إلى أجل غير مسمى، وذلك «عطفًا على مستجدات الأحداث الأخيرة والمتعلقة بالإساءة المتعمدة للإسلام ورموزه». وأكدت عبر «تويتر» أن «أي مساس بالعقيدة والمقدسات والرموز الإسلامية هو أمر غير مقبول نهائيًا، فهذه الإساءات تضر القيم الإنسانية الجامعة والمبادئ الأخلاقية العليا التي تؤكد عليها كافة المجتمعات المعاصرة».

وشارك تطبيق «متجر سنونو» في الحملة، قائلا: «نعلن رسميا كشركة وطنية إيقاف جميع المنتجات الفرنسية من المتاجر المشاركة في تطبيقنا وحتى إشعار آخر، دفاعا عن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ص) ودينا الحنيف وعاداتنا وتقاليدنا».

وتشهد فرنسا مؤخرا، جدلا حول تصريحات قسم كبير من السياسيين، تستهدف الإسلام والمسلمين عقب حادثة قتل مدرس وقطع رأسه في 16 تشرين الأول/اكتوبر الجاري.

والأربعاء، قال ماكرون، في تصريحات صحافية، إن فرنسا لن تتخلى عن «الرسوم الكاريكاتورية» (المسيئة للرسول محمد والإسلام).

وخلال الأيام الأخيرة، زادت الضغوط وعمليات الدهم، التي تستهدف منظمات المجتمع المدني الإسلامية بفرنسا، على خلفية الحادث. وكانت مجلة «شارلي إيبدو» الفرنسية قد نشرت 12 رسما كاريكاتوريا مسيئا للنبي محمد عليه السلام، عام 2006 ما أطلق العنان لموجة غضب في أنحاء العالم الإسلامي. (الأناضول)

إثيوبيا: لا قوة تمنعنا من تحقيق أهدافنا بشأن سد النهضة

قال رئيس الوزراء الإثيوبي، آبي أحمد، السبت، إنه «لا توجد قوة» يمكنها أن تمنع بلاده من تحقيق أهدافها التي خططت لها بشأن سد النهضة.

جاء ذلك في بيان صدر عن مكتب رئيس الوزراء الإثيوبي، ردا على اتهام الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لأديس أبابا بانتهاك اتفاق بشأن السد.

وأكد آبي أحمد أن «النهضة سد إثيوبيا، والإثيوبيون سيكملون هذا العمل لا محالة، ولا توجد قوة يمكنها أن تمنعنا من تحقيق أهدافنا التي خططنا لها، لم يستعمرنا أحد من قبل، ولن يحكمنا أحد في المستقبل».

والجمعة، حذر ترامب خلال اتصال هاتفي أجراه مع رئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك، من خطورة الوضع المتعلق بأزمة «سد النهضة» لافتا إلى أن الأمر قد ينتهي بقيام المصريين بتفجير السد.

وقال مخاطبا حمدوك، حسب مقطع مصور للمكالمة، إن الإثيوبيين «توصلوا إلى اتفاق حول السد، لكنهم خرقوا الاتفاق ولا يمكنهم أن يفعلوا ذلك».

وإثر جولات من المفاوضات جرت في واشنطن، أعلنت الإدارة الأمريكية، في شباط/فبراير الماضي، التوصل إلى اتفاق حول آلية عمل سد النهضة.

وبينما وقعت القاهرة الاتفاق بالأحرف الأولى، قالت واشنطن إن أديس أبابا امتنعت عن حضور الجولة الأخيرة من المفاوضات التي كانت مخصصة لتوقيع الاتفاق.

فيما ردت إثيوبيا على لسان آبي أحمد باتهام الولايات المتحدة بالانحياز إلى صف مصر في الأزمة، وطرح اتفاق دون الحصول على موافقتها.

وتعثرت المفاوضات بين الدول الثلاث، على مدار السنوات الماضية، وسط اتهامات متبادلة بين القاهرة وأديس أبابا بالتعنت والرغبة بفرض حلول غير واقعية.

وتصر أديس أبابا على ملء السد حتى لو لم تتوصل إلى اتفاق مع القاهرة والخرطوم، فيما تصر الأخيرتان على ضرورة التوصل أولا إلى اتفاق ثلاثي بشأن السد الواقع على النيل الأزرق، أحد روافد نهر النيل.

وتتخوف القاهرة من تأثير سلبي محتمل للسد على تدفق حصتها السنوية من مياه نهر النيل البالغة 55.5 مليار متر مكعب، في حين يحصل السودان على 18.5 مليار.

فيما تقول أديس أبابا إنها لا تستهدف الإضرار بمصالح مصر، وإن الهدف من بناء السد هو توليد الكهرباء بالأساس. (الأناضول)

مدن وآثار

مدينة الأولياء والمفكرين والفنانين

أزمور المغربية تتكئ على نهر أم الربيع وتستنشق عبق التاريخ

الرباط ـ «القدس العربي»: الطاهر الطويل

في مدينة أزمور المغربية لا تكاد تخطو بضع خطوات حتى تجد ضريحا لولي من أولياء الله الصالحين. قد يكون في هذا القول المتداول بعض المبالغة، ولكنها يشير ـ حقيقة ـ إلى كثرة الأولياء الذين أنجبتهم تلك المدينة أو استقروا فيها ودفنوا في ثراها. كما أنه يحيل على الدلالة الدينية والروحية العميقة لأزمور، المدينة التي ظلت، وما زالت، محتفظة بخصائصها العربية الإسلامية على مر القرون، رغم كل عمليات الاحتكاك بالعنصر الأجنبي.

لن يحتاج المرء إلى دليل للوصول إلى أزمور، فهو إذا خرج من مدينة الدار البيضاء في اتجاه الجنوب وسار ثمانين كيلومترا بالسيارة على الطريق الساحلية تترآى له المدينة بأسوارها ومآذنها وعمرانها، وهي تتكئ على نهر أم الربيع (طوله 600 كلم) من جهة، وتطل على المحيط الأطلسي من جهة أخرى. وهي جارة لمدينة الجديدة التي تبعد عنها حوالي 14 كيلومترا.

محطات تاريخية

تشتهر أزمور بطابعها المعماري المميز وشوارعها الضيقة ومنازلها القديمة وحكاياتها الأسطورية القديمة. ولذلك، فهي وجهة مفضلة للسياح الراغبين في التعرف على تاريخها وماضيها المجيد وخصوصيتها الاجتماعية والحضارية.

إنها مدينة ضاربة في عمق التاريخ، إلى حد أنه ليس هناك اجماع من قبل الباحثين والمؤرخين على تاريخ بنائها، فمنهم من يرجعه إلى فترة الفينيقيين او الرومان، ومنهم من يرجعه إلى البربر سكان المغرب الاوائل أبناء مازيغ الذين أتوا إلى البلاد من اليمن عن طريق الحبشة ومصر، مثلما يروي التاريخ الرسمي، ولو أن هذه الرواية محط تشكيك من طرف بعض الباحثين الأمازيغيين. كما أن ثمة اختلافا حول أصل اسم المدينة، وإن كان الكثيرون يرجحون اشتقاقه من كلمة آزما الأمازيغية التي تعني أزمور هو «أزمران» خصوصا عند القبائليين في الجزائر.

أزمور من أسمائها أيضًا تاديوغت أو تاديغت، ويقول لاووست أن اسمها يتركب من العبارات التالية: «تاديوغ ايت» ومعناها (قد أخذها) أو (قد اشتراها). وهذا التركيب نادر في اللغة الأمازيغية، ويقول إن هذا الاسم تحول فيما بعد إلى كلمة تازمورت ثم أزامورم ثم عرفت في مرحلة حكم الأدارسة بالاسم أزكور، واسمها يدل على شجرة الزيتون الذكر الذي يرمز إلى الأمن والسلام.

وذكر الباحث بوشعيب الحسيني أن بعض الروايات يشير إلى كون أزمور عرفت الزلزال سبع مرات وأعيد بناؤها في مناطق متعددة وإن كانت متجاورة، إذ كانت أزمور الأولى في منطقة تسمى الآن سيدي عيسى بعيدة عن الساحل، ومع تزايد شعور الأزموريين بالطمأنينة كانوا يقتربون من شاطئ البحر، إلى أن استقروا بـ«القصبة» المعروفة حاليا. والقصبة (القلعة) تعني في قاموس المدن المغربية العتيقة حيّ يقطنه سكان المدينة الأصليين، ويحيط به عادة سور ضخم فيه أبواب كانت تُغلق مع غروب الشمس، وفي زوايا السور توجد أبراج كانت تستعمل لحراسة المدينة.

ومما يدل على عراقة المدينة أنها كانت مر كز تجارة رومانية، وهناك بقايا آثار رومانية تشير إلى تلك المرحلة (برج، كهوف...) لكن هذه الآثار ما زالت بحاجة إلى الدراسة من قبل العلماء المختصين بالحفريات لاستجلاء أسرارها.

مع مجيء الفاتحين المسلمين بقيادة موسى بن نصير، اعتنق سكان أزمور الدين الحنيف، وصاروا من بين المدافعين عنه والحريصين على ترسيخ قيمه وأصوله وعلومه من خلال بناء المساجد والمؤسسات الدينية التي تم تزويدها بعدد من الفقهاء والعلماء.

وتفيد بعض الدراسات التاريخية أن سلوك بعض الولاة الأمويين في ما بعد لم يلبث أن جعل المدينة تنطوي على نفسها وتتأسس بها إمارة خارجية من الخوارج، مستقلة عن الخلافة الإسلامية في المشرق سنة 125 هجرية، يتزعمها البرغواطيون، لكن السكان قاوموهم مفندين ادعاءاتهم.

في عهد الدولة المرابطية، شهدت المدينة نشاطا دينيا مكثفا على يد كثير من المتصوفة أشهرهم مولاي بوشعيب، وفي سنة 477 هجرية، بعد الزيارة التي قام بها الملك المرابطي يوسف بن تاشفين لأزمور، انطلقت من ميناائها 30 سفينة في اتجاه الأندلس للمشاركة في معركة الزلاقة ضد الإسبان.

وفي سنة 538 هجرية خرب أتباع الملك المرابطي تاشفين بن علي المدينة ونقلوا ما تبقى من صناعتها إلى مدينة سلام. كما أنها خضعت ما بين 541 و754 هـ لسيطرة حكم الموحدين ثم المرينيين. وقد شيد الملك المريني أبو عنان ثلاثة مساجد وأرسل أفواجا من الفقهاء والعلماء إلى مدينة أزمور، كما قام بتحصينها.

ومن 889 هـ إلى 914 هـ تعرضت المدينة، في عهد الدولة الوطاسية، إلى محاولات البرتغاليين المتكررة للاستيلاء عليها، بدءا من فرض الحماية مقابل تقديم 10 آلاف سمكة من الشابل المجفف ضريبة سنوية للملك البرتغالي يوحنا جان الثاني، وإعفاء التجار البرتغاليين من أداء الضرائب، مرورا بالهجوم المسلح بواسطة السفن الحربية والمدافع والجنود الفرسان والمشاة. لكن ذلك فشل أمام مقاومة الأزموريين الذين استعملوا المقاليع والنبال والمتاريس، ثم تكررت محاصرة المدينة بحملة تتكون من 500 قطعة بحرية حملت

2000 فارس و13 ألفا من المشاة معززين بالمدفعية، مما أدى إلى سقوط أزمور تحت الاحتلال البرتغالي سنة 919 هـ / 1513م، لكنها تخلصت منه بعد 28 سنة بفعل مقاومة عنيفة من طرف الأزموريين والسعديين، ودخلت المدينة تحت حكم الدولة السعدية.

وفي 1769م حرر السلطان العلوي (نسبة إلى الدولة العلوية) محمد بن عبد الله مدينة الجديدة من الاحتلال البرتغالي انطلاقا من جارتها أزمور التي ساهمت في الحملة بعدد كبير من المجاهدين وكمية مهمة من الاسلحة.

وخلال سنة 1907م سقطت أزمور تحت الاحتلال الفرنسي، فاشتعل فتيل المقاومة فيها على غرار باقي المدن المغربية وخصوصا بعد إقدام سلطات الاستعمار على نفي المغفور له محمد الخامس في 20 آب (اغسطس) 1953م حيث احتاجت المدينة موجة من الاحتجاجات توجت بعودة السلطان من منفاه وحصول المغرب على استقلاله عام 1956م.

ومن بين الأشياء التي تذكر السكان بمرحلة الاستعمار البغيض أحد الأبراج التاريخية التي ترجع إلى عهد الوجود البرتغالي، وهو برج كانت تستعمل القوات الفرنسية دهاليزه سجنا تعتقل فيه الوطنيين المغاربة. كما أنه كان من قبل مقرا للإدارة

العسكرية البرتغالية (1513 ـ 1541م). وخلال الستينيات من القرن العشرين، استعمله المسرحيون المغاربة الهواة من أبناء المدينة كواليس لعروضهم المسرحية.

أجواء روحانية

إلى جانب الصورة التاريخية المفعمة بالمواقف البطولية والنضالية، تشتهر أزمور أيضا بصورتها الدينية الطافحة بكل معاني الجلال والنبل والخشوع، فالمدينة مميزة بكثرة المساجد والزوايا والأضرحة. ومن بين مساجدها: الجامع الكبير، جامع القصبة، جامع الزاوية التجانية، جامع الزيتونة، جامع الزاوية البدوية، جامع سي اخديم، جامع الحفرة، مسجد مولاي بوشعيب، مسجد ابو النصر.

كما يوضح عدد الزوايا في مدينة أزمور أهمية الحركة الدينية في هذه المدينة التاريخية، ومعظمها يوجد في المدينة القديمة. ويصل عدد الزوايا الدينية في المدينة إلى 14 زاوية تهتم بتعليم القرآن وإقامة الشعائر الإسلامية، من أبرزها: الزاوية التجانية، الزاوية الشاذلية، الزاوية الدرقاوية، الزاوية الغازية، الزاوية العيساوية، الزاوية الحمدوشية، الزاوية البدوية، الزاوية المختارية.

أما أبرز الأضرحة فهو ضريح مولاي بوشعيب، وهو أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي، تقول المراجع إنه ولد حوالي سنة 463 هـ بقرية في نواحي مدينة أسفي، وإنه ارتحل في طلب العلم بأغمات وفاس وأزمور، ويقال أيضا إنه ارتحل إلى الأندلس حيث اتصل بالقاضي عياض، ومن أشياخه، في التصوف والعلم عبد الله بن واكريس الدكالي المعروف بسيدي بنور وأبو علي بن إبراهيم المساطاسي المعروف باسم سيدي علي بن غيث. واستقر مولاي بوشعيب في أزمور التي صارت قبلة للعلم والعلماء من مختلف أنحاء البلاد، ولقب بالسارية لكونه كان ينتصب كالسارية عندما يقوم للصلاة.

وتشير إحدى الحكايات إلى كون الولي مولاي عبد القادر الجيلاني كان يرى من بغداد سارية النور في أزمور، فيقول ذلك النور لمولاي بوشعيب الذي يقيم الليل.

ومن بين الأضرحة كذلك ضريح للاعائشة البحرية. وقد قيل إن هذه الولية ماتت من دون أن تتزوج، وكانت تريد الزواج بمولاي بوشعيب، ولكنه لم يتم، علما بأنهما لم يلتقيا قط.

وهناك أيضا أضرحة الأولياء: سيدي أبو النصر، سيدي يحيى، سيدي محمد بن عبد الله، سيدي غانم، سيدي أحمد جبيلو، سيدي أبو علي منصور المسطاسي المعروف بسيدي علي بن غيث، سيدي علي واعلامو، سيدي عبد الودود، سيدى المخفي، سيدي المكي الشرقاوي، سيدي الجبالي المنياري، للارقية الجيلالية.

وتجسيدا لمعاني التعايش والتسامح الديني سمح المغاربة المسلمون لليهود الذين كانوا يسكنون بحي خاص بهم في المدينة يسمى الملاح، بممارسة شعائرهم الدينية، إلى حد أنه يوجد في أزمور ضريحان الأول للحاخام أبراهام مولنيس، والثاني للحاخام أبراهام بن نتان.

لقد ولّدت أزمور، من خلال إختلاطها السكاني، تسامحًا دينيًا جميلًا، حتى أصبحت مركزًا روحيًا رئيسيًا. وقد ميزت هذه السمة المجتمع المحلي، وصُقلت مع مرور الوقت، وانتقلت إلى الأجيال والأحفاد، تجسيدا لقيم التسامح والتعايش ومساعدة الآخرين، بغض النظر عن الاختلافات الدينية.

ومن ثم، اعتبرت هذه المدينة قدوة في التعايش والتفاهم والانسجام. ولا ريب في ذلك، فهذه هي روح المغرب متعدد الأعراق والمتسامح، كما يتضح من مختلف الزوايا والمساجد والمسلمين واليهود.

وانطلاقا من نقاط مختلفة من العالم، تقوم العديد من العائلات اليهودية برحلة إلى أزمور كل عام تقريبا، للغوص في متاهات هذه المدينة التي يبلغ عمرها ألف عام، ورؤية «الملاح» (الحي اليهودي) مرة أخرى وللاحتفال في ضريح الحاخام أبراهام مول نيس. وهكذا صاغت أزمور صورة فضاء اختلطت فيه الثقافات والمعتقدات واللغات والتقاليد بكل حرية، وبدون أي تحيز أو شعور بالكراهية.

تراث متنوع

اشتهرت أزمور بعدد من فنون الصناعة التقليدية والمهارات اليدوية كالتطريز (تطريز الملابس والأثواب وتوشيتها) والغزل والخياطة وصناعة الزرابي والجلابيب... علاوة على طبخ سمك الشابل، لكن هذا السمك صار في حكم الماضي، بسبب بناء السدود وزحف الرمال على نهر أم الربيع وتلوث مياهه بماء مجاري الصرف الصحي. مما يطرح مسؤولية المحافظة على البيئة والاهتمام بنظافة المنطقة لاستعادة ثرواتها الطبيعية.

على مستوى التراث الثقافي، عرفت المدينة بشعر الملحون، وهو شعر عامي مغنى، من أبرز شعرائه: الشيخ أحمد بن رقية، الشيخ الحاج بن مسعود الحجام، الشيخ المكي بن الجيلالي.

ومما يذكر أن أزمور أنجبت مجموعة من المبدعين والمفكرين المعاصرين، من بينهم المفكر عبد الله العروي والاديب ادريس الشرايبي، والفنانون التشكيليون: هبولي، الأزهر، رحول، الديباجي وغيرهم.

ونظرا لثراء تراث أزمور الحضاري وتنوع خصوصياتها المحلية، فإن المدينة في حاجة إلى عملية إنقاذ وإعادة اعتبار شاملة، سواء على مستوى أسوارها التاريخية وبناياتها العتيقة، أو على مستوى صناعاتها التقليدية وفنونها الأصيلة التي تتطلب عملية إحياء تعود بالنفع على السكان وعلى صورة مدينتهم في الداخل والخارج.

وفعلا، فقد شهد الحي البرتغالي (المدينة القديمة) في أزمور، منذ سنتين، إعادة ترميم شاملة، شملت الأسوار والمداخل والقناطر المعلقة، عقب ما أصابها من حالة تردّ بسبب عوامل التعرية البشرية والطبيعية، إذ تم العثور على سبعة مدافع تحت الأنقاض.

وأفادت صحيفة «الصباح» أن «مركز دراسات وأبحاث التراث المغربي البرتغالي» أشرف على عملية إعادة الاعتبار لهذه المدينة، بتنسيق مع المجلس البلدي لأزمور. واستغرقت حفريات وأشغال ترميم أسوار المدينة العتيقة (القلعة البرتغالية) عدة شهور، بطريقة حافظت نسبيا على النسق العمراني وطريقة البناء القديم.

ونقلت الصحيفة المذكورة عن الباحث أبو القاسم الشبري، مدير مركز دراسات وأبحاث التراث المغربي البرتغالي، قوله إن الحفريات التي أجريت في أماكن مختلفة أزاحت النقاب عن بعض الحقائق منها، أنه إلى عهد قريب كان عدد هذه المدافع، لا يتعدى عشرين مدفعا، 12 منها موزعة على الأبراج والأسوار وبداخل «القبطانية» البرتغالية، بينما ما لا يعرفه المواطنون، هو وجود 8 منها وإلى الآن بحظيرة المجلس البلدي لأزمور ومدفع واحد داخل ثكنة الدفاع المدني. وقد كشف «مركز دراسات وأبحاث التراث المغربي البرتغالي» في 2014 عن مدفع مطمور في ثنايا سطح البرج المستطيل لباب «الدرب الفوقاني» إبّان أشغال التهيئة، التي باشرها فيه المركز نفسه، وهو موجود الآن بأرضية البرج ذاته.

رياضة

صفعة عمال المناجم ورسائل رعب مبكرة في افتتاح دوري أبطال أوروبا!

لاعبو يونايتد يحتفلون بالفوز في باريس

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

كما كان متوقعا، حملت الجولة الافتتاحية لدور مجموعات أبطال أوروبا، بعض المفاجآت المدوية، بدأت في اليوم الأول، بتكرار سيناريو 2019، بتفوق مانشستر يونايتد على باريس سان جيرمان في عقر داره «حديقة الأمراء»، بهدفين مقابل هدف، رغم أنه لم يكن الطرف الأوفر حظا للفوز بالمباراة، بنفس الطريقة، التي أقصى بها العملاق الباريسي من البطولة، بالفوز عليه في إياب ثمن النهائي بثلاثية مقابل هدف في النسخة قبل الأخيرة.

كلمة السر

أثبتت المدرب النرويجي أولي غونار سولشاير، أنه من القلائل الذين يملكون شفرة ملعب «حديقة الأمراء»، فكما كان بالأمس غير البعيد، على شفا حفرة الإقالة، لولا انتصاره على العملاق الباريسي، الذي منحه عقد البقاء في «أولد ترافورد» حتى هذه اللحظة، عاد مرة أخرى، ليؤمن طوق نجاته من مقصلة الطرد، بفوز مقنع على نظيره الألماني توماس توخيل، في ظل سلسلة من الغيابات، الكفيلة بإغراق أي فريق كرة قدم في العالم، متمثلة في ثنائي محور الارتكاز هاري ماغواير وإيريك بايلي، بالإضافة إلى الوافد الجديد إدينسون كافاني والشاب البافع مايسون غرينوود بداعي الانتكاسة، لكن يُحسب للمدرب النرويجي تعامله الاستثنائي مع هذه الغيابات، أولا باختيار الإستراتيجية المناسبة للعناصر المتاحة، باللعب برسم 3–4–1–2، معتمدا على فيكتور ليندلوف وأكسيل توانزيبي وبجانبهما الظهير الأيسر لوك شو، كمدافع ثالث، وأمامهم ثنائي ارتكاز بنزعة دفاعية فريد وسكوت مكتومني، لغلق كل المنافذ أمام نيمار ومبابي من العمق، وأيضا لإعطاء القائد البرتغالي برونو فيرنانديز الحرية اللازمة لنثر إبداعه في الثلث الأخير من الملعب، وعلى الأطراف آرون وان بيساكا في اليمين والرائع أليكس تيليس في اليسار، وفي الهجوم الثنائي ماركوس راشفورد وأنتوني مارسيال، وكان تشكيلا مفاجئا للجميع، خاصة وأن أولي أبقى بول بوغبا على مقاعد البدلاء، بينما الألماني توماس توخيل، فيمكن القول، إنه فعل العكس تماما، أولا باختيار غير موفق للتشكيلة الأساسية، دعك من القرار الغريب بإجلاس ماركينيوس على المقاعد، رغم أنه على الورق أضحى المدافع الأول بعد رحيل القائد تياغو سيلفا، فربما يكون مصابا أو غير ذلك، لكنه بالغ في تحفظه، معتمدا على ثلاثي دفاعي بحت في الوسط إدريس غايي ودانيلو بيريرا وأنديرا هيريرا، وهو ما جعل «إلبي إس جي» يبدو في أغلب فترات الشوط الأول في موقف الفريق المدافع، أو الذي يلعب خارج قواعده ويبحث عن نقطة، وليس ذاك الفريق الذي كان قبل شهرين قاب قوسين أو أدنى من تحقيق اللقب الأول في تاريخه، لولا رأسية ابن أكاديميته كينغسلي كومان في نهائي ملعب «النور». حاول توخيل تدارك أخطاءه وسوء اختياراته لبدائل الأساسيين في مقدمتهم القصير الإيطالي ماركو فيراتي وشريكه في الوسط لياندرو باريديس إلى جانب المدافعين تيلو كيرير وخوان بيرنات ورأس الحربة الأرجنتيني ايكاردي، بالدفع بالصفقة الجديدة مويس كين على حساب إدريسا غايي، على أمل أن يعيد الحيوية والنشاط للثلث الأخير من الملعب، بعد وضع الثلاثي نيمار ومبابي وأنخيل دي ماريا في المصيدة على مدار أول 45 دقيقة، وإلا لما اضطر الفريق الباريسي للاعتماد على الكرات العرضية واللعب من على الأطراف. ومن يشاهد بطل فرنسا في آخر 3 سنوات، يعرف ويفهم جيدا، أنها ليست طريقته المفضلة لتحطيم خصومه، بل يعتمد على المنظومة الجماعية بين الوسط والهجوم، لخلق المساحات اللازمة أمام نيمار ومبابي، لتظهر الفوارق الفردية بينهما وبين المدافعين، وهذا الأمر لم نشاهده كثيرا في قمة الثلاثاء، بل بدون مبالغة، بدا الفريق الباريسي وكأنه يلعب بدون هجوم، بتواجد مبابي ونيمار في أغلب الأوقات على مسافة بعيدة من صندوق العمليات، لهذا، ربما لو امتدت المباراة لساعة أخرى، ما كان سان جيرمان سيسجل إلا بالنيران الصديقة، كما فعلها المنحوس أنتوني مارسيال، بتحويل الركلة الركنية التي أرسلها نيمار من الجهة اليسرى، برأسية في مرمى دي خيا، وهي الهفوة، التي جعلت سولشاير يطمع أكثر في المباراة، بسحب تيليس وإشراك بوغبا، ليقلب الطاولة على توخيل، ببسط سيطرته على كل متر في منتصف الملعب، إلى أن فعلها ماركوس راشفورد، بتسجيل هدف النصر المظفر قبل إطلاق الصافرة بثلاث دقائق، كأفضل هدية ودفعة معنوية للمدرب وباقي أفراد الفريق، لتصحيح المسار، بعد البداية المحبطة على المستوى المحلي، فيما وضعت هذه المباراة علامات استفهام بالجملة ورسائل مزعجة لتوخيل، بظهور الفوارق الكبيرة بين الأسماء التي رحلت عن النادي هذا الصيف، أمثال تياغو سيلفا وإدينسون كافاني وتوماس مونييه وتشوبو موتينغ، بجانب معاناته في الاختيارات كلما واجه مشاكل مع غياب الأساسيين، والعكس بالنسبة لسولشاير، الذي كان في أمس الحاجة لمثل هذا الفوز والأداء المقنع، بعد تخطي نيوكاسل في بداية أسبوع الانفراجة، أو ما يعتبرها جزء كبير من عشاق النادي بداية ثورة الغضب، التي ستظهر نتائجها مع عودة المصابين واكتمال الصفوف والأسلحة الفتاكة، خاصة كافاني، الذي سيكون الرابح الأكبر من عرضيات تيليس المذهلة.

صفعة عمال المناجم

واحدة من أكثر الرسائل المخيفة، التي استنتجها جمهور كرة القدم بوجه عام وعشاق ريال مدريد على وجه الخصوص، ما حدث مع زين الدين زيدان وفريقه أمام ضيفه الأوكراني شاختار دونيتسك، صحيح أشرنا الأسبوع الماضي إلى إمكانية حدوث مفاجأة في «الفريدو دي ستيفانو»، لكن ما فاق توقع أكثر المتفائلين من عشاق النادي الملقب بعمال المناجم، أن ينتهي الشوط الأول بنتيجة لن تمحى من الذاكرة لعقود قادمة، بثلاثية دون رد على النادي الميرينغي، والكارثة، أن هذه الاستجابة الخجولة، جاءت بعد ثلاثة أيام من السقوط المفاجئ أمام قادش على نفس الملعب بهدف نظيف، وكما شاهدنا طيلة الـ45 دقيقة الأولى، وقع الدفاع المدريدي في أخطاء، أقل ما يقال عنها «ساذجة»، تحت رعاية سانتا كلوز مدريد رافاييل فاران، بتكرار نفس الكوارث، التي تسببت في خروج الفريق من دور الـ16 أمام مانشستر سيتي في النسخة الأخيرة، ولو أنها أمام شاختار، بالغ في كرمه، بهز شباك المسكين تيبو كورتوا بالنيران الصديقة في لقطة الهدف الثاني، وكان مشغولا بالقيام بأدواره الجديدة، كلاعب أقرب من يكون لليبرو بالقرب من المخيب فيدريكو فالفيردي وغير الموفق منذ بداية الموسم كاسيميرو، وكأنه ليس قلب الدفاع المطلوب منه تأمين الدفاع ومنع المهاجمين من الوصول إلى المرمى بسهولة، الشاهد، أن فاران يتحمل جزءا من مسؤولية الهزيمة، أما الجزء الأكبر فيقع على عاتق زين الدين زيدان، الذي أظهر ما يمكن وصفه «عدم احترام» للمنافسين، لا سيما بعد حصوله على المعلومات التي تُفيد بوصول شاختار إلى مدريد بدون ما يقرب من نصف تشكيلته الأساسية، بداعي الإصابة أو العلاج من كورونا، ووضح ذلك من خلال التشكيلة التي بدأ بها المباراة، تاركا كريم بنزيما ولوكا مودريتش وفينيسيوس جونيور على المقاعد، في مباراة لا يشارك فيها القائد سيرخيو راموس بداعي الإصابة، تقريبا ذهب إلى «الفريدو دي ستيفانو» وعقله في كلاسيكو السبت، فكانت النتيجة، استقبال ثلاثة أهداف في 45 دقيقة، للمرة الأولى منذ فعلها بايرن ميونيخ في قلعة «سانتياغو بيرنابيو» مطلع الألفية الجديدة، ولولا براعة تيبو كورتوا، وتألقه في أكثر من انفراد صريح، لانتهى الشوط الأول بفضيحة من العيار الثقيل.

واللافت بحق، أن أداء بطل الليغا لم يتحسن كثيرا، حتى بعد محاضرة زيزو العنيفة بين الشوطين، صحيح الفريق تمكن من تسجيل هدفين، لكن لا ننسى أن الأول جاء بلمحة إبداعية من أفضل لاعب في العالم العام قبل الماضي لوكا موريتش، بعد فاصل من المراوغة في العمق، انتهى بتسديدة قال عنها المعلق رؤوف خليف «من زمن العمالقة»، بينما الثاني، فجاء من الطريقة المفضلة لزيدان وفريقه، بافتكاك الكرة من الخصم في منتصف ملعبه، ومن ثم ضربة بالتحول السريع والزيادة العددية في الهجمات المعاكسة، وهذا ما فعله فينيسيوس، بعد 15 ثانية من مشاركته، ومن شاهد المباراة، لاحظ أن أخطاء فاران وميليتاو الدفاعية تكررت أكثر من مرة، وكادت تسفر عن هدفين على أقل تقدير، لولا رعونة صاحب الهدف الثالث مانور سولومون وغياب التوفيق عن المبدع تيتي. بوجه عام، كانت نتيجة عادلة، رغم تدخل حكم الفيديو لإلغاء هدف ريال مدريد الثالث، لأن فريق زيدان لم يكن يستحق الخروج بنقطة، وأيضا كأفضل مكافأة للفريق الأوكراني، الذي تحول مع أهم رجل في شرق أوروبا رينات آخميتوف إلى قلعة يُشار لها بالبنان في القارة العجوز، حتى في ظل الصعوبات التي يواجهها الفريق، بنقل مبارياته من دونباس إلى العاصمة كييف، لتفادي ويلات الحرب الباردة بين الدولة والانفصاليين المدعومين من الخارج، المستمرة منذ ست سنوات، على مسافة قريبة من التحفة المعمارية «دونباس آرينا»، وأيضا تأكيدا أن صعوده في السنوات الأخيرة لم يأت من قبيل الصدفة، بعدما صدر للأندية الأوروبية أسماء من نوعية دوغلاس كوستا وويليان وفيرناندينيو، كجواهر التي تضم معهما سالزبورغ ولوكوموتيف موسكو، اللذين تعادلا بهدفين لمثلهما في سهرة مثيرة، وكان ثالث الليغا الموسم الماضي، هو الضحية الإسبانية الثالثة للعملاق البافاري في الشهور الثلاثة الأخيرة، بعد افتراس برشلونة بالثمانية ثم تخطي إشبيلية في الكأس السوبر الأوروبي، قبل أن ينضم إليهما فريق الهنود الحمر، في حضور المنحوس لويس سواريز، الذي كان شاهدا على مذبحة القرن، وفي مباراة ربما لو أعيدت 10 مرات، لن تنتهي إلا بفوز كتيبة هانزي فليك، بسبب الطريقة الدفاعية البحتة والمحفوظة التي يلعب بها دييغو سيميوني دوما، حتى أمام منافسه الأقل منه على مستوى الخبرة وجودة اللاعبين. لكن عنصر المفاجأة، كان في النتيجة العريضة، على عكس أغلب التوقعات، بأنها ستنتهي بهدف أو اثنين لا أكثر لمصلحة صاحب الأرض. وبدرجة أقل، تفاجأ أو إن جاز التعبير صُدم عشاق تشلسي من الطريقة التي لعب بها فرانك لامبارد أمام ضيفه الأندلسي إشبيلية، وكأنه كان يخشى تكرار سيناريو الموسم الماضي، ببدء المسابقة بهزيمة، كما سقط أمام الإسباني الآخر فالنسيا، ويمكن القول، إن هذه المباراة، لخصت التطور البطيء الذي يسير عليه البلوز مع لامبارد، رغم الإنفاق الهائل على مشروعه، بصرف ما يزيد على 250 مليون جنيه إسترليني، لتدعيمه بصفقات تصنف على أنها «سوبر»، وفي الأخير، سار على نهج جوزيه مورينيو، بإتباع طريقة ركن الحافلة، خوفا من الفريق الإسباني، الذي تحول إلى عقدة للأندية الإنكليزية.

بينما اللقاء الكلاسيكي الذي طال انتظاره منذ أكثر من خمسة عقود، الثاني المؤهل للأدوار الإقصائية بجانب «إلبي إس جي»، لكن مشكلته هذه المرة، أنه يملك قائمة بأسماء وجودة أقل من الموسم الماضي، بعد تحويل الفريق إلى سوبر ماركت في الميركاتو الصيفي، مع الاكتفاء بإعادة مارتن أوديغارد ولونين أوردريوزولا، فهل يدفع زيزو ثمن انصياعه للإدارة؟ أم سيجد الحل للخروج من هذه الورطة مع استمرار غياب إيدين هازارد حتى إشعار آخر وهبوط مستوى جُل اللاعبين.

كومان تألق للبايرن وسجل هدفين في مرمى أتلتيكو

ضحية البايرن وحافلة تشلسي

باقي المباريات الجماهيرية في افتتاح ليالي الأبطال، لم تشهد مفاجآت مدوية، الاستثناء كان اكتساح بايرن ميونيخ لأتلتيكو مدريد برباعية لا هوادة في المباراة التي جمعتهما على ملعب «أليانز آرينا»، لحساب المجموعة الأولى الذي جمع أياكس ببطل البريميرليغ ليفربول على ملعب «يوهان كرويف آرينا»، فكان واحدا من أفضل المباريات الفنية والتكتيكية، بظهور بطل الأراضي المنخفضة بنفس الصورة والشخصية المعروفة عنه، كفريق لا يهاب الكبار، حتى بعد رحيل حكيم زياش ودوني فان دي بيك وقبلهما فرينكي دي يونغ وماتياس دي ليخت. صحيح الريدز خطف النقاط الثلاث، لكنه ترك رسائل مرعبة لمشجعيه في أول اختبار حقيقي بدون قائد الدفاع فيرجيل فان دايك، باهتزاز وسوء تفاهم بين الثغرة جو غوميز والبرازيلي فابينيو، الذي اضطر للاعتماد عليه في مركز قلب الدفاع لتعويض الكاميروني جويل ماتيب لعدم اكتمال شفائه، ناهيك عن الضعف الواضح في خط الوسط وتباعده عن ثلاثي الهجوم محمد صلاح وساديو ماني وروبرتو فيرمينو، وهذا سبب ندرة الفرص التي أتيحت لكتيبة يورغن كلوب، ولعل من شاهد المباراة لاحظ حالة القلق والتوتر التي كان عليها المدرب الألماني، خاصة قبل أن يقع المدافع نيكولاس تاليافيكو في المحظور، بتسجيل هدف بالخطأ في مرمى ابن أكاديمية «لا ماسيا» أونانا، وبطبيعة الحال، مع استمرار دفاع أحمر الميرسيساید بهذه الطريقة، ستكون العواقب وخيمة، على الأقل سيجد صعوبة بالغة للسير على خطى آخر موسمين، بالحصول على بطولة كبرى في نهاية كل موسم، إلا إذا نجح كلوب في الخروج من الشهرين المقبلين بأقل الخسائر الممكنة، إلى أن يتعاقد مع بديل حقيقي للصخرة الهولندية مطلع العام الجديد. أما برشلونة، فلم يجد صعوبة في الاحتفال على ضيفه المجري فرينكفاروز بخماسية مقابل هدف، لتصحيح المسار بعد الهزيمة غير المتوقعة أمام خيتافي، فيما استمر يوفنتوس الغامض تحت قيادة بيرلو، بانتزاع ثلاث نقاط بشق الأنفس خارج القواعد أمام دينامو كييف الأوكراني، بفضل ثنائية الفارو مورتا، وفي غياب كريستيانو رونالدو. كذلك تفادى مانشستر سيتي حمى البداية التعيسة، بقلب تأخره أمام بورتو بهدف نظيف إلى انتصار بثلاثة أهداف لهدف، كما أظهر الحصان الأسود للنسخة الماضية أتالانتا نيته، لتكرار ما فعله من قبل، بفوزه العريض خارج ملعبه على مضيفه الدنماركي ميتيلاند برباعية نظيفة بأقل مجهود، فيما كان لغز الجولة بوروسيا دورتموند، الذي خيب آمال جماهيره بالسقوط أمام لاتسيو 1–3، في مباراة أظهرت طمع ممثل العاصمة الإيطالية في صدارة المجموعة السادسة التي تضم معهما كلوب بروج وزينت. انتظرونا في تحليل آخر لأبرز المواجهات المنتظرة في الجولة الثانية.

لاعبو الريال أخفقوا أمام الضيف شاختار

لماذا لا يفوز ميلان بالدوري الإيطالي هذا الموسم؟

المدرب بيولي و نجم ميلان زلاتان

لندن – «القدس العربي»:

بدأت جماهير ميلان، تتوسم خيرا في مشروع المدرب ستيفانو بيولي، بعد حفاظه على الصورة الرائعة، التي ختم بها الموسم الماضي، أو بالأحرى منذ عودة النشاط الكروي في يونيو/حزيران، بسلسلة من النتائج المدوية، أسفرت عن 9 انتصارات و3 تعادلات في آخر 12 جولة في جنة كرة القدم، منها انتصارات تندرج تحت مسمى تاريخية، أبرزها ريمونتادا الأسبوع الـ31، بقلب تأخره أمام يوفنتوس بهدفين نظيفين في الشوط الثاني، إلى فوز عريض برباعية مقابل اثنين، غير أنه لم يُهزم في باقي مواجهاته المباشرة ضد الكبار، بتجاوز روما ولاتسيو والتعادل مع نابولي وأتالانتا، ليجني المدرب الإيطالي ثمار عمله وصبر الإدارة عليه، بهذه البداية الخيالية، بتحقيق العلامة الكاملة في أول أربع مباريات، آخرها وأهمها الانتصار المعنوي على عدو المدينة الإنتر بهدفين لهدف، قبل صدام ذئاب العاصمة مساء غد الإثنين في ختام مواجهات المرحلة الخامسة.

قبل عام

كان الجميع في الجزء الأحمر والأسود لمدينة ميلانو، ينتظرون وصول ماسيمو الیغري أو لوتشيانو سبالیتي بعد التخلص من المدرب السابق ماركو جامباولو، الذي أُقيل من منصبه في مثل هذه الأيام من العام الماضي، لتدهور أوضاع الفريق معه، والتي وصلت لحد التجرع من مرارة الهزيمة 4 مرات في أول 7 أسابيع، إلا أن إعلان تعيين بيولي مدربا للفريق، أثار حالة من الغضب الجماهيري عبر مواقع التواصل الاجتماعي، اعتراضا على إسناد المهمة للمدرب المحسوب على النيراتزوري، وأيضا لسجله المتواضع على صعيد الألقاب، حتى أنهم أطلقوا حملة تحت وسم #بيولي_ارحل، قبل أن يقود مرانه الأول في مقر «ميلانيلو»، وما زاد الطين بلة، بدايته المتعثرة على مستوى النتائج، بالتفريط بنقطتين في غاية الأهمية أمام ليتشي، تلك المباراة التي جرت أمام أعين المشجعين على أرضية «سان باولو» قبل مصيبة كورونا، وانتهت بتعادل درامي بهدفين للكل، بعدما كان الروزونيري متقدما بهدفين لهدف حتى الدقيقة الأخيرة من عمر الوقت المحتسب بدل الضائع.

منعرج طريق

وصل عشاق النادي لقمة اليأس والإحباط، لاستمرار صداع النتائج الخيبة للآمال، بما في ذلك السقوط أمام لاتسيو وروما ويوفنتوس في غضون أربعة أسابيع، والأسوأ من ذلك، فضيحة أتالانتا بالهزيمة في «غيويس» بخماسية مذلة في الجولة السابعة عشرة، ما ضاعف الشكوك حول مستقبل بيولي في «سان سيرو» مع بداية 2020، إلا أن الإدارة التي تعطي الأولوية للأمور المادية على حساب العاطفة، قررت الإبقاء على صاحب الـ54، على أمل أن يكرر إنجازه السابق مع لاتسيو، بانتشاله من براثن الضياع والاقتراب من الهبوط، لإنهاء الموسم في المركز الثالث والجار روما موسم 2014–2015، ورغم التحسن الطفيف في النتائج والأداء حتى إعلان منظمة الصحة العالمية، أن كورونا جائحة عالمية، إلا أن أغلب التوقعات كانت ترجح سيناريو طرده في أقرب فرصة متاحة، والدليل على ذلك، أن ملك المشاريع رالف رانغنيك، كان قاب قوسين أو أدنى من تولي الدفة الفنية لأصدقاء زلاتان إبراهيموفيتش، لولا العروض الهوليوودية في فترة ما بعد توقف كورونا، والتي جعلت من كانوا يجلدون ستيفانو في الأمس القريب، أول الداعمين لقرار تمديد عقده والإبقاء عليه لموسم آخر على أقل تقدير.

كيف فعلها بيولي؟

السؤال الذي يفرض نفسه دوما: كيف نجح بيولي في تغيير المزاج العام لميلان بعد عام من توليه قيادة الفريق؟ في حقيقة الأمر هناك عدة أسباب ساهمت في صحوة 2020. أولا يُحسب للمدرب أسلوبه الراقي على المستوى الإنساني، إذ أنه من نوعية البشر، الذين لا يتصادمون أبدا، ويتمتع بعلاقة جيدة مع الإعلاميين، وفي نفس الوقت، يعرف كيف يتعامل مع اللاعبين نفسيا، وهذا يظهر بوضوح في اختلاف الحالة النفسية والمزاجية للاعبين تحت قيادته، مقارنة بالصورة البائسة التي كانوا عليها تحت قيادة جامباولو. بجانب ذلك، ينأى بنفسه من الفلسفة الزائدة على الحد، بتوظيف اللاعبين بشكل صحيح في الملعب، كما أعاد اكتشاف هاكن كالهانوغلو في مركزه صانع الألعاب بتسجيل ستة أهداف بالإضافة إلى ثماني تمريرات وصناعة 13 فرصة، أفضل من أي لاعب آخر في الدوري الإيطالي بعد استثناء الموسم، الكاملة في أول أربع مباريات، ما لم يفعله أي فريق إيطالي آخر في بداية الموسم، بل الأهم من ذلك، الشخصية التي يبدو عليها الفريق، كمجموعة من المقاتلين يصعب هزيمتهم على أرض الملعب، متسلحين بلياقة بدنية شبه فولاذية وتركيز ذهني لا يصدق لتطبيق أفكار المدرب كما يريد، بالضغط العالي على المنافسين من منتصف الملعب، والاعتماد على اللعب المباشر، بضرب الخصم بأقل عدد ممكن من التمريرات، إما بالهجوم المضاد أو باستغلال المساحات خلف الأظهرة، كونه يعول كثيرا في خطته على الجناحين ورأس الحربة، ما يعكس فلسفته التي ترتكز على الواقعية أكثر من جمال ومتعة الأداء. لهذا، يمكن القول إنه كان محظوظا بغياب الجماهير، التي كانت تشكل ضغطا عليه وعلى أفكاره، التي لا تعجب قطاعا كبيرا منهم، حتى نلاحظ تحرر اللاعبين في الوقت الراهن، مقارنة بوضعهم عندما كانوا يلعبون أمام المشجعين الغاضبين بشدة، وهذا كان يرجع لصغر سن اللاعبين، وعدم قدرة الكثير منهم على تحمل الضغط الجماهيري، والآن، يبدو واضحا أن بيولي وضع يده على التوليفة السحرية.

بجانب ذلك توصل بيولي إلى المعادلة الصعبة، التي فشل فيها كل من تناوب على تدريب ميلان منذ رحيل ماسيمو أليغري، بالحفاظ على المستوى الجيد والانتصارات لفترة طويلة، مع استعادة جزء كبير من هيبة الروزونيري العظيم، الذي يخشاه الصغير والكبير في جنة كرة القدم، كما أثبت بشكل عملي في سلسلة اللا هزيمة الأخيرة، التي كشر خلالها الفريق عن أنيابه، بإظهار قدرته على هزيمة أي منافس سواء على ملعبه أو في الخارج، آخرهم الإنتر، وهو المرشح فوق العادة لإنهاء هيمنة اليوفي على الاسكوديتو، كأقوى مؤشر لإمكانية عودة ميلان، ليس فقط لمكانه الطبيعي في الفرق الإيطالية المشاركة باستمرار في دوري الأبطال، لكن للمنافسة بشكل حقيقي على لقب الدوري، ولم لا الفوز به، إذا واصل المضي قدما بهذه الطريقة بعد تدعيم صفوفه بصفقات لا بأس بها، مثل استعارة تونالي وإبراهيم ديباز، في الوقت الذي لا يتوقف فيه أنطونيو كونتي عن الشكوى لتبرير عثراته المحلية والأوروبية مع الأفاعي، واستغلال حداثة عهد أندريا بيرلو في عالم التدريب مع يوفنتوس، الذي سيعطي أولوية لدوري الأبطال أكثر من السيريا آ، فهل يحصل بيولي على المكافأة المستحقة بإعادة أمجاد ميلان ببطولة كبرى في نهاية الموسم؟

العقوبات على سوريا تجبر المنتخب الواعد على التفكير في مستقبله!

مدرب المنتخب نبيل معلول لم يتلق رواتبه منذ شهور

دمشق – «القدس العربي»:

من المتوقع أن تتأثر الكرة السورية عامة، ومنتخباتها الوطنية خصوصا، بعقوبات قانون «قيصر»، ما يدفع اتحادها الكروي إلى التوجه نحو المدرب المحلي الذي يقبل التعاقد بالليرة السورية، في ظل عدم قدره اتحاد الكرة على الدفع بالعملة الصعبة لمدربين أجانب بسبب ضعف ميزانيته من جهة، واستمرار الحظر على أمواله المجمدة رغم محاولاته المتواصلة واتصالاته المستمرة مع الاتحادين الدولي والآسيوي لفك الحظر.

ونفى رئيس الاتحاد السوري لكرة القدم حاتم الغايب أن يكون المدرب التونسي نبيل معلول قد أبلغه نيته التخلي عن تدريب المنتخب، لعدم نيله مستحقاته مع مساعديه منذ سبعة شهور بسبب قانون «قيصر». وقال الغايب إن معلول «مستمر في مهمته مدربا لمنتخب سوريا». وعن تصريحات معلول التي اشتكى فيها من عدم حصوله على رواتبه الشهرية مع مساعديه التونسيين منذ سبعة شهور، أشار الغايب إلى أنه لم يتلق أي شيء من معلول حول هذا الأمر. وقال معلول (58 عاما): «من الصعب ان يبقى الشخص بدون رواتب لمدة سبعة شهور. المساعدون محسوبون علي وأنا مسؤول عنهم... أنا مقاتل لكن لست وحدي... الوضع غرّقني، معنويا بالنسبة لي وماديا لهم (المساعدون)». وعن امكانية لجوئه إلى الفيفا لتحصيل حقوقه، أضاف لاعب الوسط السابق: «العقد موجود لكن بماذا يفيدني؟ حتى لو لم يدفعوا لي لن أتقدم بقضية لدى الفيفا ضد من احتضنني في سوريا فهذا مستحيل». ويفرض قانون «قيصر» المقترح من الكونغرس الامريكي والذي دخل حيز التنفيذ في منتصف حزيران/يونيو، عقوبات مالية على مسؤولين سوريين ورجال أعمال وكل أجنبي يتعامل مع دمشق، حتى الكيانات الروسية والإيرانية. وينص على تجميد مساعدات إعادة الإعمار.

بدوره، أكد عساف خليفة مدير منتخب سوريا عدم وجود أي شيء يشير إلى نية معلول الابتعاد عن مهمته وانه «مستمر في منصبه كمدرب رغم بعض المنغصات التي فرضها قانون قيصر وفيروس كورونا». وأضاف انه تم تثبيت أول مباراة ودية لمنتخب سوريا بقيادة معلول مع الأردن في دبي يوم 17 تشرين الثاني/نوفمبر. وخلف معلول في آذار/مارس الماضي المدرب السابق فجر إبراهيم الذي انتهى عقده نهاية 2019 بعدما قاد «نسور قاسيون» إلى صدارة المجموعة الآسيوية الأولى للتصفيات المزدوجة لكأس العالم 2022 وكأس آسيا 2023 بالعلامة الكاملة من خمس مباريات، قبل تعليق التصفيات بسبب فيروس كورونا. وتردّد آنذاك أن راتب معلول يبلغ 45 ألف دولار شهرياً، على أن يتم تسديدها من الاتحادين الدولي والآسيوي، من المبالغ المجمدة لسوريا في الاتحادين والتي تناهز عشرة ملايين دولار. وكان الفيفا سدد رواتب المدرب السابق الألماني بيرند شتانغه من الأموال السورية المجمدة، بيد أن عقوبات قانون «قيصر» منعت الكرة السورية من تلقي أي مبلغ من حسابها المجمد وبالتالي لم يتم تحويل رواتب معلول ومساعديه بسبب العقوبة.

وغادر معلول دمشق يوم الاحد الماضي مع مساعديه إلى تونس، بعدما أجرى معسكرا تدريبيا داخليا في دمشق لمدة أسبوعين. وعما إذا كان سيعود إلى سوريا، أجاب: «الوضع لا يُحتمل. الوضع صعب جدا. وصلنا لهذه النقطة، رغم مجهودِ ابو محمد (حاتم الغايبِ). لم يقصر بأي شيء. يعمل بجوارحه صباحاً ومساء». واضاف دامعاً: «هناك أشخاص تعمل (بسرعة) 200 بالساعة واشخاص تعمل 10 بالساعة... الكلام كثير في سوريا والفعل قليل».

وتابع: «بنوعية اللاعبين الموجودين، من غير المعقول عدم تأهل منتخب مثل سوريا إلى كأس العالم أو وصوله إلى أدوار متقدمة في كأس آسيا». وتولى معلول تدريب منتخب تونس عام 2013 وفشل في قيادة المنتخب لنهائيات كأس العالم 2014، قبل ان ينتقل إلى الجيش القطري ومنه إلى المنتخب الكويتي، وعاد لتدريب المنتخب التونسي في نيسان/أبريل 2017 خلفا للبولندي–الفرنسي المقال هينري كاسبرجاك. وأشرف معلول على نسور قرطاج في نهائيات مونديال روسيا 2018، حيث خرج المنتخب من الدور الأول بخسارته في المجموعة السابعة أمام انكلترا 1–2 وبلجيكا 2–5، وفوز على بنما 2–1، هو الثاني لبلاده في مشاركاتها الخمس في المونديال، والأول منذ 1978. وبعد ذلك، انتقل معلول إلى تدريب الدحيل القطري، في مهمة استمرت نحو ستة شهور فقط وانتهت في مطلع كانون الثاني/يناير 2019.

خلدون الشيخ

مسعود أوزيل «ضحية» سياسية أم كروية؟

أعلن أرسنال عن اقصاء النجم الألماني مسعود أوزيل من تشكيلة فريقه المشاركة في الدوري الانكليزي وأيضا في مسابقة الدوري الأوروبي، ما أثار رداً عنيفا من أنصار نجم ريال مدريد السابق، معتبرين أنه دفع ثمن تصريحاته السياسية المؤيدة للمسلمين والمدافعة عن حقوقهم.

الاقصاء يعني عدم قدرته على اللعب، على الأقل حتى مطلع العام، وغالب الظن انه لن يلعب لفريقه اللندني حتى انتهاء عقده الصيف المقبل، وفقط بامكانه المشاركة في مسابقتي الكأس المحليتين أو مع الفريق الرديف في مباريات لا معنى لها. رد فعل النجم ذي الاصول التركية البالغ 32 عاما، ظلت ايجابية وأكد انه سيظل يتدرب بجدية كل يوم حتى نهاية عقده، الذي يمنحه راتباً أسبوعيا يبلغ 350 ألف جنيه استرليني، هو الاعلى في تاريخ النادي. لكن أنصار أوزيل لجأوا إلى مواقع التواصل الاجتماعي للتذكير بانه فقد مكانه أساسيا في أرسنال عقب تصريحاته المناهضة للحكومة الصينية على معاملتها السيئة لمسلمي الايغور، في ديسمبر/كانون الأول الماضي، وهو ما قاد إلى غضب الصينيين، إلى درجة انهم لم ينقلوا مباراة أرسنال ومانشستر سيتي في قنواتهم المحلية، عقب تصريحاته، وتسبب بأزمة لرابطة الدوري ولادارة النادي، بل لم يكتف الصينيون بذلك، وأجبروا مالكي لعبة «برو ايفوليوشن» المشهورة في العاب فيديو كرة القدم، الشبيهة بلعبة «فيفا»، إلى حذفه منها.

طبعاً أوزيل المولود في مدينة غيلسنكيرشن الألمانية، معروف بتمسكه بجذوره التركية، بل هو يفتخر بأصله التركي ودينه الاسلامي، ما زرع في نفسه عزة نفس رافضة لما يتعرض اليه المسلمون في كل أنحاء العالم، رغم انه عرف عنه ولعه بسهر الليالي وشرب الكحول ومعاشرة الجميلات، لكنه في السنوات الأخيرة تبدل حاله، بعدما شوهد مرارا مع رموز الحكومة التركية، بل أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان حضر حفل زواجه، وكان الضيف الأبرز، في حفلة خلت من أصدقاء أو زملاء من النادي الانكليزي أو المنتخب الألماني. وقبل بدء مناقشات مونديال 2018 بأسبوعين التقط أوزيل وزميله في المنتخب الألماني الكاي غندوغان، الذي أيضا تعود جذوره إلى أصول تركية، صورة مثيرة للجدل مع الرئيس أردوغان، قبل الانتخابات التركية، ونشر أوزيل الصورة على حساباته قائلا: «هذا رئيسي»! ما أثار زوبعة في ألمانيا، شككت في ولاء النجم الكروي. وزادت حدة الضغوط بعدما أخفق المنتخب في كأس العالم وخرج بخفي حنين بصورة مذلة من الدور الاول، بعد عروض مخيبة وهزيلة من أوزيل ورفاقه، لكنه هو خصص بالانتقادات الحادة، ما قاده إلى اعلان اعتزاله، مطلقا تصريحات نارية، ومتهما الاتحاد الألماني بـ«العنصرية وقلة الاحترام» اتجاهه.

لا شك ان أوزيل له شعبيته في عالم كرة القدم، وكان «أحد» أوقظ حسه الوطني، طالما منه استغلال شعبيته لخدمة بلد آبائه، فصار تركيزه بعيدا عن اللعبة، ونشاطه مقترنا بما يحصل في العالم الاسلامي والشرق الأوسط، وأيضاً بنوع من التشدد والمبالغة، ففي خضم أزمة كورونا قبل ستة شهور، طلب أرسنال من نجومه تخفيض رواتبهم لمساعدته على تحمل النفقات المترتبة من غياب الجماهير وعدم خوض المباريات، فوافق الجميع، الا أوزيل. لكن بعدها بأسابيع تبرع أوزيل بـ100 ألف جنيه استرليني للاسر المسلمة المحتاجة خلال شهر رمضان عبر الهلال الأحمر التركي.

لكن ما حصل لأوزيل مؤخراً، يبقى، بالنسبة لي، له علاقة بأسلوب لعبه الذي بات لا يتماشى مع الخطط العصرية للمدربين، فهو صانع ألعاب يلعب عادة خلف المهاجم، وهو مركز لم يعد مرغوبا عند المدربين، الذي يتطلبون بذل لاعبيهم جهدا عاليا وطاقة كبيرة للضغط على الخصوم واغلاق المساحات، وهو لا يناسب أسلوب لعب أوزيل، البطيء والكسول، مثل آخرين في مركزه كخاميس رودريغز وكوتينيو وايريكسون، عانوا في السنوات الاخيرة، بل أوزيل عانى مع مدربه السابق يواني ايمري، قبل ان يعاني مع المدرب الحالي أرتيتا، الذي اعلن عندما سئل عن سبب اقصائه للنجم الألماني، بأنه «فشل معه» لاعادة احيائه كلاعب، علما انه منحه فرصة اللعب أساسيا بعد تصريحاته الصينية المثيرة.

ورغم لعبه 93 مباراة مع المنتخب الألماني، وخروجه منه بهذه الصورة غير اللائقة، الا ان كل ما حدث معه من «استهداف» بحسب ما يزعم محبوه، لم يحصل مع زميله غندوغان نجم السيتي. ورغم محاولات أرسنال التخلص من اعباء راتبه العالي ببيعه او اعارته، فانه دائما يصر على البقاء، رغم عروض من بشكتاش وفنربخشة التركيين، وحتى انه رفض عرضا من النصر السعودي مؤخراً، لكن باصراره على البقاء فانه لن يزيد من المباريات الـ254 التي لعبها لأرسنال، والتي سجل خلالها 44 هدفاً في كل المسابقات، لكنه سيبقى خالدا في قلوب أنصار «الغانرز» الذين عشقوه، الا ان قلة منهم اليوم تطالب بعودته إلى الفريق، رغم محاولات وكيل أعماله بلوم النادي والمدرب أرتيتا، لكن أوزيل يبقى أوزيل، فقبل ايام نشر تغريدة تشيد بمقاتلي أذربيجان ضد الاعتداء الأرميني.

@khaldounElcheik

مجتمع

هجرة اللاجئين الفلسطينيين من لبنان: طرق بحرية معبدة بالموت

عبد معروف

ارتفعت أعداد اللاجئين الفلسطينيين خلال الأشهر الماضية من لبنان، بصورة غير شرعية إلى جزيرة قبرص وتركيا ومنها إلى دول أوروبا واستراليا وكندا، وعرض عشرات اللاجئين منازلهم وممتلكاتهم المتواضعة للبيع، من أجل تأمين تكاليف السفر التي بلغت حوالي 7 آلاف دولار أميركي للفرد الواحد.

فأكثر من 55 لاجئا فلسطينيا باع منزله في مخيم عين الحلوة قرب مدينة صيدا اللبنانية وعشرات عرضوا منازلهم للبيع في البداوي ونهر البارد وبرج البراجنة، مؤخرا من أجل تأمين المبلغ ودفعه لسماسرة يعملون لتسهيل هجرة الفلسطينيين إلى خارج لبنان.

شبكات منظمة تنشط بشكل ملفت داخل المخيمات الفلسطينية في لبنان من أجل التسويق لهجرة الفلسطينيين، ودفع الشباب إلى أوروبا وكندا واستراليا، مستفيدة من البؤس الاجتماعي والحرمان وحالات اليأس والإحباط التي يعيشها اللاجئ الفلسطيني في لبنان.

وفي رأي خالد عبادي مدير عام المجلس الأعلى للشباب والرياضة، أن كل هذه العوامل وغيرها جعلت الهجرة هدف الكثير من الشباب والعائلات الفلسطينية في لبنان، ومنهم من وارتفعت خاصة في صفوف الشباب الذين أصبح الأمر هاجسا لديهم.

وعدد عبادي لـ«القدس العربي» الأسباب التي تؤدي إلى هذا القرار ومنها، أولاً إنسداد الأفق بين شريحة الشباب الخريجين الذين يبدأون حياتهم العملية بتعقيدات قوانين العمل اللبنانية التي كما أعتقد السبب الرئيسي للهجرة، ومن هذا المنطلق يقف الشباب عاجزا عن تأمين حياته ومتطلبات عائلته التي صرفت عليه كل ما تملك أثناء دراسته.

ثانياً الواقع الاقتصادي والمعيشي المضطرب الذي يعاني منه لبنان وفقدان العديد من الوظائف وحتى وقف العمالة التي كانت تساهم بالأحوال المعيشية لكثير من العائلات الفلسطينية وأيضاً تدني الأجور للعمال المياومين.

ثالثاً ما استجد بعد انتشار وباء كورونا وهذا ما زاد من معاناة الشباب وكل شرائح المجتمع الفلسطيني خاصة في المخيمات. وتتحدث مؤخراً أرقام جديدة ومخيفة عن نسبة البطالة التي وصلت إلى 90 في المئة.

ويعتقد مدير عام المجلس الأعلى للشباب والرياضة، أن كل هذه العوامل وغيرها جعلت الهجرة هدف الكثير من الشباب والعائلات الفلسطينية في لبنان، ومنهم من غامر ببيع بيته في المخيم واستدان ليركب قوارب الموت، ليصل إلى بر الأمان كما يعتقد هذا المهاجر المسكين. مضيفا، «لا يخفى على أحد في لبنان من الجهات الرسمية وجود سماسرة معروفين يسهلون الهجرة ولديهم شبكات كما كشفت الكثير من المصادر الإعلامية وغيرها، تقوم بكل الإجراءات مقابل مبالغ مالية».

وكشف عبادي عن محاولات عديدة جرت للحد من هذه الظاهرة لكنها منيت بالفشل أمام الواقع الاجتماعي والاقتصادي وبغياب قوانين لبنانية واضحة حول الحقوق الفلسطينية التي تضمن الحد الأدنى من الاستقرار الاقتصادي، مؤكدا على أن تراجع خدمات وتقديمات وكالة «الأونروا» بعد قطع المساعدات الأمريكية والضغط عليها لوقف تقديماتها وأهمها التعليم والطبابة وبرنامج دعم عائلات تحت خط الفقر، أدى إلى حد كبير لوصول أوضاع اللاجئين إلى هذه الحالة المأساوية.

واعتبر أن الحصار السياسي والمالي على الشعب الفلسطيني عبر حصار السلطة الفلسطينية ووكالة «الأونروا» تهدف بشكل رئيسي لتمرير ما سمي «صفقة القرن» بالتالي إن الضغوط التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني هي السبب الأساسي يتردي الواقع الاقتصادي وتعميم حالة اليأس وقبوله بالشروط الأمريكية الصهيونية التي تتنكر لكل الحقوق الفلسطينية.

ولا تختلف آراء المراقبين والمعنيين بحقوق الإنسان الفلسطيني، حول أسباب ارتفاع أعداد المهاجرين، لذلك يؤكد يوسف أحمد، سكرتير عام اتحاد الشباب الديمقراطي الفلسطيني «أشد» على ارتفاع مقلق بأعداد المهاجرين الفلسطينيين من لبنان، عبر قوارب الموت إلى الدول الأوروبية واستراليا وكندا وغيرها.

وأعرب «القدس العربي» عن اعتقاده بأن ظاهرة الهجرة في صفوف الشباب تزايدت خلال السنوات الخمس الماضية، لكنها لم تكن الأولى التي تطال مجتمع اللاجئين في المخيمات، حيث شهد موجات هجرة عديدة.

ورأى أن السبب الرئيسي في تفكير الشباب الفلسطيني بالهجرة، يتمحور حول الحرمان الذي يتعرض له بسبب القوانين اللبنانية التي تحرم الفلسطينيين وخصوصا خريجي الجامعات من حق العمل وتمنع حق التملك شقة خارج المخيمات. الأمر الذي يعني قتل مستقبل الشباب الفلسطيني، وقتل أحلامهم وطموحهم ببناء مستقبل لهم ولعائلاتهم.

ويضاف إلى مشكلة الحرمان من الحقوق الإنسانية، هناك العديد من المشكلات الأخرى التي تواجههم وتجعل من الهجرة حلاً أو خياراً للخروج من هذه الأزمات، وفي مقدمتها الواقع الصحي المزري، وتراجع تقديمات «الأونروا» على الصعيد الصحي والاجتماعي والتربوي. إلى جانب التضييقات المفروضة من قبل الدولة اللبنانية على العديد من المخيمات الفلسطينية في لبنان.

ويؤكد معظم الشباب أن الهجرة لم تكن يوما خياراً مطروحاً بقوة أمامهم، أو حلماً يراودهم، وإنما الواقع المأساوي الذي يعيشونه في المخيمات وجيش البطالة المكدس هو ما دفعهم للتفكير بالهجرة هرباً من المستقبل المجهول.

ويعرب سكرتير عام «أشد» عن أسفه قائلا «من تخرج من الشباب رأى أن لا أفق أمامه لبناء مستقبله في ظل قوانين الحرمان اللبنانية، والذين لم يستكملوا دراستهم الجامعية أيضاً واجهتهم صعوبة متابعتها بسبب ارتفاع الأقساط ولإدراكهم أن نهاية التخرج ستكون الجلوس على مقاعد البطالة وفي أزقة وزواريب المخيمات، ومن تتوفر له فرصة عمل يتعرض للاستغلال ويعمل بأجر زهيد، ويحرم من كامل حقوقه، إلى جانب المئات من خريجي الجامعات الذين علقوا شهاداتهم على جدران منازلهم واضطرتهم ظروف الحياة القاهرة للعمل بمهن ومجالات أخرى بعيدا عن مجال تخصصه (إن توفرت) لأجل هذا كله، يعتقد الشباب الفلسطيني، أن البقاء باستمرار حرمانهم من حقوقهم الإنسانية والاجتماعية سوف يدفع المزيد من الشباب والخريجين للتفكير بالهجرة إلى خارج لبنان».

وتشير الوقائع الميدانية إلى أن حوالي 70 في المئة من الشباب الفلسطيني الذين هاجروا من لبنان خلال السنوات الأخيرة قد أنهوا دراستهم الثانوية وجزء كبير منهم حاصل على الشهادة الجامعية، إلى جانب عدد كبير منهم كان يتابع دراسته الجامعية، وهذا يعني أن غالبية المهاجرين هم من الفئات الشابة والمتعلمة وأصحاب الكفاءات العلمية الذين يحاولون البحث عن مستقبلهم في ظل نسبة بطالة وصلت إلى أكثر من 90 في المئة بعد تفشي وباء كورونا.

وتضاف إلى الأسباب السابقة، الإجراءات الأمنية المشددة على المخيمات، وغياب الاستقرار في ظل ازدياد المشاكل الأمنية من مخيم إلى آخر.

كل العوامل السابقة أدت إلى فراغ حوالي 55 منزلاً في مخيم عين الحلوة للمرة الأولى منذ إنشائه عام 1948 وعشرات البيوت الأخرى معروضة للبيع، بالإضافة لوجود عشرات الشبان الفلسطينيين يستعدون لمغادرة مخيمي نهر البارد والبداوي شمال لبنان أسبوعيا نحو أستراليا وأوروبا وكندا.

لاشك بأن استمرار الهجرة بهذا الشكل القاتم بات يُنذر بعواقب وتداعيات سلبية عديدة على نسيج وتماسك المجتمع والمخيمات الفلسطينية في لبنان، وبالتأكيد سيترك انعكاسات سلبية ستؤثر حتماً في قوة المجتمع الفلسطيني، انطلاقا من أهمية المخيمات وقدرتها وفعلها المؤثر في مسيرة النضال الوطني.

سلطة الدجاج

المكوّنات

كيلو شرائح الدجاج
3 حبات الافوكادو
3 جزرات مفرومة
أوراق الخس مقطعة طوليا
بصلة مقطعة شرائح طولية
4 ملاعق من الزبيب
زيت الزيتون
ملعقة صغيرة زنجبيل
ملعقة كبيرة لبن طبيعي
2 ملاعق عسل
3 ملاعق كزبرة خضراء مفرومة
ملعقة كبيرة عصير الليمون الحامض

طريقة التحضير

نمزج شرائح الدجاج مع القليل من عصير الليمون ورشة ملح ونضعها في مقلاة مع قليل من زيت الزيتون إلى ان تتحمر وتنضج جيدا.

في أناء نضع شرائح الافوكادو ثم نضيف شرائح الدجاج بعد ان يبرد ثم الخس والجزر المفروم والبصل والزبيب والكزبرة،

نعد الصلصة المكونة وهي من العسل واللبن والتوابل وملعقة حامض وزيت، نخلطها جيدا ونضيفها إلى السلطة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

اليقطين

إنه فصل الخريف، تتغير ألوان أوراق الشجر، ويبدأ الشعور بنسمات الهواء الباردة، في الولايات المتحدة وكندا يصعب تصور هذا الفصل من العام دون نكهات اليقطين. في هاتين الدوليتن يصعب تخيل هذا الخريف بدون اليقطين واستخداماته المختلفة، حتى أنه تم تحديد يوم السادس والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر كيوم لثمرة اليقطين.

اليقطين مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية pepo والتي تعني «البطيخ الكبير» وهو أمر منطقي حينما نفكر في الحجم الكبير للثمرة. وسجلت أثقل ثمرة قرع (يقطين) على الإطلاق في عام 2016 حيث بلغ وزنها 1190 كيلوغراما. على الرغم من أن الموطن الأصلي لليقطين هو أمريكا الشمالية، إلا أن صاحب الثمرة الأثقل في العالم كان بستاني من بلجيكا وعرضها في مسابقة أقيمت في ألمانيا. وتميل الثمرة إلى تفضيل الطقس البارد وهو ما قد يفسر سبب ظهور أثقل ثلاث ثمرات في العالم على مدى ثلاث سنوات متتالية في أوروبا.

في الولايات المتحدة، تزداد بشكل كبير مبيعات اليقطين خلال عيد القديسين (الهالوين). لا يكاد يوجد أي طفل في الولايات المتحدة لم يرسم تلك الابتسامة المخيفة على هذه الثمرة العجيبة البرتقالية اللون ثم يحولها إلى فانوس يضيء عتبة المنزل. تقليد تفريغ اليقطين جاء إلى الولايات المتحدة من أيرلندا بواسطة المهاجرين في القرن التاسع عشر،

يقال إنه جاء من أسطورة رجل يدعى جاك قام بخداع الشيطان حتى لا يأخذه إلى الجحيم بعد وفاته، كما أنه لم يكن صالحا بما فيه الكفاية ليجد طريقة إلى الجنة، فحكم عليه أن يظل هائما وليس معه إلا بعض الفحم المشتعل ليضيء طريقه فقام جاك بوضع الفحم في ثمرة يقطين كان قد أفرغها؛ ومن وقتها يتجول جاك دون هداية.

يوجد أكثر من 45 نوعا من اليقطين ولكل نوع ثمرة مختلفة عن الأخرى، ولكل من هذه الثمار المختلفة غرض مختلف. هناك اليقطين المثالي لعمل الفطيرة المميزة، والبعض الآخر للتحميص وبعضها يفضل تركها سليمة لتزيين شرفة المنزل بها.

يعتبر اليقطين من الفواكه وليس الخضروات. ولها طعم لذيذ للغاية. تشمل الأطباق التقليدية فطيرة اليقطين وحساء اليقطين وخبز اليقطين. كما يمكن تحميص البذور واعتبارها من الوجبات الخفيفة، ويمكنك حتى أكل زهور النبات. كما أنها رائعة لمقاومة الإصابة بنزلات البرد لأنها تحتوي على الكثير من فيتامين سي. في الواقع، اليقطين بأكمله له طعام رائع ومتميز!

«يوفر نصف كوب من اليقطين 200 في المئة من الحد الموصى به من فيتامين (أ) إلى جانب أصباغ نباتية أخرى تعزز من صحة وسلامة العين» وفقا لما قالته جولي غاردن روبنسون المتخصصة في الغذاء والتغذية والتي أضافت بأن «ثمرة اليقطين غنية بالبوتاسيوم، مما يساعد عضلاتنا على الانقباض.»

الحمل

كن أكثر حذراً في تصرفاتك لضمان مستقبل أفضل

الثور

مشروع ناجح مع بعض الزملاء

الجوزاء

تجنّب الإرهاق ما استطعت إلى ذلك سبيلاً

السرطان

الآخرون يعكرون صفو العلاقة بينك وبين الشريك

الاسد

بانتظارك حدث سعيد قد يكون نجاحاً باهراً

العذراء

تفكر في تغيير وظيفتك أو العمل في مجال إبداعي

الميزان

يفرض عليك أحد المشاريع التزامات مالية جديدة

العقرب

رياضة المشي تساعدك على التفكير بذهنية أفضل

القوس

لا تخف من أخذ المبادرة، فهي قد تبدأ بخطوة جريئة

الجدي

لا تعتمد دائماً على مساعدة زملائك

الدلو

عليك اتخاذ مواقف أكثر إيجابية من كل ما يحدث

الحوت

أفكار متنوعة لتوضيح بعض الأمور مع الشريك

جديد الطب

تجارب حول لقاحين ضد كوفيد – 19 في الولايات المتحدة

تستأنف التجارب على لقاحين تجريبيين ضد كوفيد–19 في الولايات المتحدة بعد تعليق مؤقت لتزداد فرص الحصول على لقاح أو لقاحات عدة مرخص لها بحلول مطلع العام 2021 إلى جانب مشاريع أمريكية أخرى.

وقد استؤنفت التجربة على لقاح تطوره جامعة أوكسفورد البريطانية ومجموعة «أسترازينيكا» للأدوية بالفعل في الولايات المتحدة بعد توقف دام أكثر من ستة أسابيع في البلاد.

اما التجربة الأخرى فتجريها مجموعة «جونسون أند جونسون» وستعاود قريبا بعد حصولها على الضوء الخضر من لجنة مستقلة درست مرضاً غامضاً أصيب به مشارك في تشرين الأول/أكتوبر.

وتجرى تجارب راهنا على عشرة لقاحات أوروبية وأمريكية وصينية وروسية في العالم على نطاق واسع بمشاركة عشرات آلاف المتطوعين في كل منها للتحقق من فعاليتها ومن عدم خطورتها.

وتخشى الهيئات الناظمة أن تتسبب اللقاحات بآثار جانبية خطرة. وعندما يصاب أحد المشاركين بمرض تعلق التجارب للتحقق مما إذا كان ناجماً عن اللقاح من عدمه.

وعلى صعيد لقاح «أسترازينيكا/أوكسفورد» التجريبي خلصت بريطانيا بعد أيام قليلة إلى أنه آمن وسمحت باستئناف التجارب وقد حذت حذوها بعد ذلك جنوب إفريقيا والبرازيل واليابان.

في الولايات المتحدة أبقت السلطات على حالة الترقب من دون أي تفسير. وكانت التجارب علقت في السادس من أيلول/سبتمبر.

وقالت «أسترازينيكا إن «وكالة العقاقير والأدوية» الأميركية (اف دي إيه) سمحت الجمعة باستئناف التجربة في الولايات المتحدة بعد معاودتها في دول أخرى في الأسابيع الأخيرة. ودرست الوكالة كل بيانات سلامة التجارب العالمية وخلصت إلى إمكانية استئناف التجارب بأمان.

وينتظر صدور نتائج هذه التجربة خلال العام الراهن على ما أكدت المجموعة مع أن ذلك رهن بوتيرة الوباء في البلد الذي يجرب فيه اللقاح.

وأعلنت «جونسون أند جونسون» الجمعة أن لجنة مستقلة أوصت باستئناف تجربة المرحلة الثالثة بمشاركة 60 ألف شخص والتي بوشر بها في نهاية أيلول/سبتمبر.

وأوضحت المجموعة «بعد تقييم معمق لعارض صحي خطر لدى أحد المشاركين، لم يحدد أي سبب أكيد لذلك. ولم تجد الشركة أي دليل بأن اللقاح التجريبي سبب ذلك».

ومن إيجابيات هذا اللقاح أنه يقتصر على جرعة واحدة بدلا من جرعتين كما غالبية اللقاحات الأخرى المنافسة ما يكسب جهود التقييم ثلاثة إلى أربعة أسابيع.

ويتصدر لقاحا «فايزر» و«موديرنا» السباق إذ تتوقع الشركتان الأمريكيتان طلب إذن في النصف الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر. ولم توضح وكالة الأدوية والعقاقير الأمريكية الحيز الزمني الذي ستصدر فيه قرارها لكن قد يحصل ذلك قبل نهاية السنة.

كورونا: ما يجب أن تعرفه عن آخر الدراسات العلمية

يهدد انتشار المعلومات المزيفة وأحيانا الدراسات المتناقضة الجهود العالمية لإيجاد أفضل السبل لمواجهة جائحة كورونا. ومن تداعيات ذلك ارتفاع نسبة المشككين في التلقيح ضد الفيروس، كما الجدل الذي رافق عددا من الدراسات العلمية.

وتسببت دراسة أجرتها منظمة الصحة العالمية في حدوث ارتباك جديد بشأن قوة فتك فيروس كورونا المستجد. فهل معدل الوفيات أقل بكثير مما كان مفترضا؟ سبب الجدل الحالي يعود إلى نتائج دراسة لخبير الأوبئة الشهير جون إيوانيديس من جامعة ستانفورد الأمريكية، والتي نشرت على موقع «نشرة منظمة الصحة العالمية». وقام إيوانيديس بتحليل 61 دراسة من جميع أنحاء العالم مدعومة ببيانات وطنية حول معدل الوفيات بسبب الفيروس. وخلُص إلى أن متوسط معدل الوفيات من جميع الدراسات التي تم تقييمها هو حوالي 0.23 في المئة. وهذا يعني أنه في المتوسط، مات 23 شخصا من أصل كل 10 آلاف مصاب بفيروس كورونا.

كما ظهرت لدى المتعافين دلالات على تغيرات في الأنسجة في أجزاء من المخ، وكان أداؤهم في الاختبارات البدنية والإدراكية سيئا. كما عانى ثلثا المرضى من ضيق دائم في التنفس، وظهرت على 55 بالمئة منهم دلالات على إرهاق عقلي وبدني. وعززت الدراسة التي شملت 58 شخصا من المتعافين من كورونا القلق المتزايد بشأن صحة وحالة الأشخاص الذين يتمكنون من النجاة من الفيروس. وكانت الدراسة قد شملت 58 مريضا، كانت لديهم أعراض متوسطة إلى حادة لفيروس كورونا، وجرى نقلهم لتلقي العلاج في مستشفيات جامعة أوكسفورد في الفترة ما بين آذار/مارس وأيار/مايو من العام الجاري. الدكتور فيلته أكد من جهته أن المرضى يشكون من مجموعة متنوعة من الأعراض وصفها بـ«متلازمة ما بعد كوفيد». يشعر الكثيرون بالعجز والإرهاق بعد الإصابة، والتعب المستمر، كما يجد آخرون صعوبة في التركيز، ولديهم كوابيس منتظمة، وفجأة يصيبهم النسيان.

لماذا يجب غسل اليدين باستمرار

نقلت شبكة «إيـــر.إن.دي» الإعلامية الألمانية 12 تشرين الأول/اكتوبر عن دراسة أجرتها هيئة العلوم الأسترالية أن الفيروس القاتل يمكن أن يبقى على قيد الحياة على الأسطح الملساء لمدة قد تصل إلى عدة أسابيع، مثل شاشات الهواتف المحمولة أو أجهزة الصراف الآلي. وقالت ديبي إيغلز، نائبة مدير مركز الوقاية من الأمراض المشرف على الدراسة «عند 20 درجة مئوية، بالقرب من درجة حرارة الغرفة، وجدنا أن الفيروس قوي للغاية ويمكن أن يعيش لمدة 28 يوما على الأسطح الملساء مثل زجاج شاشات الهواتف المحمولة والأوراق النقدية». وذهبت دراسة يابانية في نفس الاتجاه ونشرت نتائجها يوم الأحد 18 تشرين الأول/اكتوبر، إذ أكدت أن الفيروس يمكن أن يبقى لتسع ساعات على الجلد البشري، في اكتشاف يبرز الحاجة إلى غسل اليدين باستمرار لمكافحة الجائحة. وجاء في الدراسة التي نشرت هذا الشهر في مجلة الأمراض المعدية السريرية أنّ الجرثومة التي تسبب الإنفلونزا يمكنها البقاء على الجلد البشري لنحو الـ 1.8 ساعة مقارنة بالمدة الطويلة لفيروس كوفيد–19.

وذكرت أنّ «بقاء الفيروس على الجلد البشري قد يزيد من مخاطر الانتقال بالاتصال مقارنة بفيروس الانفلونزا، ما يسرع من انتشار الجائحة». واختير فريق البحث عينات جلدية جمعها من عينات تشريح الجثث بعد نحو يوم من الوفاة.

ويتم تعطيل نشاط كل من فيروس كورونا وفيروس الإنفلونزا في غضون 15 ثانية عن طريق استعمال الإيثانول المستخدم في معقمات اليد. وأكدت الدراسة أن «تنظيف اليدين يمكن أن تقلل من هذا الخطر». وتدعم الدراسة توجيهات منظمة الصحة العالمية لغسل اليدين بشكل منتظم وشامل للحد من انتقال الفيروس. والتباعد الاجتماعي ووضع الكمامة الواقية إضافة إلى غسل اليدين باستمرار يشكل ثلاثيا ناجعا للوقاية من الوباء.

لقاح كورونا

موقع «فيلت» الألماني نشر في التاسع من أيلول/سبتمبر الماضي نتائج دراسة استقصائية أجراها المنتدى الاقتصادي العالمي شملت ما يقرب من 20 ألف شخص في 27 دولة حول العالم عما إذا كانوا يرغبون في تلقي التطعيم ضد فيروس كورونا المستجد بمجرد توفر اللقاح ومتى يتوقعونه. ويعتقد الكثيرون من الذين شملتهم الدراسة أن لقاحا فعالا وجيد التحمل سيحتاج إلى وقت طويل. ووفقا للدراسة عبر 36 بالمئة من الألمان صراحةً عن استعدادهم للتلقيح ضد الفيروس، فيما يميل 31 بالمئة إلى القبول باللقاح دون حماس كبير. أما 20 بالمئة فلا يميلون للتلقيح، فيما أكد 13 بالمئة على الأقل أنهم يريدون التخلي عن التلقيح ويستبعدونه تماما. ووفقًا لذلك، يبدو أن ثلث الألمان يرفضون التلقيح. وتتوافق هذه النتائج مع نتائج دراسة دولية أخرى أجريت في حزيران/يونيو ونُشرت في دورية «نيتشر ميديسين» حيث حذر مؤلفوها من أنه «في معظم الدول التسع عشرة التي شملتها الدراسة، فإن المستويات الحالية لقبول لقاح ضد كوفيد–19 غير كافية لتلبية متطلبات مناعة المجتمع». وقال 72 بالمئة من 13.400 شخص شملهم الاستطلاع في 19 دولة أنهم مع التطعيم إذا «أظهر اللقاح المتاح ضد كوفيد–19 فعاليته وسلامته» بينما أجاب 14 بالمئة أنهم سيرفضون ذلك فيما أبدى 14 بالمئة ترددهم. ويتغير معدل قبول اللقاح بشدة إذ سجلت ثلاث دول أقل من 60 بالمئة هي فرنسا (58.8بالمئة) وبولندا (56.3) وروسيا (54.8) وتجاوزت ثلاث دول 80 بالمئة هي الصين والبرازيل وجنوب أفريقيا.

وقال جيفري لازاروس الباحث في معهد الصحة الدولية في برشلونة وأحد منسقي الدراسة، «لقد وجدنا أن مشكلة التردد في أخذ اللقاح على ارتباط قوي بانعدام الثقة في الحكومة». وقال مؤلفو الدراسة إنه «يتضح بشكل متزايد أن السياسة الشفافة والقائمة على الأدلة والتواصل الواضح والدقيق ستكون مطلوبة من جميع الجهات ذات الصلة» بدءاً من الحكومات. ودعا الباحثون الحكومات إلى العمل على إنهاء أي ارتياب يشعر به الناس إزاء لقاح يُطرح في المستقبل ضد كوفيد–19 قد يعيق تحقيق تغطية مثالية باللقاح، وفقًا لدراسة نُشرت الثلاثاء 20 تشرين الأول/ أكتوبر. ويذكر أن نشطاء مناهضون للتطعيم يخوضون حملات في العديد من البلدان ضد الحاجة إلى لقاح، بل وينفي بعضهم صراحة وجود كوفيد–19.

انبعاثات الكربون

موقع «تاغسشاو.دي» التابع للقناة الألمانية الأولى خصص يوم 14 تشرين الأول/اكتوبر موضوعا بحث فيه بالتدقيق في تداعيات جائحة كورونا من حيث الحد من انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون في جميع أنحاء العالم بعد الحجر الصحي وانتشار العمل من المنزل الذي قلل من استعمال السيارات والشاحنات. واعتمد المقال على دراسة جديدة أكدت أن انبعاثات الكربون قد تراجعت بنسبة 8.8 بالمئة في النصف الأول من عام 2020 على مستوى العالم. وذكر معهد بوتسدام الألماني لأبحاث تأثير المناخ أن الإجـراءات التي فرضتها حكومات الدول تسببت في خفض انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون بمقدار 1.6 مليار طن في الفترة الممتدة ما بين كانون الثاني/يناير وحزيران/يونيو الماضي مقارنة بنفس الفترة من عام 2019. وقال المعد الرئيسي للدراسة، تشو ليو من جامعة تسينغ – هوا الصينية، إن البحث أظهر وجود علاقة بين تدابير الإغلاق في بعض البلدان وانخفاض انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون.

وأظهرت الدراسة التي اعتمدت على بيانات من موقع «كربون مونيتور» وهو موقع إلكتروني يتتبع انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون اليومية – أنه في نيسان/أبريل الماضي، وهو الشهر الذي فرضت فيه العديد من الدول إجراءات الإغلاق لأول مرة، وصل انخفاض انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون إلى 9.16 بالمئة مقارنة بالعام السابق. وأشارت الدراسة، التي نُشرت في دورية «نيتشر كوميونيكسشنز» أن أكبر التأثيرات على انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون يمكن رصدها في حركة المرور. ومع ذلك، عادت معظم الدول الاقتصادية إلى مستوياتها المعتادة من ثاني أوكسيد الكربون في العديد من المناطق بعد انتهاء القيود الشديدة. وأوضحت الدراسة، أنه حتى إذا استمرت هذه الانبعاثات عند المستويات الدنيا، فلن يكون لذلك تأثير يذكر على تركيز ثاني أوكسيد الكربون طويل المدى في الغلاف الجوي. ولذلك يؤكد الباحثون ضرورة أن يخفض القطاع الاقتصادي من انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون.

(Dw)

منوعات

مهرجان الجونة السينمائي يكرم الممثل الفرنسي جيرارد ديباردیو متجاهلا الأصوات المعارضة

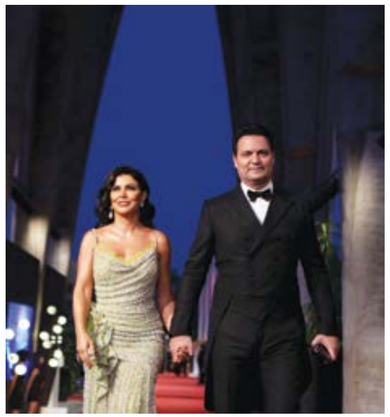

القاهرة – «القدس العربي»: فايزة هنداوي

انطلقت مساء الجمعة فعاليات الدورة الرابعة من مهرجان الجونة السينمائي، وبدأ حفل الافتتاح بأغنية «دقي يا مزيكا» للمطرب اللبناني رامي عياش، والتي أعدت خصيصاً لافتتاح المهرجان، وسط تفاعل كبير من الحضور، حيث قال عياش خلال كلمته: «مساء الخير من مسرح الجونة السينمائي إلى جميع العالم، باسمنا جميعا بنصر على إرادة الحياة اللي فينا تعطشنا الدائم للفرح والحياة لن نترك أن تكون هذه السنة، لتقضي على أحلى ما فينا، سوف نأخذ حذرنا واحتياطاتنا للاستمرار» وأنهى حديثه بتوجيه الشكر لعائلة ساويرس.

صعدت بعدها الإعلامية اللبنانية هيلدا خليفة لتقديم حفل الافتتاح، التي وجهت الشكر لرامي عياش وتحضيره تلك الأغنية في وقت قياسي لحفل الافتتاح، معربة عن سعادتها بتواجدها في مصر وخاصة في مدينة الجونة، وتقديم دورة استثنائية لمهرجان الجونة السينمائي، الذي أطلق شعار «سينما من أجل الإنسانية» ولم يكن يعرف أن كل هذا سوف يحدث، موجهة الشكر لإدارة المهرجان ومشيدة بالإجراءات الاحترازية الموجودة داخل كل مكان في الجونة.

بدأ الحفل بكلمة محافظ البحر الأحمر اللواء عمرو حنفي الذي وجه التحية لمنظمي المهرجان ووصفه بالرائع، وقال إن الجونة أصبحت عاصمة الفنون في مصر، وأضاف خلال كلمته: إن الفن هو تعبير إنساني يتجاوز الحدود ويجعل الإنسان أكثر رقيا، وعلى الفنان أن يسعى لتحقيق تلك القيم لتغرز داخل الأجيال القادمة المعاني الجميلة، وتعرفنا على حضارات الماضي، وتمنحنا رؤية للمستقبل، وأن مصر تواصل رسالتها التنويرية ومحاربة الإرهاب بذلك المهرجان، حيث إن مصر جاءت وجاء بعدها التاريخ».

ثم قام باستدعاء ماريان زوجة الراحل خالد بشارة التي استقبلها الجمهور بترحاب شديد، حيث وجهت الشكر للمهندس سميح ساويرس وقالت: أود أن أهنئكم بافتتاح الدورة الرابعة، وسط ظروف صعبة يمر بها العالم بأكمله. تعرفت على خالد في الجامعة الأمريكية عام 1990 وكان عمره 18 عاما وكنا عمري 17. لم يكن يدير شركات أو رجل أعمال كان مجرد شاب طموح دمه خفيف عينه يظهر فيها الذكاء، وجرع، قام ببناء نفسه بنفسه، ومشواره المهني لم يكن سهلاً ولم يكن مليئا بالنجاحات، ولكن شغفه جعله يتغلب على اليأس ويسبق منافسيه بتفكيره خارج الصندوق، لم يكن يبخل بوقته، وكان يساعد الشباب المبتدأ، ويسند البلد محاولاً أن يصنع فرقا، ومن هنا جاءت فكره جائزة خالد بشارة لصناع السينما المستقلة في مصر. أتمنى أن تكون بداية للشباب في المستقبل، وأشكر مهرجان الجونة لإطلاق اسم خالد على الجائزة وربطه بالمهرجان».

ثم صعد المخرج بيتر وبير رئيس لجنة تحكيم مسابقة الأفلام الروائية الطويلة، لتقديم جائزة الإنجاز الإبداعي وقال: أرحب بهذا المهرجان في دورته الرابعة ويسعدني تواجدي في مصر الذي أعتبره مكاني المفضل. اليوم يتم تقديمي كشخصية خاصة، ولكن هناك شخصا آخر مميز قام بلعب أدوار مختلفة منها الشر والملائكي الفنان الفرنسي جيرارد ديباردیو.

وقال المهندس نجيب ساويرس مؤسس المهرجان: أرحب بكم وأشكركم جميعا على الحضور وسوف أكرم شخصا الآن مهما جدا، عمله وراء الكاميرا، واسمه غال عليّ أوي لأنه اسم ابني ووالدي، مصمم المناظر أنسي أبو سيف.

عرض بعدها فيلم قصير عن أنسي أبو سيف تحدث فيه الفنان خالد النبوي، والمخرج داوود عبد السيد، ومروان حامد، وشريف عرفة.

وقال انسي أبو سيف خلال تكريمه: مش لاقي كلام أقوله الحقيقة، وما عرفش أصلا أتكلم أنا ممكن أرسم. أنا بشكر المهرجان إنهم منحوا جائزة لمطبخ السينما، هذه الجائزة مهمة لمهنة من أهم المهن في السينما وهو الديكور أو المنظر.

وأضاف: الفضل يرجع للناس اللي استحملوني من عمال وفنانين، والفضل الحقيقي للمخرجين اللي استحملوني وتعلمت منهم، عشان أنا كنت متعب شوية، إنما يرضه الفضل يرجع لصاحبه اللي علمني وخلاني أقف الآن هنا وأهدي له هذه الجائزة، أستاذي ومعلمي شادي عبد السلام.

ليتم تقديم بعدها أغنية «قصة حب» لرثاء الفنانين الذين رحلوا عن عالمنا خلال عام 2020 من كلمات أحمد رشاد وتوزيع مصطفى الحلواني وغناء فرح الديباني، وسط تأثر كبير من قبل الحضور الذين لم يستطيعوا أن يمنعوا دموعهم.

ومن جانبه رحب انتشال التميمي مدير المهرجان بالحضور وقال: «هذا العام رغم الصعوبات على كل المستويات، إلا أن هذه الصعوبات جعلتنا قادرين على التصدي، لأنه خلال السنوات الثلاث الماضية أصبح لدينا فريق رائع من الشباب المصريين، وكان يوجد صعوبة على المستوى اللوجستي وكان من المفترض أن يحضر عدد من الزملاء أمس ولكن بسبب الظروف لم يستطيعوا الحضور، وقدم بعدها لجان التحكيم.

وهي: «لجنة تحكيم مسابقة الأفلام القصيرة» المكونة من المخرجة التونسية رجاء عمـاري، والممثل الهندي الشهير علي فـازال، وكاتب السيناريو والمنتج الفرنسي جيوم دي ساي والممثلة السورية كندة علوش ومريم نداي، الممثلة السنغالية.

وفي مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة: المخرجة المصرية ماريان خوري، والمونتير والمخرج سيمون الهير المنتج والمبرمج السويدي فريدي أولسون، برنارد كارل، المبرمج والمدير الفني لمهرجان «حول العالم في 14 فيلم» المنتجة ماري بيير ماسيا.

ومسابقة الأفلام الروائية الطويلة: الممثل آسر ياسين، والمخرج أمجد أبو العلا وروردريجو سيبوليدا المنتج تيري لينوفل، ويراس اللجنة المخرج والمنتج بيتر وبير.

ليسلم بعدها الفنان خالد النبوي جائزة عمر الشريف للفنان المغربي سعيد تغماوي حيث قال النبوي: يسعدني وجودي في الجونة، وتقديم جائزة الفنان عمر الشريف لفنان عالمي آخر، هو متعدد المواهب، ممثل وكاتب سيناريو وملاكم، أول سيناريو شارك في كتابته حصل على جائزة الإخراج في مهرجان كان. إتقانه لعدة لغات جعله أيقونة في السينما الفرنسية والأمريكية والمغربية.

أعقب ذلك كلمة للفنان المغربي قال فيها: السلام عليكم، أنا اتحدث اللغة الإنكليزية، أقول لكم أني ولدت في باريس وعندما أصبحت ممثلا لم يكن هناك الكثيرون يهتمون بذلك، كان لدي أدوار غير جيدة، ولم أستطع تغيير الهوية حين ذلك، كانت والدتي تعشق عمر الشريف وكذلك أبي، ويحبون جورج كلوني أيضا، ويشاهدون الأفلام المصرية، وكل النجوم المصريين العظماء. كبرت ولم أكن أفهم كل تلك الأشياء لأنها كانت معقدة، فبدأت دراسة الصورة وفهمها، وعمر الشريف لم يكن ممثلا بل أملا، فكان المصير وكان القدر، والقدر دائما مكتوب، وكنت في افتتان وإعجاب بهذا الرجل، وكان يعطيني الأمل، فكان شخصية عظيمة للشعوب العربية، ولم أكن أتوقع أن أعمل معه في يوم من الأيام. عملت معه في أحد الأفلام وتعلمت منه الكثير من الأشياء، واليوم وأنا أحمل جائزة باسمه، أفتقد صوته في أذني، أنا فخور بتلك الجائزة في بلده مصر التي دعاني إليها في يوم من الأيام، عمر أراك قريبا.

أما الفنانة شيرين رضا بدأت كلمتها بتأثر شديد عن والدها الراحل الفنان محمود رضا قائلة: «شكلكم حلو أوي من هنا، المسرح ليه هيبه، ويمكن أن تكون تلك الهيبة هي التي جعلتني أخالف رغبة أبي، وأكون الفتاه الوحيدة التي تمنى والدها أن يراها راقصة كبيرة وهي لم تحقق له هذا الحلم، أنا بكل فخر بنت أكتر واحد هذا يجعلني مميزة، لأني تربيت وسط فرقة رضا وأشاهد عروضهم وأحبها، ولم أكن أعلم مقدار الحب الذي يتعبوه، حتى أنه جاء يوم كان لدي 14 سنة أجرب أرقص معهم فهمت حينها معنى كلمة مسرح، بروفات، خطوات باللي والثانية، علمت حينها أمرين أن هذه أول وآخر مرة سوف أقدم عرضا معهم لأني لم أستطع تحمل الضغط، ولكني علمت أن أبي رجل عظيم لديه حلم أن يأخذ الرقص في منطقة ثانية، حلم أن يخلق فنا شعبيا راقيا ويعرف الناس الفن بتاع مصر، بس لولاه لم أكن أقف أنا الآن هنا وأقول بكل فخر أني ابنة محمود رضا».

مواجهات المزارعين الفلسطينيين في

ما سرّ العداء المستحكم بين الصهاينة

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

«بتقطع شجرة منزرع عشرة» هو الشعار الذي يرفعه الفلسطينيون على أرضهم لمواجهة قطعان المستوطنين المحميين من جيش الاحتلال الصهيوني، حرب لا هوادة فيها يعيشها الفلسطينيون يومياً دفاعاً عن زيتونهم الذي صار هويتهم الوطنية، فيما يزداد عداء المحتلين له. فهم يدركون في لا وعيهم أن الزيتون وعمر بعضه خمسة آلاف سنة دليل على جذور الفلسطيني في وطنه، في حين لم يكن لشذاذ الآفاق يوماً موطئ قدم.

وفي كل موسم قطاف للزيتون يشهد العالم على شاشات التلفزيون بضعاً من المواجهات، فيما الجزء الأكبر منها يبقى بعيداً عن العيون. مواجهات تُبكي الناظر إليها عبر الشاشات فكيف بأصحاب الأرض وهم يرون أشجارهم تُقتلع، أو تُحرق وتحول حقولهم إلى مستوطنات؟

حاربت الحركة الصهيونية شجرة الزيتون لأنها تُشكل إنتماء للأرض، وبالتالي نقيضاً لها. العداء المستحكم على الزيتون يتمثل بحرب دائمة، لكن لصوص الأرض والتاريخ يتحضرون لها في موسم القطاف. الزيتون هو الشجرة الوحيدة في العالم التي تُخاض ضدها حرب شرسة.

عن موسم القطاف وشجرة الزيتون هذا التحقيق من فلسطين بدأ مع مدير برنامج تطوير الأراضي في جمعية الإغاثة الزراعية مقبل أبو جيش متحدثاً عن نشوء الجمعية:

للفاعل فتتناقص الأشجار من دون أن يوثق ذلك في سجل المحتل. وتتمثل اعتداءات المستوطنين المباشرة بعدة اتجاهات من القطع أو الحرق المباشر للأشجار، أو تخويف الناس عبر السلاح لمنعهم من الوصول إلى اراضيهم. وهذا أيضاً ينطبق على ما يقوم به جيش الاحتلال خلف الجدار أي الجهة الغربية. يجبر المزارع الحصول على التصاريح للوصول إلى أرضه، فيتعمد الاحتلال إصدارها في الوقت غير المناسب لقطف الزيتون أو للعناية به كشجر. وهذا لا يشاهد على الشاشات وله ضرره الكبير.

كان المحتلّون يدفعون المزارعين دفعاً لإهمال الأرض وتركها. بعد التطوع انتقلت الجمعية إلى المأسسة والتحالفات الكبيرة. وفي بعض السنوات كانت تصل قيمة مشاريعها إلى 18 مليون دولار لخدمة المزارعين. وتتمثل الأنشطة الكبيرة بشق طرق زراعية لتسهيل وصول المزارعين إلى أراضيهم وإصلاحها وتأهيلها. وتقديم خدمات الإرشاد وتحويل الأراضي البعلية إلى مناطق مروية.

○ هل شكل الإهمال المقصود من الاحتلال للأراضي الزراعية ضرراً أكبر من هجوم المستوطنين الدائم على المزارعين؟

● ثمة تقسيم أدوار بين سلطة الاحتلال والمستوطنين. بعضهم يلتقط إلى الضرر المباشر وما يراه على شاشات التلفزيون من قطع الأشجار وحرق الحقول المزروعة. وفي التفاصيل غير المرئية فإن منع المزارعين من استثمار أراضيهم الواقعة ضمن مناطق «ج» والتي تُقدر بـ60 في المئة من مناطق الضفة الغربية، أوقف نمو القطاع الزراعي وحجّم الغطاء الأخضر في الأراضي الفلسطينية. ومنذ الانتفاضة عام 2000 ولغاية 2005 ماتت الكثير من المساحات الزراعية دون قطع أو حرق، بسبب منع أصحابها من الوصول إليها. إنه ضرر كبير جداً لا ينقله الإعلام. ويمنع الاحتلال البناء في المناطق الصخرية والجبلية بحجة تصنيفها مناطق «ج» فيضطر كثيرون للبناء في المساحات الزراعية مما يؤدي لتناقصها. وهناك ضرر عالي بتسويق الاحتلال أدوية زراعية مغشوشة، وإشعال الحرائق دون ترك أثر

○ أنتم من اطلق شعار «إحنا معاكم» وله اضفتم هذا العام «رغم الاحتلال وكوفيد إحنا معكم على الأكيد»، كيف تنفذون الشعار عملياً؟

● لدى مؤسسة الإغاثة الزراعية علاقات متينة فلسطينياً وخارجياً. فهذه المنطقة يقصدها الكثير من الأجانب المتعاطفين مع الشعب الفلسطيني. ولهذا تنظم الإغاثة الزراعية أيام عمل تطوعي يشارك فيها فلسطينيون وأجانب. نختار للمتطوعين المناطق الأكثر حساسية وتعرضاً للإشكاليات مع المزارعين، وهكذا نشجع المزارعين على قطاف مواسمهم. تواجد المزارعين جماعياً في المناطق الخطرة وبدعم من المتطوعين عامل مساعد. انتشرت حملة «إحنا معاكم» منذ 12 سنة. ويتواصل الأجانب الموجودون في فلسطين كل عام مع الإغاثة الزراعية لتسجيل اسمائهم للمشاركة الرمزية أو الفعلية. والجمعية توفر للمزارعين خلال حملات التطوع السلالم والشوادر وأدوات القطف. وهكذا تعيش الوفود المتطوعة معاناة المزارعين مع المستوطنين وجيش الاحتلال.

○ وهل كان لحملات التطوع أن ترد الاعتداءات؟

● نعم وفي الكثير من الأماكن، فالمستوطنون يخشون العمل الجماعي، وهم والجيش يخشون نشر صورهم في الخارج. إنما لا قدرة لنا على الإحاطة بكافة الأماكن الزراعية. برنامجنا يضع المناطق الحساسة جداً في الأولوية.

○ هل من إحصاء لعدد أشجار الزيتون التي اقتلعت أو حُرقت إلى الآن في فلسطين؟

● خلال السنوات الخمس من عمر الانتفاضة ولغاية الآن حُرق أو اقتلع أو جُرف ما يقارب 2.5 مليون شجرة ويشكل الزيتون نسبة 65 في المئة منها.

خالد عوض: موسم الزيتون معركة صراع البقاء

الباحث الفلسطيني والمختص في التراث والتاريخ الشفوي والمقيم في مدينة الناصرة خالد عوض تحدث لـ«القدس العربي» عن عمق علاقة الفلسطيني بالزيتون. سألنا:

○ في كل خريف يستعد الفلسطينيون في الأراضي المحتلة لموسم الزيتون ومواجهة الاحتلال، هل من حبل سري بين الفلسطيني والزيتون؟

● اهتمام الفلسطيني بشجرة الزيتون مميز. ويتكرر الصراع مع جيش الاحتلال والمستوطنين سنوياً. يحاول المستوطنون منع المزارعين من الوصول إلى أراضيهم بشتى السبل، كإعطاب المركبات وكتابة شعارات عنصرية ونصوص تلمودية في الضفة الغربية تحديداً. تشكل شجرة الزيتون جزءاً من معركة البقاء، ففي الضفة والقطاع 8.5 مليون شجرة زيتون. هذا هو الحبل السري بين الفلسطيني وبين الزيتون، وهو يصد المستوطن المحتل بكافة السبل عندما يحاول منعه من جني الموسم. ولهذا تُنظم في الضفة الغربية حملات تعاون لمساعدة المزارعين في القطاف ومواجهة المستوطنين. يحتاج المزارعون للمزيد من التطوع والعمل الجدي في مواجهة المستوطنين والمسلحين، والذين لا يتوانون عن إطلاق الرصاص على أي مزارع وأي فريق تطوعي. وتبرز من بين الحملات التطوعية تلك التي تنظمها هيئة مقاومة الجدار والاستيطان التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية وبالشراكة مع مؤسسات مدنية. فهي تجند سنوياً في حملتها الوطنية طلاب المدارس والمؤسسات والجمعيات، بحيث تُقرُّ في موسم الزيتون عطلة رسمية، ويهب الجميع لمساعدة المزارعين كي ينجزوا القطاف سريعاً تلافياً لإعتداءات المستوطنين.

○ هل صار موسم الزيتون رمزاً للمقاومة والمواجهة؟

● مع كل موسم قطاف تبدأ معركة شبيهة بصراع البقاء بين المستوطنين والمزارعين. المستوطنون يحاولون السيطرة على الأرض بكافة الوسائل المتاحة لهم، وتضييق الخناق على الفلسطينيين ليس في موسم الزيتون وحده إنما في كافة ظروف الحياة اليومية. وبعيداً عن موسم الزيتون فالمستوطنون يتعمدون سياسة التسلل لإحراق أشجار الزيتون المثمرة. إنها معركة لا تنتهي بين المستوطن المحتل وبين الفلسطيني صاحب الحق والشرعية في الأرض. فمنذ بداية التاريخ والفلسطيني يحاول زراعة الأرض، والصهيوني الوافد يحاول السيطرة والهيمنة على أرض لا تاريخ له فيها. ولا يتوانى هذا المستوطن عن سرقة المحصول بعد تجميعه في الأكياس من قبل المزارعين، فيعصره ويأكل جنى وتعب الفلسطيني في بعض مناطق الضفة الغربية.

○ لماذا شكلت شجرة الزيتون حالة عداء مستحكمة بالحركة الاستيطانية الصهيونية وصارت عدوها المركزي؟

● شجرة الزيتون بالنسبة للفلسطيني رمز عروبة الأرض، وهي تؤكد تواجده التاريخي في وطنه. ومن الواضح أن الحركة الصهيونية منذ انطلاقها سنة 1897

جمال حامد

موسم الزيتون على مدار الساعة مع المستوطنين

وشجرة الزيتون؟ زيتون الرامة يروي الحكاية

استحضرت مقولتها المعروفة بأن فلسطين «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». ونحن نؤكد أن الفلسطيني وعلى مر التاريخ بدءاً من الكنعانيين العرب الأوائل وإلى حينه صاحب الحق الشرعي بهذه الأرض. إنه الصراع بين الإنسان الفلسطيني والمستوطن المحتل.

○ هل من أرقام للأشجار التي تُحرق سنوياً؟

● في كل عام يتم حرق عشرات الآلاف من أشجار الزيتون المعمّرة. وأعظم المواجهات تمثلت بتجريف الاحتلال لأكثر من 3 آلاف شجرة معمرة في الضفة الغربية والقدس المحتلة عام 1986 وكان متوسط أعمارها 200 عام. إنها جريمة بحق هذه الشجرة المقدسة التي ذكرتها كافة الكتب السماوية. ولهذا يجب طرح المواجهات بشأن الزيتون في المحافل الدولية للحفاظ عليها. فمن مميزات شجرة الزيتون اخضرارها الدائم، وإنها معمّرة إذ يتراوح عمرها بين ألف وخمسة آلاف سنة. وكنيسة الجسمانية في فلسطين على سبيل المثال تضم أشجار زيتون من الحقبة الفرعونية الأولى. وفي بلدة الرامة شمال فلسطين أشجار بعمر ميلاد السيد المسيح.

○ هل من تاريخ مدون لشجرة الزيتون؟

● ذُكرت شجرة الزيتون قديماً في سفر التكوين، وفي قصة نوح عندما كانت تأتيه الحمامة ليلا وفي فمها ورقة زيتون، ووردت في القرآن الكريم «والتين والزيتون وطور سنين». وهذا ما يدل على قداستها، ويُعتقد أن موطنها الأصلي هو سوريا وفلسطين، ومنهما انتشرت في محيط حوض المتوسط وغيره من البلدان، وتبقى بلاد الشام صاحبة الحق بها.

جمال حامد: شجرة الزيتون تستفز المستوطن

لجمال حامد من قرية شوفة التي تبعد ثماني كليومترات عن طولكرم له مع قطعان المستوطنين وجنود الاحتلال قصة مواجهة وصمود. وهو كذلك مدير مدرسة إلى جانب عمله الزراعي. يحدثنا عن أرضه: ورثت مع أخوتي الأربعة قطعة أرض من أبائنا مساحتها حوالي 200 دونم. ومع نشوء مستوطنة «افني حيفتس» على أراضي قريتنا سنة 1987 وتوسعها وصولاً لقطع الشارع المؤدي إلى أراضينا، وبات وصولنا إليها عذابا ومعاناة. أرضنا مزروعة بأشجار اللوز والزيتون، نصلها سيراً على الأقدام ونستخدم الحيوانات لنقل المحصول. وجهنا الكثير من النداءات لمؤسسات محلية وخارجية لمساعدتنا في فتح الطريق ولا جواب. لاحظ المستوطنون تمسكنا بأرضنا رغم الصعاب، ورغم ازدياد التعديات. يستخدمون كافة السبل لمنعنا من الوصول، يضربون كل من يقصدها للحراثة. وعندما نقاوم المستوطنين يتدخل جيش الاحتلال لحمايتهم وإبعادنا عن أرضنا. رفعت قضية لشرطة الاحتلال على مستوطن جرّف من أرضي 300 شجرة زيتون، واشترى غنماً وراح يرعاه فيها. القضية مرفوعة ولا محكمة.

○ كمواطن تحت الاحتلال ما هي حوافزك لتستمر في المواجهة؟

● أعمل مدير مدرسة إلى جانب كوني مزارع. نشأت وإحساسي الوطني يتنامى ويكبر مع كل شبر تأكله المستوطنات من أرضنا. المخطط الإستراتيجي للاحتلال يهدف لتهويدنا عبر إطلاق كلابهم من المستوطنين. نحرص على عدم خسارة أي سنتم من أرضنا، فتعويضه صعب. ومن جهة أخرى إيماني مطلق بأني لو تخليت عن دوري فالناس ستتخلى عن دورها. مهمتي الحفاظ على أرضي حتى آخر قطرة من دمي وآخر لحظة من حياتي. هذه الرسالة ترافقني كما نفسي. وعندما أنهي دوامي المدرسي، أحرص على التواجد والعمل في أرضي، وهذا بحد ذاته مقاومة وتغيظ المستوطنين. وأزرع شجر الزيتون حيث أمكن. فشجرة الزيتون تستفزهم بشكل لا يوصف.

○ وهل الصمود والمواجهة مهمة فردية يقوم بها كل مزارع بمفرده؟

● للأسف هذا ما يحصل إنما يجب أن تكون على مستوى وطني، ويجب الاجتماع لأجلها والخروج بتوصيات. من جهتي لي وظيفتي وأرضي التي أتمسك بها. لكن كثيرين لا مورد لهم سوى هذه الأرض وبالكاد يحصلون قوتهم لأن الوصول إلى الأرض بات مشقة كبيرة مع انتشار المستوطنات. والبقاء على هذا الحال ينذر بخطر عدم الوصول للأرض من الآن وإلى عشر سنوات مقبلة.

○ هل يلتزم أبناؤك بموقفك وعلاقتك بالأرض؟

● أنا وزوجتي وأبنائي نمضي يومي العطلة الأسبوعية في الأرض، وأيام العطل الأخرى. الحمد لله، أبنائي يحملون أفكاري وقناعاتي بضرورة التمسك بالأرض. وعندما يداهمنا المستوطنون فأبنائي يواجهون بقوة مستمدة من أرضهم. حتى الآن لم نعجز، لكننا وحيدون في تلك المواجهة.

○ كيف يمكن تسهيل وصولكم إلى أرضكم؟

● أقوم بدوري بالحفاظ على الأرض والدفاع عنها بحدود امكاناتي. لكني أتمنى لو تصل جمعية الإغاثة الزراعية إلى أرضنا لتشق لها طريقاً كما وعدنا. فالأرض في هذه المنطقة تقع ضمن اطماع الاحتلال، وهم لا يتركون فرصة إلا ويعرضون الشيك المفتوح كي تبيع الناس أرضها.

○ هل من مواجهة جرت مع المستوطنين لا تغيب عن بالك؟

● كثُرت المواجهات وخاصة هذا العام. ففي يوم عيد الأضحى صباحاً اتصل بي أحدهم ليبلغني أن مستوطناً «سرّح قطيعه في زيتونك، ويحمل منشاراً كهربائياً يقص به الشجر». سارعت مع اخوتي وأبناؤنا وعددهم 20 ووجدناهم يستعدون للمواجهة وهم بحدود 30 والجيش يراقب من بعيد. كنا مسلحين بالعصي وبدأت المعركة ليتدخل الجيش عندما انهزم المستوطنون رغم أنهم مسلحون، طالبا منا الإنصراف. وهذا يتكرر على الدوام.

خالد عوض

القدس العربي الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العاول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثانية والثلاثون العدد 10066 الأحد 25 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 8 ربيع الأول 1442 هـ
Volume 32 - Issue 10066 Sunday 25 October 2020

السنغال: أيكون-سيتي بين الطموح والمخاوف

باريس ـ «القدس العربي»:
آدم جابر

في السنغال؛ وضع أيكون مغني الراب الأمريكي من أصل سنغالي، الشهر الماضي، حجر الأساس لمدينة أيكون–سيتي الخضراء المستقبلية، مشروع طموح، بميزانية ستة مليارات دولار، والذي من شأنه أن يقوم بتغيير الساحل جذريًا بهندسته المعمارية التي تذكرنا إلى حد ما بمملكة واكاندا الخيالية في فيلم «النمر الأسود» (Black Panther).

وعلى الرغم من عدم تحقق أي شيء حتى الآن، إلا أن المشروع يمنح الكثير من الأمل لسكان قرية مبوديين، التي سيشيد فيها المشروع على بعد 100 كيلومتر جنوب العاصمة داكار. ومن المقرر أن يبدأ العمل في عام 2021 بحيث يمكن الانتهاء من المرحلة الأولى في عام 2023 والمشروع النهائي في عام 2030.

ويأمل المغني الأمريكي–السنغالي، البالغ من العمر 47 عاماً، خاصة، جذب السّياح والمستثمرين الأفارقة–الأمريكيين لمدينته التي يبلغ عدد سكانها 300 ألف نسمة، حيث سيتم بناء أحياء مخصصة للتكنولوجيا والسينما والدراسة والسياحة والصحة.

وأثناء وضعه الحجر الأول، أراد أيكون أن يطمئن حول انخراط السكان المحليين في هذا المشروع، مقترحاً تدريب مزارعي هذه القرية، مبوديين، على تقنيات جديدة حتى يتمكنوا من استخدام المساحات الصغيرة بشكل منتج. وتعهد المغني ورجل الأعمال حالياً أيضا بأن الشباب المحلي سيتمكن من الاستفادة من الجامعات مجانًا. وتجدر الإشارة إلى أن قرية مبوديين تنازلت عن 500 هكتار من الأراضي في عام 2009 لشركة لتطوير الساحل الصغير؛ لذلك كان السكان ينتظرون منذ أحد عشر عامًا أن يستثمر شريك خاص في منطقتهم. ويقول عمدة البلدية التي تتبع لها القرية المعنية: «جاء أيكون لزيارتنا ليخبرنا أنه لم يأت لأخذ أرضنا ولكن للاستثمار لصالح السكان المحليين، من أجل خلق الوظائف والبنية التحتية . وأنه سيكون هناك مستشفى ومركز إطفاء وفرقة من الدرك». ويضيف العمدة: «نحن نؤمن به ونشجعه لأن الناس لا يعملون. لا توجد مصانع هنا، فقط فنادق، لكنها مغلقة بسبب وباء كورونا».

كما أن العديد من السكان متحمسون جدًا لهذا المشروع. لكن الفاعل السياحي جيل ماري والي ثيامان البالغ من العمر 35 عامًا، يبدو حذراً، حيث يقول: «لا نريد أن تصبح قريتنا ذات وجهين، مع مدينة أيكون حيث يوجد كل شيء وفي مبوديين حيث يوجد حي فقير. نريد العمل للشباب والسماح لأصحاب المشاريع الصغيرة مثلي بتكوين شراكات صغيرة»، كما يقول هذا العامل المحلي في قطاع السياحة.

ثمة أيضا مخاوف أخرى لدى بعض السكان المحليين، تتمثل أولاً في أن هناك قضية التعويضات التي يجب أن يحصل عليها المزارعون الذين اضطروا إلى التنازل عن أراضيهم، بينما تتكرر النزاعات على الأراضي في السنغال. ويتمثل التحدي الآخر في دمج مدينة حديثة وعالمية في منطقة ريفية بقيمها الثقافية والدينية والعرقية. وهذا ما يقلق رئيس القرية ميشيل ديوم: «نحن فلاحون، سيكون هناك مستأجرون سيعودون إلى القرية، ويمكن أن يؤثر ذلك على أطفالنا وبناتنا في الاتجاه الخطأ».

استخدم عملة في الصحراء ومنه تصنع ماسكات تنضير الوجه

الودع خزف البحر الحامل للخوارق ومفتاح الغيب الخاص بقراءة الطالع

نواكشوط ـ «القدس العربي»:
عبد الله مولود

لا تستهن بالخزف الأبيض الصغير الذي يرميه البحر، والذي هو في أصله بيت الحلزون؛ ففي هذه القطع التي تسمى «الودع» والتي توجد مرمية على الشواطئ، خوارق غريبة: فالودع بنصاعته وطهره الذي اكتسبه من تجاويف البحر، يعتبر لدى شعوب كثيرة، مفتاح الغيب الخاص بقراءة الطالع والكشف عن المستقبل.

وتحدثت المصادر التاريخية عن دور كبير للودع في الحياة الاقتصادية، فقد أكد ابن فضل الله العمري في القرن 14م، الذي استقى معلوماته من حُجاج مملكة مالي والمناطق الصّحراوية الدّائرة في فلكها ورُوّادها من التّجار العرب «أنّ المعاملات في بلاد الزنج كانت تتم بالودع، بل إن كبار التجار كانوا يتحلون بالودع تبركا بهذه القطع العجيبة، فينظمون قلائد من الودع يجعلونها في رقابهم وفي معاصمهم».

وكانَ التُّجارُ الزنوج يستخدمون الودع كعملات لبيع الأقمشة والأسلحة والعنبر والملح، وبهذه العملة يشترون الذّهب خلال النّصف الأول من القرن 19م.

ويجلب الودع الممتاز ذو اللون الناصع إلى غرب أفريقيا من المُحيط الهندي عن طريق البرتغاليين الذين كانوا يبيعوه نوعه الجيد في القرن 16م.

ويقول فيليب دي كارتين وهو رحالة أوروبي شهير «أن استخدام الودع قد عم ابتداءً من القرنِ 17 بفعل اتساعِ التّبادلِ البحريِ مع الأوروبيين».

وفي المغربِ الأقصى، تحدثت المصادر التاريخية عن تفريغ كميات كبيرة من الودع بميناء الصويرة المغربي بداية القرن 18م وحتى نهاية القرن 19م، حيث تراوح سعرهُ ما بينَ 40 إلى 45 فرنكا للقنطار سنة 1870م، بينما بلغ في تنبكتو 50.12 فرنك للألف.

ولعل في هذا البعدِ التّاريخي للودع كوسيلة لقياسِ القيّم والتعبير عنِ الثّروات، وفي أصله الهندي، ما قد يساعدنا على تفسيرِ ما انبنى على الودع من ممارساتٍ رمزية وما يعزى له، إلى اليوم منْ خصائص طوطمية لدى بعَضِ الأوساطِ النّسوية في المناطقِ التي ألفت التعامُل به أساساً.

ويحظى الودع بتقديس كبير في موريتانيا؛ فبقطعه تمارس الموريتانيات عمليات التنجيم لمعرفة الطالع وعبره يستطلعن الغيب لمعرفة أسباب المشاكل وبقطعه يقمن بالاستخارات لإخبار زبنائهن بما يخبؤه لهم المستقبل.

وتقوم المنجمة بضرب الودع وقراءة عزائم عليه قبل إلقائه وتحريكه بشكل عشوائي لينتج عن ذلك تموقع لقطع الودع تستخرج منه المنجمة أو «الكزانه» كما تسمى، تفاصيل الطالع: فإذا ظهرت قطع مقلوبة فمعنى ذلك أن الزبون ستتغير أحواله وإذا تراكبت القطع فتلك أموال قادمة للزبون وإذا تفرقت القطع فذلك طلاق منتظر وإذا تجمعت فتلك مشروعات سيتيسر إنجازها، وإذا قفزت قطع إلى الزبون فذلك حظ كبير ينتظره.

وعادة ما تكون المواضيع التي تبحث عنها الذاهبات إلى قارئات طالع الودع هي الرغبة في معرفة أسباب مشكلاتهم مع أزواجهم مثلا وأحيانا درجة حب الحبيب ودرجة إخلاص الصديق وغيرها، وليس شرطا أن تكون متعلقة بالمستقبل بل قد تكون متعلقة بالماضي أو المستقبل أو مزيج منهما.

ومن الطريف أن بعض قارئات الودع يشترطن أن توضع قطع النقود التي ستدفع لهن مع الودع حيث أنها تساعد في قراءة الطالع.

وأخذت ظاهرة «ضرب الودع» في الانتشار بصورة واضحة داخل التجمعات الراقية في السودان، خاصة الأماكن المعروفة بأن قاطنيها من الأثرياء أو الأجانب الذين يسكنون في الأحياء الراقية بالعاصمة مثل العمارات وغاردن سيتي والمنشية والرياض.

وتبدأ ضاربة الودع في الدخول على مرادها من الزبائن بوجه بشوش وكلمات تجذب الفتيات وتستهوي الشباب المتلهف على معرفة المستقبل.

وتبدأ ضاربة الودع طقوسها على الفور، حيث تفترش الأرض وتمد ملاءتها من الرمل الأبيض ثم تنثر الودع وبعد لحظات من الإثارة تجذب المريد «الزبون» بالكثير من الأشياء عن حياته العامة والخاصة، والغريب أن بعض ما تقوله المنجمة يكون حقيقيا.

وتعتمد المنجمة على تفاعل الزبون معها وعلى تصديقه لبعض ما تكشف له عنه، فتعتمد على ذلك لإعطائه المزيد من المعلومات التي لا يعرفها غيره، ومن هنا تستحوذ المنجمة على قلب الزبون.

وتدعى بعض ضاربات الودع بأنها صديقة لأحد مردة الجن الذي يساعدها في مهنتها بدليل حسبما تقول إحداهن أن كلاما مما تذكره للزبون يصيب كبد حقيقته، وتسند المنجمة وجهة نظرها بآيات من القرآن والأحاديث النبوية، كما تستند على طقوس خاصة بعالم الجن وعلاقته ببني آدم.

ولا تتوقف استخدامات الودع عند هذه النواحي بل إنه يستخدم كبودرة تصنع منها ماسكات تعالج المشاكل الجمالية التي تُرهق المرأة اليوم كظهور الكلف أو البقع الداكنة على الوجه أو مختلف مناطق الجسم، ويعتبر التخلص منها صعبا ويتطلب وقتا ووصفات أكثر، لكن بخواص الودع وبركاته يتحقق للمرأة من ما تصبو له من نضارة وجمال ومن قبول.